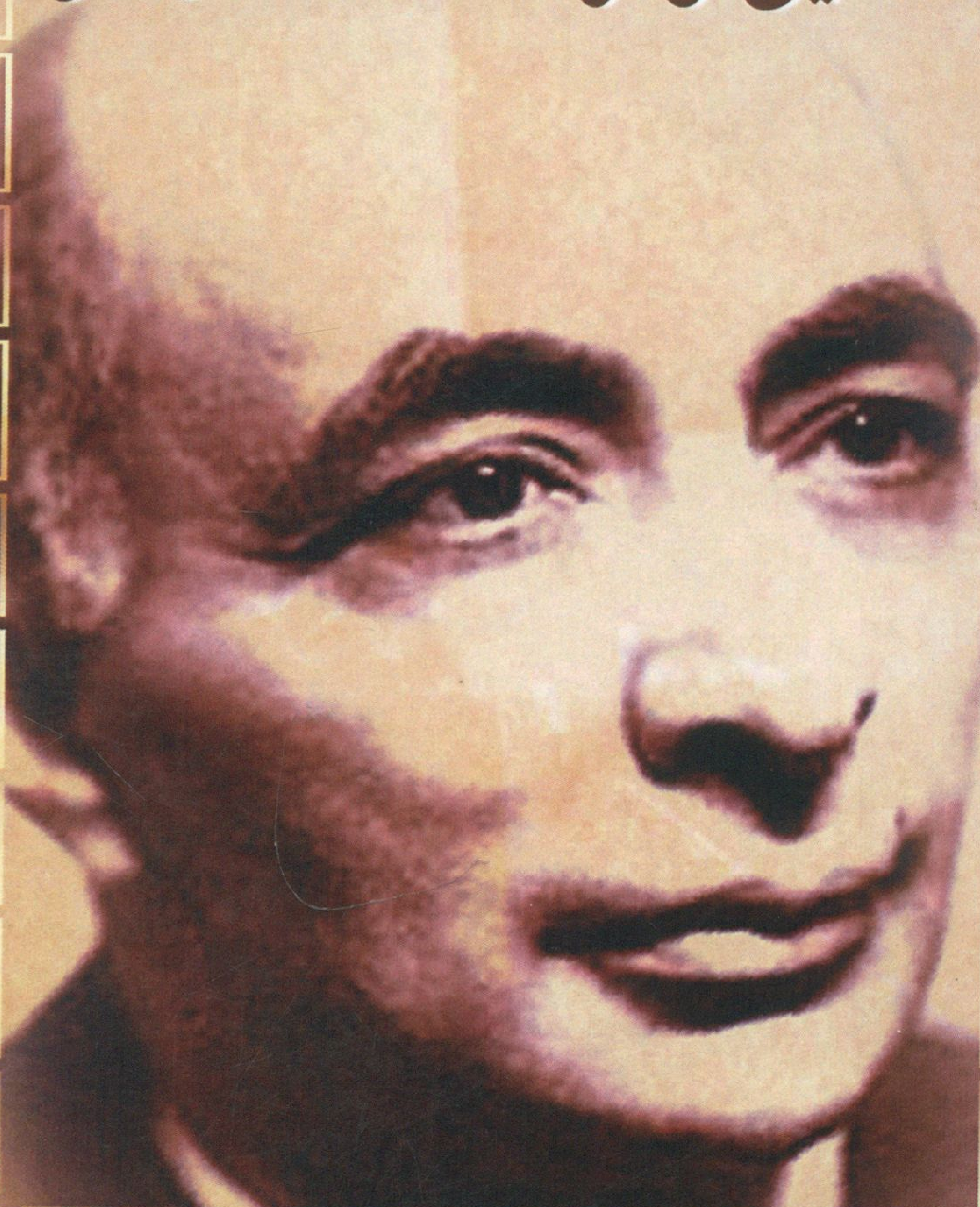
الأعمال الشعرية الكاملة

إبراهيم ناجي

تحقيق ودراسة : حسن توفيق



المجلد الأول

المجلس الأعلى للثقافة

إهداء ٢٠١٣

الاستاذ الدكتور / خالد عزب

جمهورية مصر العربية

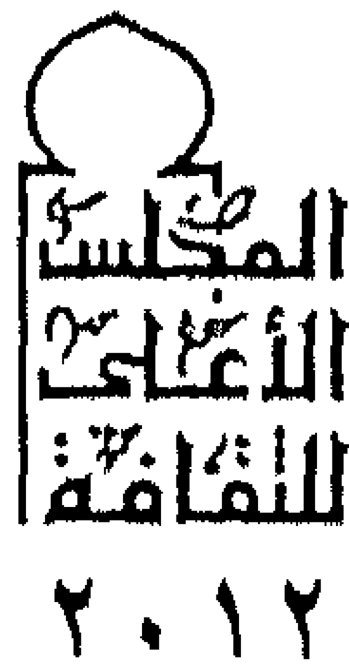
المجلس الأعلى للثقافة

إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية الكاملة

(المجلد الأول)

تحقيق ودراسة: حسن توفيق



٢٠١٢

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨-١٩٥٣
إبراهيم ناجي: الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الأول)/
تحقيق ودراسة: حسن توفيق.
القاهرة : طبعة خاصة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠١٢
٥٣٦ ص، ٢٤ سم
١- الشعر العربي – تاريخ – العصر الحديث
٢- ناجي، إبراهيم، ١٨٩٨ – ١٩٥٣ – المؤلفات الكاملة.
(أ) توفيق، حسن (محقق ودارس)
(ب) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع : ٢٩٤٤ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: 978-977-707-448-6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27352396 **Fax:** 27358084

www.Scc.gov.eg

هـــذه الكعبـــة كنـــا طائفيهـــا والمـــصلين صـــباحا ومـــساء
كم سجدنا وعبدنا الـــحُسْنَ فيها كيـــف بـــالله رجعنـــا غربـــاء

من "وراء الغمام"

مهما أَقُلْ بقيـــت لـــدىَّ قـــصيدة فى القلب لم تنطق بهـــا الـــشفتان

من "الليالى القاهرة"

إنى لطـــــيرٌ حـــــائر بـــــاك قد كانـــت الأحـــزان فلـــسفتى
ذابـــت حنانـــاً يـــومَ لقيـــاكِ وجرتْ أغاريـــدًا علـــى شـــفتى

من "الطائر الجريح"

يا أمةً نبتـــتْ فيهـــا البطـــولاتُ لا مصر هانتْ ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجـــدُ يـــدعونا فنتبعـــه كما تطير إلى النـــارِ الفراشـــاتُ
أين الغزاة الألى مروا بنـــا زمـــرًا وأيـــن بـــالله تيجـــانٌ ودولاتُ
طافوا البقاع فلما حـــل رحلـــهُم بمصر لم يصبحوا فيها كما بـــاتوا

من "قصائد مجهولة"

قبل أن أبدأ..وقبل أن تقرأ..

- دائماً أبدأ بالحب الذى يدفعنى دفعاً إلى العمل.. الحب هنا يرتبط بشاعر من أرق وأجمل شعرائنا العرب.. كنت ما أزالُ طالباً بالمرحلة الثانوية عندما سحرنى شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجى.. أحببت قصائده العاطفية من كل قلبى، وما تزال ذاكرتى إلى اليوم، وعلى الرغم من عواصف الزمان وشواغل الحياة، تحتفظ بكثير من هذه القصائد الساحرة.
- يبدو أننا نعشق "الثنائيات" فى حياتنا الأدبية والفنية، حيث نتذكر حافظ إبراهيم بمجرد أن نتحدث عن أمير الشعراء أحمد شوقي، ونتذكر ميخائيل نعيمة بمجرد أن نذكر جبران خليل جبران، وإذا كنا حين نتحدث عن كوكب الشرق أم كلثوم، فإننا - فى الغالب - لا نتذكر مطربة قبلها ولا بعدها، إلا أننا — أحيانا — نستدعى اسمهان حين نتحدث عن أم كلثوم، ومن شعراء جماعة ابولو فإننا حين نتذكر إبراهيم ناجى، نتذكر معه على محمود طه، وأعترف هنا بأنى كنت وما زلت منحازاً لناجى، على حساب صديقه ومنافسه فى زمانهما على محمود طه، كما أن ناجى لم يغادر قلبى، حتى بعد أن أحببت بعده شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر فى أمتنا العربية ، هما بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور.

- دفعنى الحب لشاعر الحب، لأن أكتب عنه – على امتداد ما يقرب من أربعين سنة – عشرات المقالات التى نشرت فى العديد من مجلاتنا وجرائدنا العربية ، وأذكر منها على سبيل المثال بمجلة الهلال — عدد يونيو ١٩٧٧ وكان عنوان غلاف ذلك العدد «خمس قصائد مجهولة لشاعر الأطلال إبراهيم ناجي»، هذا فضلا عن العديد مما كتبته في مجلات الكاتب والمجلة والفكر المعاصر وفي جريدة الأخبار المصرية وجريدتي الراية والشرق القطريتين .
- في سنة ١٩٧٨ أصدرت أول كتاب لى عن ناجى، بعنوان (قصائد مجهولة لإبراهيم ناجى) وقد ضم خمسين قصيدة، تصدرتها دراسة متأنية، وقد صدر هذا الكتاب – وقتها – عن مكتبة مدبولى بالقاهرة، وكتب عنه كثيرون من بينهم صالح جودت ورجاء النقاش وكمال النجمي . وفى سنة ١٩٩٥ كلفنى الدكتور جابر عصفور — وكان وقتها الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فى مصر – بإعداد (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجى والتى صدرت بالفعل فى السنة التالية، سنة ١٩٩٦، وتضاعف فيها عدد القصائد المجهولة من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة.
- تحمس كثيرون من النقاد والباحثين والشعراء المرموقين للأعمال الشعرية الكاملة لناجى بعد صدورها، وعلى سبيل المثال، فإن الكاتب

الكبير رجاء النقاش كتب عنها مقالاًرائعاً مطولاً فى (الأهرام) بعنوان (قصيدة فى القلب)، كما كتب الباحث الكبير الدكتور يوسف حسين بكار دراسة مطولة، أشاد خلالها بالجهد الذى بذلته فى تحقيق تلك الأعمال، وفيما بعد أصبحت هذه الدراسة فصلاً من فصول كتاب (العين البصيرة – قراءات نقدية) للدكتور يوسف حسين بكار، وهو الكتاب رقم (٨٦) فى سلسة (كتاب الرياض) التى تصدر فى المملكة العربية السعودية. أما الباحث المدقق الجاد مصطفى يعقوب، فقد نشر دراسة مستفيضة فى مجلة (علامات) السعودية – عدد مارس سنة ٢٠٠٠ بعنوان (الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجى — ملاحظات ونصوص مجهولة) وقد سعدت وأفدت من هذه الدراسة، على الرغم من ملاحظاتى على ملاحظات مصطفى يعقوب!.. أما القاهرة والدوحة، فقد شهدتا ندوتين، خصصتا لمناقشة — الأعمال الشعرية الكاملة لناجى، أولاهما نظمها المجلس الأعلى للثقافة فى مصر، والثانية نظمها نادى الجسرة الثقافى فى قطر.

- أتصور أن الدكتور جابر عصفور قد سعد حقا بما حظيت به الأعمال الشعرية لناجى من اهتمام وتقدير، فضلاً عن نفاد جميع نسخ طبعتها الأولى بسرعة، وبصورة فاقت التوقعات، ولهذا فإنه عاد وكلفنى بمهمة جديدة، تتمثل فى جمع وتحقيق (الأعمال النثرية الكاملة) لناجى، وهذا

ما قمت به بالفعل، لكن هذه الأعمال النثرية تأخرت عن الصدور طيلة أربع سنوات، لأسباب متعددة، دون أن ترى النور . وكان لابد أن أغامر وأبادر إلى طبعها على نفقتى الشخصية فى الدوحة، حيث صدرت سنة ٢٠٠١ فى مجلدين، تجاوز عدد صفحاتهما ألف صفحة، وإذا كنت قد تكبدت -ماديا- ما تكبدت، فإنى قد سعدت - معنويا - بإصدار هذين المجلدين، ويبدو لى أن باحثين جامعيين عديدين كانوا كأنما يترقبون صدور هذه الأعمال النثرية لناجى، لكى يشرعوا فى إعداد دراسات أكاديمية لنيل درجة الماجستير، فهذا ما جرى فى الجامعة الأمريكية ببيروت وما جرى فى إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وجامعة فاس فى المغرب.

- في يناير ٢٠٠٣ أصدرت الأعمال الشعرية المختارة لناجي ، والتي صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة قطر ، واشتملت هذه الأعمال الشعرية المختارة ضمن ما اشتملت عليه علي ثلاث قصائد مجهولة جديدة هي : بايعت حسنك — صخور وأشواك — إلى أم كلثوم ، كما قمت بكتابة مقدمة بعنوان قبل أن أبدأ وقبل أن تقرأ، وقد رأيت أن أثبت هنا معظم فقرات تلك المقدمة المؤرخة بتاريخ ١١ نوفمبر ٢٠٠٢ لأنها بمثابة رد موضوعي دقيق على الذين يحاولون أن

يسرقوا جهدي المتواصل في جمع تراث ناجي على امتداد سنوات متواصلة.

- من بين روائع ناجى المبثوثة ضمن هذه الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة (الوداع) وهى إحدى قصائد ديوان (وراء الغمام) وقصيدة (الأطلال) وهى إحدى قصائد ديوان (ليالى القاهرة) وليس المهم أن هاتين القصيدتين تنتميان – موسيقيا إلى بحرالرمل (فاعلاتن – فاعلاتن – فاعلاتن) فقد كتب ناجى كثيراً من روائعه العاطفية وفقاً لموسيقى هذا البحر الذى كان يحبه أكثر من سواه من بحور الشعر التى حددها الخليل بن أحمد، فالواقع أن هاتين القصيدتين قد كشفتا لى أمرا، لا يتعلق بناجى وحده، إنما يتعلق كذلك بكوكب الشرق أم كلثوم!.
- كان ناجى يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة فى الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجى ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذى اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجى، والتى يجدها القارئ فى هذا الكتاب ، وهى قصيدة بعنوان (الخريف) أما ما غناه محمد عبد الوهاب منها فإنه معروف بعنوان (القيثارة) وكان من المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة ١٩٥٣ لكن

ناجى رحل عن عالمنا يوم ٢٤ مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة ١٩٥٤، وأذكر منها هنا:

أى ســـر فيـــك إنى لـــستُ أدرى
كل ما فيك من الأســـرار يغـــرى
خطرٌ ينـــساب مـــن مفتـــر ثغـــرِ
فتنـــةٌ تعـــصف مـــن لفتـــة نحـــرِ
قدر ينسج مـــن خـــصلةِ شـــعرِ
زورق يـــسبح فى موجـــةِ عطـــرِ
فى عباب غـــامض التيـــار يجـــرى
واصلاً ما بين عينيـــك وعمـــرى

تحققت أمنية ناجى - دون أن يدرى - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من (الأطلال) وأضافت إليها مقطعين من قصيدة (الوداع) وابتداء من سنة ١٩٦٦، أصبح اسم ناجى على كل لسان بفضل صوت أم كلثوم، دون أن أنسى بالطبع العبقرى رياض السنباطى.

يشتمل النص الأصلى الكامل للأطلال، كما كتبه ناجى، على (١٣٤) بيتا، بينما يشتمل النص الأصلى الكامل لقصيدة الوداع على (٢٨) بيتا،

أما (الأطلال) التى غنتها أم كلثوم فهى تشتمل على (٣٢) بيتا، منها سبعة أبيات من النص الأصلى لقصيدة الوداع، وأثبت هنا هذه الأبيات السبعة مع بيت آخر هو الثالث منها والذى لم تغنه أم كلثوم.

هل رأى الحـــب ســـكارى مثلنـــا
كم بنينـــا مـــن خيـــال حولنـــا

ومـــــشينا فى طريـــق مقمـــــر
تثـــب الفرحــــة فيـــه قبلنـــا

وتطلعنـــــــــا إلى أنجمـــــــــه
فتـــــهاوينَ وأصـــــبحنَ لنـــــا

وضحكنا ضـــحك طفلـــين معـــاً
وعـــــدونا فــــسبقنا ظلنـــــا

* * *

وانتبهنا بعـــد مـــا زال الرحيـــق
وأفقنـــا ليـــت أنـــا لا نفيـــق

يقظة طاحـــت بـــأحلام الكـــرى
وتولى الليـــل، والليـــل صـــديق

وإذا النـــــور نـــــذير طـــــالع

وإذا الفجـــــر مطـــــل كـــــالحريق

وإذا الـــــدنيا كمـــــا نعرفهـــــا

وإذا الأحبـــــاب كـــــل فى طريـــــق

قلت – من قبل – إن ناجى كان يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم إحدى قصائده، لكن الأمنية لم تتحقق إلا بعد رحيله عن عالمنا، وهنا أطرح سؤالا طرحته على نفسى عدة مرات منذ سنوات : هل هناك من غنى قصائد لناجى خلال حياته ؟

كنت قد حصلت على مجلد نادر يضم أعداد السنة الأولى من مجلة أسبوعية، هى مجلة (الراديو المصرى) التى صدر عددها الأول يوم ٢١ مارس سنة ١٩٣٥ أى بعد تأسيس الإذاعة المصرية بنحو سنة واحدة، والحق أنى قد تصفحت أعداد تلك المجلة بصورة سريعة فى البداية، ثم خطر لى أثناء إعدادى للأعمال الشعرية المختارة لناجي أن أعود لقراءة (الراديوالمصرى) بصورة متأنية، ونتيجة لهذا التأني فإني توصلت إلى الإجابة على السؤال الذى كان يشغلنى، وكنت أطرحه على نفسى: هل هناك من غنى قصائد لناجى خلال حياته؟

أستطيع الآن الإجابة، وهى بالإيجاب.. نعم.. هناك من غنى لناجى خلال حياته.. ومتى؟.. فى سنة ١٩٣٥.. ففى حفلة يوم ٣ مايو سنة

١٩٣٥ غنى الأستاذ محمد صادق (قصيدة من تأليف الدكتور إبراهيم ناجى، ومن تلحين محمد صادق).. ولكن ما هى هذه القصيدة؟.. هنا المفاجأة المدهشة.. فقد غنى محمد صادق سنة ١٩٣٥ أبياتاً مما غنتها أم كلثوم سنة ١٩٦٦.. وهذه الأبيات من قصيدة (الوداع) لناجى، وإذا كانت أم كلثوم قد غنت منها - كما ذكرت - سبعة أبيات، فإن محمد صادق قد غنى ثمانية أبيات، أى أنه غنى البيت الذى لم تغنه أم كلثوم، والذى أشرت إليه من قبل، وأثبتُ هنا الأبيات الثمانية التى غناها محمد صادق سنة ١٩٣٥:

هل رأى الحـــب ســـكارى مثلنـــا

كم بنينـــا مـــن خيـــال حولنـــا

ومـــــشينا فى طريـــــق مقمـــــر

تثـــب الفرحـــــة فيــــه قبلنـــــا

وضحكنا ضـــحك طفلـــين معـــاً

وعـــــدونا فـــــسبقنا ظلنـــــا

وتطلعنــــــــــا إلى أنجمــــــــــه

فتـــــهاوينَ وأصـــــبحنَ لنـــــا

لم يـــا هـــاجر أصــبحت رحيمــاً

والحنـــان الجـــم والرقـــة فيمـــا

لم تـــسبقيني مـــن شـــهد الرضـــا

وتلاقـــــيني عطوفـــــاً وكريمـــــا

كل شيء صـــار مـــرا فى فمـــى

بعدما أصـــبحت بالـــدنيا عليمـــا

آه مـــن يأخـــذ عمـــرى كلـــه

ويعيد الطفـــل والجهـــل القـــديما

وإذا كان لابد أن نلاحظ شيئاً فى ترتيب الأبيات، فإنى أذكر هنا أن البيت الذى لم تغنه أم كلثوم هو الثالث فى النص الأصلى للمقطوعة، ولكن محمد صادق جعله البيت الرابع، وفضلاً عن هذا، وخارج سياق الحديث، فإن مجلة (الراديو المصرى) أخطأت خطأً طباعيا فى هذا البيت، فجاء على هذا النحو:

وتطلعنـــــــــــا إلى أنجمـــــــــــه

فتـــــــهاويناً وأصـــــــبحنا لنـــــــا

والصحيح، كما ورد فى نص القصيدة ضمن ديوان (وراء الغمام) الذى صدر سنة ١٩٣٤ هو:

وتطلعنـــــــــا إلى أنجمـــــــــه

فتـــــهاوينَ وأصـــــبحنَ لنـــــا

وهنا أود أن أقول إن أم كلثوم ربما تكون قد استمعت إلى أبيات ناجى هذه سنة ١٩٣٥ من خلال حفلة محمد صادق،. وإذا لم تكن قد استمعت، فإنها - بالتأكيد - قد قرأت هذه الأبيات، لأنها منشورة فى (الراديو المصرى) إلى جوار نصوص الأغانى التى كانت تغنيها فى نفس تلك السنة، وقد عاد محمد صادق إلى غناء أبيات ناجى مرة ثانية فى ٣ أغسطس ١٩٣٥ ، ثم غنى لناجى قصيدة (الغد) فى حفلة ١٧ أغسطس من نفس تلك السنة، وهى القصيدة التى غنتها فيما بعد المطربة الكبيرة سعاد محمد، ولحنها رياض السنباطى، وغنى محمد صادق قصيدة ثالثة لناجى فى حفلة ٣١ أغسطس ١٩٣٥، وهى بعنوان (توأم الروح) التى ضممتها — فيما بعد - ضمن القصائد المجهولة فى (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجى، ومطلعها:

مهلاً فإن المنادى شطرك الظامى

يا توأمَ الروح أدرك روحيَ الدامى

- بحكم عملى فى الصحافة، فإنى أعذر الذين يقعون فى أخطاء، تبدو مضحكة أحياناً، نتيجة عدم التزامهم بالدقة التى تتطلب التأنى، وهو ما لا يتحقق للصحافة اليومية بصورة أساسية، لكنى أتصور أن التأنى مطلوب حين يكون ما هو مكتوب فيها مكتوبا فى مجلة أسبوعية، ويصبح التأنى مطلوباً أكثر حين يكون المقال مقالاً لرئيس تحرير المجلة الأسبوعية. على غلاف عدد ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٠ من مجلة (نصف الدنيا) الأسبوعية والتى كانت الكاتبة الصحفية سناء البيسى ترأس تحريرها — وفتها - نطالع عنواناً مثيراً هو (سناء البيسى تنفرد بنشر أشعار مجهولة لإبراهيم ناجى بخط يده)، أما المقال ذاته فإن خاتمته تقول: (.. يا ناجى الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

يستند مقال سناء البيسى على مجموعة من القصائد بخط ناجى، وهى من القصائد التى تحتفظ بها السيدة أميرة إبراهيم ناجى، وقد سعدت سناء البيسى بهذه القصائد، وقامت بتصويرها، لتنشر ضمن مقالها الأسبوعى، ولو كانت هذه القصائد (جديدة) حقا لكنت قد سعدت بها، باعتبارى واحدا ممن يعشقون قصائد الشاعر الرقيق والكبير، لكنى أدركت بمجرد أن تصفحت القصائد المنشورة فى (نصف الدنيا) أنها - فى معظمها - ليست

(جديدة) وبالتالى فإن سناء البيسى ما كان يحق لها أن تقول (يا ناجى الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

كنت أتمنى أن تقرأ سناء البيسى دواوين ناجى، وبالذات ديوان (ليالى القاهرة) قبل أن تكتب عن ناجى ما كتبته، متصورة أنها قد أتت بشىء جديد، دون أن يكون هناك أى جديد بالفعل، وذلك لأن معظم القصائد المصورة بخط ناجى، تمثل مقطوعات من قصيدة (الخريف) وهى إحدى قصائد ديوان (ليالى القاهرة) الصادر سنة ١٩٥٠، وقد ضممت هذه القصيدة إلى (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجى، كما أنها موجودة كذلك ضمن (الأعمال الشعرية المختارة) لناجى.

* أعرف أن الكاتبة سناء البيسى تعشق محمد عبد الوهاب، فكيف لم تستطع أن تتبين أن القصيدة الوحيدة التى غناها عبد الوهاب لناجى، والتى أشرت إليها هنا من قبل، هى من ضمن القصائد التى تقول هى عنها إنها (جديدة)؟!.. هل (أى سر فيك إنى لست أدرى..)جديدة؟! وإلى جانب هذا فإن عملية نقل بعض القصائد المكتوبة بخط ناجى، لكى يتسنى نشرها بحروف الطباعة قد شابتها أخطاء، أذكر هنا منها على سبيل المثال:

عنــــدما (أرفـــع) ركـــب العمـــر

(شاهدت) الدنيا وجوهـــاً ورؤى

فالصحيح، كما ورد بخط ناجى الواضح، وكما ورد فى ديوان (ليالى القاهرة) و (الأعمال الشعرية الكاملة) و (الأعمال الشعرية المختارة) هو:

عنـــدما أزمـــع ركـــب العمـــر

شـــاهت الـــدنيا وجوهـــاً ورؤى

أتمنى أن تعود سناء البيسى إلى مقالها وإلى دواوين ناجى، لكى تتبين أشياء عديدة، لا مجال هنا لأن أطيل فى الحديث عنها وشرحها.

- من خلال متابعاتى المتأنية لشعر ناجى، وقراءاتى الفاحصة للدراسات التى صدرت عنه، أدركت أن كثيرين من الدارسين والباحثين الأكاديميين قد وقعوا فى أخطاء فادحة،بل فاضحة، وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء، لا كلها، فى الدراسة التى أسميتها (ناجى.. الحياة - الحب - الموت) وإذا كنا نعذر الورثة لأنهم ليسوا متخصصين، فهل بمقدورنا أن نعذر الدارسين والباحثين الأكاديميين؟!
- أود أخيراً أن أشير إلى قضية حساسة، لأنها تتعلق بورثة الشعراء الذين أحببتهم بصورة عامة، فقد أدركت أن كثيرين منهم لا يحسنون التصرف فيما تحت أيديهم من كنوز أزواجهم أو آبائهم الشعراء الذين رحلوا عن عالمنا، ولأن هؤلاء الورثة ليسوا متخصصين فى الأدب ولا فى تحقيق النصوص، فإنهم يقعون بين الحين والآخر فى أخطاء فادحة، وقد يوقعون معهم فى مصيدة تلك الأخطاء من

يتعاملون معهم من المحققين، وهذا ماجرى بالفعل فيما يتعلق بالشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى، لكنى أكتفى بما قلت، دون أن أورد أمثلة عديدة أعرفها حق المعرفة، وذلك حرصاً منى على عدم إحراج أحد.

- إذا كنت وما زلت أبذل جهوداً مضنية وبدافع الحب تجاه شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي ، فإن هناك من يحبون استثمار هذه الجهود بوسائل متنوعة مختلفة ، وعلى سبيل المثال فإن أحد الناشرين العراقيين قام بإعادة طبع كتابي الأول عن ناجي سنة ١٩٨٥في بيروت دون أي استئذان ، وقد عرفت الأمر بالمصادفة حين دخلت إحدى المكتبات في بغداد واكتشفت هذا الذي حدث ، وقد حاول صاحب المكتبة وقتها أن يداعبني ، قائلا إن إعادة طبع كتابك حتى لو لم تكن تعلم معناها أن كتابك قيم ومهم ، وفي سنة ٢٠٠٠ كنت في زيارة لدمشق ووجدت في إحدى مكتباتها كتابا عن الشعراء العرب الظرفاء ، وبعد أن تصفحت الكتاب وجدت أن مؤلفه — أو سارقه — قد سرق مقالا كاملا لي كنت قد نشرته في مجلة الهلال الشهرية المصرية ، ويبدو أن هذا السارق واسمه هاني الخير كان متعجلا فلم يحاول أن يغير ولو جملة واحدة مما كتبته !

- صدر عن مركز الراية للنشر والإعلام بالقاهرة سنة ١٩٩٩ كتاب إبراهيم ناجى شاعر الحب والعشق، وقد نقل مؤلفه كثيراً مما كنت قد كتبته عن ناجي وبالذات في مقدمة الأعمال الشعرية لناجي ، التي صدرت – كما ذكرت – سنة ١٩٩٦، كما أصدرت دار الكتاب العربي ومقرها في كل من دمشق والقاهرة كتاباً لنفس هذا المؤلف بعنوان إبراهيم ناجي شاعر الأطلال وقصائده العاطفية – سنة ٢٠٠٤ وارتكب هذا المؤلف فى كتابه الثانى نفس ما ارتكبه فى كتابه الأول.

وحين قابلني المؤلف الذي لن أذكر اسمه ظل يعتذر لي قائلاً إن الهوامش التي كان قد كتبها فى الكتابين اللذين أصدرهما، وفيها إشارات إلى ما أخذَه مني قد سقطت أثناء طبع كل كتاب منهما ، وقد تظاهرت بتصديقه لكي ينفض اللقاء الذي جمعني معه بالمصادفة.

- أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة أدباء القرن العشرين طبعات جديدة من دواوين ناجي : وراء الغمام سنة ٢٠٠٨– وليالي القاهرة سنة٢٠٠٨ – والطائر الجريح سنة ٢٠١٠ ، وقد علمت فيما بعد أن الذي تصدى لتقديم هذه الدواوين كان قد أكد أنني لست موجوداً في مصر وليس لي عنوان يمكن من خلاله التواصل معي ، لكي تُعهد إليه هو مهمة تقديم دواوين ناجي في تلك الطبعات الجديدة ، وهكذا نقل هذا المتصدي من جهودي ما نقل ،

وقد أشار — شكر الله سعيه – إلى ذلك أحياناً ، ولكنه تغافل — سامحه الله – عن الإشارة في معظم الأحيان ، كما حاول أن يثبت أنه قد تفوق في الكشف عن أمور جديدة لم أتنبه أنا لها ، ولكنه — للأسف – لم ينجح ، وهذه السطور تؤكد عدم نجاحه ، ولهذا فإني أدعو له بالنجاح في تقديم أعمال أخرى لشعراء آخرين !

- هذا قليل من كثير ، أحببت أن أشير إليه قبل أن أبدأ تقديم هذه الأعمال الشعرية الكاملة لناجى في هذه الطبعة الجديدة التي تحمس لصدورها الدكتور عماد أبو غازي الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، ويبقى الحب الذي يدفعني دفعاً إلى العمل المضني، وفاءً لمن أحببتهم من شعرائنا العرب، وفي صدارتهم شاعر الحب الرقيق والكبير إبراهيم ناجى.

(حسن توفيق)

قصيدة في القلب

بقلم : رجاء النقاش

إبراهيم ناجي اسم جميل في تاريخنا الفني المعاصر، وهو اسم لم تعرفه الجماهير الواسعة إلا عندما غنت له «أم كلثوم» قصيدته الشهيرة «الأطلال» من تلحين السنباطي، ولكن ناجي كان قبل ذلك أغنية رائعة، يعرفها الذين يــحبون الشعر ويقرأونه بقلوبهم قبل أن يقرأوه بعيونهم أو بألسنتهم، وقصائده تصدر من عصارة قلبه، وقلبه صادق وأمين، وهو بسيط مثل العصافير والزهور وقطرات الندى. ليس فيه تعقيد من أي نوع، وليس فيه غموض أو ضباب، مشاعره صريحة، وأحزانه وأفراحه فصيحة، وقد أقام في قصائده معبداً للجمال والحب، لاتستطيع أن تدخل إليه إلا حافي القدمين، صافي الوجدان، هامس الصوت، ملقياً وراءك بكل الغبار الناتج عن الصراعات المختلفة في الحياة اليومية. هو الشاعر الصادق، الذي يدرك أنه يجري وراء أسرار الحب والحياة، فيشعر أن كل ما قاله، وكل ما وصل إليه لم يكن كافياً، ولم يكن هو الكلمة الأخيرة، فكتب هذا البيت الجميل: [مهما أقل بقيت لديَّ قصيدة في القلب لم تنطق بها الشفتان] فهو يحس دائماً أنه لم يقل كل شيء، ولم يعرف كل الأسرار، وأن الوصول إلى الحقيقة الكاملة في هذه الدنيا أصعب من الإمساك بالماء في قبضة اليد. هناك شيء لم يقله ، لأنه

لا يعرفه، ولكنه يحس به في أعماق قلبه دون أن يستطيع تحديده بصورة كاملة ونهائية. ولكن هذا الشاعر المتصوف الذي يحس بالاغتراب الدائم في الحياة يثق في أشياء أخرى ثقة كاملة. فهو عندما يحب يقول لحبيبته: كل الورى يدعون حبك أنا الوحيد الذي أحبك. ويقول: نمشي وقد طال الطريق بنا فنود لونمشي إلى الأبد ،ونود لو خلت الحياة لنا كطريقنا، وغدت بلا أحد. أمنيات بسيطة، ورغبات سهلة، ليس فيها كما قد يتصور البعض أي عدوان على الآخرين، فعندما يتمنى الشاعر العاشق أن تخلو الحياة له مع حبيبته، فهو لا يعني بذلك إنكار وجود الآخرين، أوالرغبة في القضاء عليهم، وإنما يعني أن يبتعد عنه فضول الناس، وأن تكون مشاعره كلها في حالة تركيز على هواه، بحيث لايشعر بضجة الحياة من حوله، لأن ضجة الحياة تؤذي مشاعر المحبين وتقضي على سلام العاشقين، وتطرد كل العصافير من عشها الهادئ الذي ليس فيه شيء من نعيم الدنيا غير الدفء والحنان. وهو نفسه الشاعر الذي لا يجد علاجاً للأحزان، إلا في الحب كما يفهمه، أي في المشاركة الإنسانية الصادقة التي تمنح الرضا والثقة للإنسان وتفجر في قلبه أجمل الأغاني والألحان «إني لطير حائر باك قد كانت الأحزان فلسفتي. ذابت حناناً يوم لقياك وجرت أغاريداً على شفتي» ومثل هذا الشاعر الجميل الصادق والعذب.. مثل هذا الصوفي الذي يتعبد في الحب. والجمال لم يكن من السهل أن يفهمه عصره. وكيف يفهم الناس إنساناً يهمس ولا يصرخ، وكيف يفهمون من

يعزف على أوتار هادئة، ولا يدق على طبول صاخبة؟. كيف يفهم الناس إنساناً لا يحب أن يلفت الأنظار إليه، ولا يطلب من الناس شيئاً إلا أن يتركوه في حاله، وألا يدوسوا بأقدامهم فوق أزهار حديقته الصغيرة؟ كان إبراهيم ناجي، غير مفهوم بالدرجة الصحيحة والكافية طيلة حياته التي امتدت بين ٣١ ديسمبر ١٨٩٨، يوم ميلاده و٢٤ مارس ١٩٥٣، يوم رحيله المفاجئ عن الدنيا، أثناء عمله بعيادته في شبرا، وكان يومها في الخامسة والخمسين من عمره. كيف وقع هذا الشاعر الإنساني المبدع في خصومة مع عصره؟! قال عنه أحد النقاد البارزين وهو الأستاذ عباس خضر، إنه يتغزل في كل امرأة يلتقي بها، وسماه من باب السخرية باسم "الدكتور عمر بن أبي ربيعة" وليس "الدكتور إبراهيم ناجي" تشبيهاً له بالشاعر العربي القديم الذي اشتهر عنه أنه مولع بالنساء، وأنه كان لا يكتب قصيدة إلا ليروي قصة مغامرة من مغامراته العاطفية. وتشبيه الدكتور ناجي بعمر بن أبي ربيعة تشبيه طريف وخفيف الظل، ولكنه بعيد عن الحقيقة الأدبية والحقيقة الانسانية معاً. ذلك لأن ناجي كان شاعراً من شعراء العواطف النقية الصافية، أي أنه كان في شعره يعبر عن معان روحية عميقة راقية، بينما كان عمر بن أبي ربيعة شاعراً مغامراً مفتوناً بجسد المرأة، أكثر مما هو مهتم بمشاعرها وتجاربها الروحية المختلفة، ولذلك فهو يتنقل بيسر وسهولة من امرأة إلى أخرى، ولا يلتفت إلى أي معنى من معاني الصدق في العاطفة، أوالوفاء في المشاعر، إنه شاعر حسي يطربه جسد

المرأة، أما ناجي فهو شاعر متصوف لا يطربه إلا كل ما له علاقة بالنفس والعواطف الإنسانية العميقة. ونجد نموذجاً آخر لهذا الظلم في تقدير عواطف ناجي فيما كتبه عنه الفنان المسرحي الكبير نعمان عاشور حيث يقول: «..كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها، فالحب عنده كما يقول كامل الشناوي مثل «قزقزة اللب»، وكامل الشناوي نفسه كان كذلك، ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانسية من الشعراء مثلهما تماماً، والشرط الوحيد هو أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر»، والحق أن ما يقوله نعمان عاشور عن ناجي ليس صحيحاً، فقد كان ناجي من كبار الشعراء الذين ينظرون إلى الحب نظرة احترام وتقديس، ولم يكن من الذين يعبثون بهذه العاطفة الراقية، ولا من الذين يعتبرون المرأة موضوع لهو وترفيه، ولم يكن من الذين ينتقلون بعواطفهم من امرأة إلى أخرى كلما لاح أمامهم وجه جميل. ومن حسن حظ ناجي أنه وجد تلميذاً من تلاميذه الأوفياء، الذين عاشوا مع شعره فأحبوه وفهموه فهما صحيحاً بالغ العمق، وهذا التلميذ النابغ لم يعرف ناجي معرفة شخصية ولم يلتق به في حياته، فقد مات ناجي سنة ١٩٥٣، وكان تلميذه، العاشق لشعره لا يزال صبيا صغيراً، وكان لا يزال طالباً في المدرسة الإعدادية أو الثانوية. ولكن هذا التلميذ كان موهوباً، وكان شاعراً ومفتوناً بالشعر والشعراء . وقد تعرف على قصائد ناجي في بداية حياته فتعلق بها، وأحبها، وأخلص لناجي إخلاصاً أدبيا نادر المثال. هذا التلميذ

هو الشاعر النابغ الموهوب حسن توفيق. وقد ظل حسن توفيق يبحث عن شعر ناجي، في الصحف والمجلات، وعند أصدقائه الذين عرفوه واحتفظوا ببعض أشعاره، أو كانوا يعرفون مصادرها المختلفة، وعلى رأسهم أديب كبير يعيش في الظل حتى الآن، ولا يسعى إلى الأضواء هو الأستاذ وديع فلسطين.

استطاع حسن توفيق أن يجمع معظم أشعار ناجي المبعثرة، ولا نقول كل أشعاره خوفاً من أن يكتشف حسن توفيق – نفسه – في الغد أشعاراً جديدة، لأنه لا يكف عن البحث والتنقيب في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عصر ناجي ،وحسن توفيق في جهده المتواصل لجمع كل آثار ناجي يمثل نموذجاً نادر المثال من الوفاء الأدبي العجيب، فأي شاعر في هذا العصر يرضى أن يقوم بهذا الجهد الكبير لخدمة شاعر آخر، لاتربطه به صلة شخصية، وليس بينهما معرفة ولا صداقة، وليس هناك من دافع وراء هذا الجهد الأدبي إلا الصلة الفنية بين شاعر موهوب من شعراء الجيل الماضي هو ناجي، وشاعر موهوب آخر من شعراء الجيل الحالي هو :حسن توفيق.

ولقد كان ناجي بأشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الأدبي المخلص الأمين الذي يمثله حسن توفيق، ذلك لأن ناجي لم يجمع في حياته سوى ديوانين له هما وراء الغمام (١٩٣٤) وليالي القاهرة (١٩٥٠)، وقد استطاع حسن توفيق أن يجمع لناجي مائة قصيدة وقصيدة، كانت مبعثرة في الصحف والمجلات، وبعضها صحف ومجلات ثانوية وغير مشهورة والعثور عليها أمر

بالغ الصعوبة، وقد قام حسن توفيق بعد ذلك بجمع قصائد ناجي كلها في مجلد كبير أصدره المجلس الأعلى للثقافة تحت إشراف أمينه العام الـدكتور جـابر عصفور وبتشجيع كامل منه. وكتب حسن توفيق مقدمة رائعة لهذه الأعمال الكاملة، وهي مقدمة تزيد على مائة صفحة، وتمثل في مجموعها كتاباً كـاملاً عن إبراهيم ناجي، ولا شك أن هذه المقدمة هي أحسن ما ظهر في المكتبـة العربية حتى الآن عن حياة ناجي وشعره، فهي مقدمة شاملة، شديدة الدقة في بحثها عن كل التفاصيل الصحيحة التي تتصل بحياة ناجي وفنه.

ولو أن حسن توفيق قد ركز جهده على جمع أشعار ناجي فقط، لكان هذا الجهد محدود القيمة، ولكن حسن توفيق بذل جهداً عالياً في فهم كل ما يتصل بناجي وفنه، واستعان في ذلك بذوقه الرفيع وثقافته الأدبيـة العاليـة، واجتهاده غير المحدود في البحث عن المصادر الصحيحة للمعلومات، حتى لقد استعان ببعض المخطوطات، ولم يتردد في البحث عن المعلومات الشفوية عند من يملكونها من الأحياء. وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تكون المقدمة الـتي كتبها لأعمال ناجي، مقدمة رقيقة، يكاد ناجي يظهر فيها حيا أمامنا بكل ما في الحياة من دفء وقوة. واستطاع حسن توفيق أن يصحح بعض الأفكـار الخاطئة، ويثبت لنا بالأدلة الدقيقة الثابتة، أن ناجي لم يكـن فنانـاً متقلـب العاطفة، يتنقل بقصائده من امرأة إلى أخرى كما اتهمه بعض معاصريه، ولكنه كان يحب امرأة واحدة، تحولت في وجدانه إلى مثل أعلى للمرأة، بكل ما فيها

من فضائل وقدرة على الإلهام وتفجير العواطف في قلب شاعر حساس مثـــل ناجي، وظل حسن توفيق يبحث ويسأل ويقارن ويستنتج حتى توصل إلى أن المرأة الوحيدة التي أحبها ناجي كانت امرأة حقيقية،وكان لها وجود في حياته، بل وبلغ به الإصرار على الوصول إلى الحقيقة الكاملة إلى اكتشاف اسم هذه المرأة، والتي يقول لنا حسن توفيق إن هذا الاسم هو عنايات محمود الطـــوير. أما كيف اكتشف حسن توفيق اسم ملهمة ناجي في شعره العاطفي فإنه يروي لنا ذلك في مقدمته البديعة لأعمال ناجي (ص ٣٥) فيقول:

في السنوات الأخيرة من حياة الشاعر صالح جودت، كانت علاقتي به وثيقة حقا، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيـــال، وفي جلسة حميمة مع صالح جودت سألته عن ملهمة قصيدة الأطلال لناجي، فأكد لي، وكان صديقاً مقرباً من ناجي، أن ناجي لم يكتب رائعته من وحي أيـــة ممثلة من اللواتي ادعين ذلك الادعاء، وقال لي إنها من وحي حبه الأول ع. م، فاستفسرت منه عنها فأخبرني باسمها، ورجاني أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها ما زالت على قيد الحياة، ولأن ناجي كان يحبها من جانبه هو فحسب، وبعـــد رحيل صالح جودت عن عالمنا،حاولت أن أتأكد مما قاله عـــن ع. م حيـــث سألت الأخ الأصغر لناجي وهو المهندس الراحل حسن ناجي عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لي أن الاسم صـــحيح، لكـــني لم أشـــأ أن أشـــير إلى اسم ع. م إلا بعد أن رحلت هي أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاســـم في

مقال لي كتبته سنة ١٩٨٤ قلت في خاتمته: ... الآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية لناجي أجد أن من حقي أن أذكر اسمها لأول مرة.. إنها السيدة عنايات محمود الطوير، وهي ع. م التي أهدى إليها ناجي ديوانه الأول وراء الغمام، والمثال الذي عاش ناجي يناجيه طيلة حياته في قصائد عديدة.

ثم يقول حسن توفيق مفسراً بعض أسرار هذا الحب في حياة ناجي: أذكر أن المهندس حسن ناجي كان قد أعارني كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي عن إبراهيم ناجي، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحي،وكان من أصدقاء ناجي المقربين – يتحدث عن ع. م دون أن يشير صراحة إلى اسمها فيقول في صفحة ٦٥ من كتابه المخطوط: فأما حبه الأول فقد كان لفتاة جميلة من قريباته وهي تقطن بجواره، وتمكن الحب من قلبه، و لم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها، بل وجد تجاوباً منها، فضمهما الحب روحيا، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر في حياة سعيدة فلما وصل ناجي إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب، أبت الانتظار حتى يتمم دراسته وتزوجت غيره، وظل هو على حبه العفيف الذي لازمه طيلة حياته، وكلما مرت به لحظة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول...

وهكذا يحسم الشاعر الباحث حسن توفيق أمر القصائد العاطفية لإبراهيم ناجي، ويردها إلى مصدرها الواقعي الصحيح، ويثبت أن من سوء

الفهم لشعر ناجي أن يقال عنه إنها صادرة عن عاطفة متقلبة، لا تكاد تـــرى امرأة جميلة حتى تسقط في هواها، ثم تنصرف عنها إلى غيرها بسهولة ويسر، شأن العواطف السطحية السريعة التي ليس لها في القلب جذور ثابتة، على أن هذا الدليل الواقعي وحده لا يكفي لنفي التقلب، وما يصاحبه من سطحية عن عواطف ناجي، فهذا الدليل الذي توصل إليه حسن توفيق ليس إلا نوعاً مـــن الدليل المساعد، أما الدليل الأصلي فهو شعر ناجي نفسه، فهو شعر يفـــيض بالصدق، ولا يهتم كثيراً بأوصاف الجسد أو التغني بهذه الأوصاف، وإنما يتغنى أولاً وقبل كل شيء بما يدور في الوجدان والروح من حركة وصراع، ويخرج من الحب بمذهب كامل في النظر إلى الحياة والناس، فهو الذي يقول: ذلـــك الحب الذي علمني أن أحب الناس والدنيا جميعاً فالحب عند ناجي معنى إنساني فياض شامل، وتجربة روحية كبيرة وكاملة، وهو مدرسة يتعلم فيها الإنـــسان كيف تصفو نفسه، وكيف يصبح قلبه نقيا طاهراً، وكيف يتحمـــل الألم في صبر وكبرياء، وكيف يكون قادراً على العطاء دون أن ينتظر ما يقدمه إليـــه الآخرون. إنها صورة مثالية للحب، لا يكاد أحد يتصور أن بإمكانها أن تتحقق في واقع الحياة. ومع ذلك فنحن بحاجة إلى هذه الصورة المثالية حتى في عصرنا الواقعي الخشن الذي نعيش فيه، ولا نكاد نحس أن للمثالية أي أثر عليه.

وهذا الشعر الذي يقدمه شاعر كبير مثل ناجي يظل بأصالته وصفائه وبساطته وقربه من القلب، أشبه بالموسيقى الخالصة التي يبحث عنها أصحاب

النفوس الحساسة، يستمعون إليها في هدوء وصمت، ويحاولون أن ينفصلوا مع أنغامها الصافية عن آلام الحياة وتفاصيلها اليومية المرهقة، وكثيراً ما تكون هذه الموسيقى نوعاً من الدواء والشفاء، رغم أنها لا تصور واقع الحياة، بقدر ما تحملنا على جناحها بعيداً عن الواقع، ولو لفترة قصيرة تجدد قدرتنا على مواجهة الحياة في صبر وارتفاع على الصغائر.

وشعر ناجي في الحب من هذا النوع. إنه موسيقى مبعثرة في كلمات وأبيات وقصائد، تفصلنا عن الحياة، لتعيدنا إليها بعد ذلك ونحن أصفى وأقوى.

ولا شك أن الأعمال الكاملة لناجي والتي سهر على جمعها وترتيبها وتفسيرها وتقديمها شاعرنا الموهوب حسن توفيق هي نوع من إعادة اكتشاف ناجي، ورسم صورة دقيقة وصادقة له، وهى بالنسبة لنا ثروة روحية كبيرة، تعود إلينا بعد أن كانت مبعثرة ومعرضة للضياع الكامل، وسوف نجد في هذه الثروة الفنية ما يجدد أرواحنا، ويكشف أمامنا نبعاً رقيقاً صافياً للعواطف الإنسانية في أصدق صورة لها، ونستطيع أن نقترب من هذا النبع كلما ضاقت بنا الحياة فنجد فيه ما يعيد إلينا طمأنينة النفس، وهدوء القلب، والثقة في أن الحياة — مهما كانت متاعبها — لا تخلو من عناصر الجمال والصفاء.

**** هذا المقال كتبه الكاتب الكبير رجاء النقاش ونشر فى جريدة الأهرام يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٩٦.**

إبراهيم ناجي ...

الحيـــاة – الحـــب – المـــوت

بقلم: حسن توفيق

نحن لم نولد بإرادتنا، ولا نموت بإرادتنا. لكننا نـــستطيع أن نـــسعى لتحقيق ما نود أن نحققه بإرادتنا عبر سنوات حياتنا.

ما بين يوم ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٨ ويوم ٢٤ مارس عـــام ١٩٥٣، عاش شاعر مرهف الحس، محب للحياة إذا جادت عليه بالحب، وناقم عليها، بل كاره لها إذا حرمته من الحب. هذا الشاعر المرهف الحس هـــو الـــدكتور إبراهيم ناجى الذى كانت حياته قصيدة حب ذات مقاطع متنوعة، أغلبـــها شجي وحزين، وأقلها مسكون بالفرح.

امتزج شعر ناجي بحياته امتزاجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما، فقد كانت قصائده انعكاساً لحياته، وكانت حياته – بمنغصاتها والآمها الكثيرة وبأفراحها القليلة – مرسومة في قصائده .. لكن ناجى – فى خضم حياته – لم يهتم بجمع قصائده أولا بأول في دواوين تضمها مجتمعة، على عكس شعراء جيله وشعراء الأجيال التالية، وعلى سبيل المثال، فإن ناجي الذي عاش أربعاً وخمسين سنة لم يصدر غير ديوانين في حياته، بينما نجد أن علي محمود طـــه الذي عاش سبعاً وأربعين سنة (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩) قد أصـــدر خـــلال حياته دواوينه «الملاح التائه» و «ليالى الملاح التائـــه» و «أرواح وأشـــباح»

و«زهر وخمر» و «الشوق العائد» و «شرق وغرب». اهتمام علي محمود طه بجمع قصائده في دواوين خلال حياته، جعل مهمة الذين تصدوا لجمعها في «أعمال شعرية كاملة» مهمة سهلة ويسيرة، بينما تكفل عدم اهتمام ناجي بجمع قصائده في دواوين - باستثناء ديوانين - خلال حياته،بأن يجعل مهمة الذين تصدوا لجمع تلك القصائد في «أعمال شعرية كاملة» مهمة صعبة وعسيرة..

حقا، إنها مهمة صعبة وعسيرة، مهمة التصدي لجمع قصائد ناجي في مجلد واحد ضخم، يضمها - مجتمعة - بين دفتيه، لكني أؤمن أن أي عمل ممزوج بالحب، يمكنه أن يتغلب على الصعاب وأن يجعل العسر يسراً ... العمل الممزوج بالحب هو الذي صوره جبران خليل جبران في «النبي»، ويطيب لي هنا أن أقتطفه نقلا عن الترجمة الرائعة التى قام بها الكاتب الفنان الكبير د. ثروت عكاشة. يقول جبران: «.. وما يكون العمل الممزوج بالحب؟.. هو أن تنسج الثوب بخيوط مسلولة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب .. هو أن تبني داراً والوجد رائدك، كما لو كانت هذه الدار ستضم من تحب .. هو أن تنثر البذور في حنان، وتجمع حصادك في فرح، كما لو كانت الثمار سيأكلها من تحب .. هو أن تنفح كل ما تصنعه يداك بنسمة من روحك، وأن تدرك أن كل أعزائك الراحلين، قد التفوا حولك يراقبون ..» .

أحسست بفرح عميق، رغم أن الفرح شحيح في زماننا، منذ أن كلفني الأستاذ الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، بمهمة إصدار «الأعمال الشعرية الكاملة» للدكتور إبراهيم ناجي، ف طبعتها الأولى التى صدرت بالفعل سنة ١٩٩٦ وذلك لأني كنت أهَيأ بالفعل لإصدارها بعد استكمال القصائد استكمالا وافياً ودقيقاً، بل إني كنت أحلم بإصدارها على نفقتي الخاصة، لكن الحلم كان يتحطم على صخرة الأعباء المادية التي لا قبل لي بها ولا بمواجهتها. وهكذا شرعت في مهمتي بحماسة لم أعهدها في نفسي منذ سنوات، حماسة غذاها الحب لشاعر الحب الرقيق الدكتور إبراهيم ناجى ، الذى أحببته منذ صباى الباكر ، وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى فور صدورها ، وها هى الطبعة الثانية الجديدة لهذه الأعمال الشعرية الكاملة تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة ، ولكن كيف نشأ حبى لشاعر الحب وكيف تغلغل في أعماقي ولماذا ؟ ... هذا ما سأجيب عليه ..

ناجي .. والصبيّ الذي أحبه

مازلت أذكر هيئتي وأنا صبيٌّ في الخامسة عشرة من عمره ...كان يحلو لهذا الصبي أن يقضي معظم أمسياته على شاطىء النيــل في ســاحل روض الفرج، مترنماً بأبيات عذبة رقيقة يختلس النظر اليها بين الحين والحين من ديوان شعر صغير الحجم يحمله معه في تلك الأمــسيات بــاعتزاز وحــب، كمــا لو كان يحمل شيئاً نفيساً يود أن يراه الناس جميعاً لكى يتسنى له أن يتبــاهى به عليهم ..

والحق أن المارة على شاطئ النيل لم يكونوا يأبهون كثيراً لهيئــة هــذا الصبيِّ، بقدر ما كانوا يندهشون عندما يهطل المطر في تلك الأمسيات البعيدة، فيهرولون جميعاً، تاركين هذا الصبى بجسده النحيل وخطواته الهادئة المتــسقة التى لم يفلح المطر في أن يخرجها عن هدوئها واتساقها .. كان هذا الصبى - وقتها - يسعد بهذا وينتشى إذ يرى شاطئ النيل وقد خلا من النــاس فيمــا عــداه ..

أليست هذه فرصته الذهبية التى يغتنمها لكى يترنم بالأبيات العذبــة الرقيقة بصوت عالٍ يؤنسه ويزيح عن نفسه إحــساسها بالوحــشة الغريبــة المبهمة؟!.

كان هذا الديوان الذى يحمله الصبى هو ديوان «وراء الغمام» للدكتور إبراهيم ناجي، ومازال هذا الصبى - حتى بعد أن كبر وخط الشيب شعره -

يعتز بهذا الديوان، لأنه – من جهة – كان أول ديوان يقتنيه لمكتبته الوليدة، ولأنه – من جهة أخرى – كان يحمل الإهداء خطه ناجي لأحد مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف .. يقول الإهداء: «لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف .. مع تحياتي .. ناجي – ١٩٣٤/٥/٢٨» .. ولقد كان من حسن حظ الصبى أنه كان زميلا لحفيد ذلك المفتش الراحل في مرحلة الدراسة الثانوية، فلولا هذا لما كان قد قُدر له أن يقتنى هذا الديوان!!..

مرت الأيام .. وتلتها أيام .. وكبر الصبى .. وكبر معه حبه لشاعره الأثير الدكتور إبراهيم ناجي، لدرجة أنه كان يتعلق بالأشياء التى عرف أن شاعره قد تعلق بها في حياته، كما أنه ظل – لفترة غير بعيدة – يؤمن بالقيم والمثل التى كان شاعره يؤمن بها أو كان يتوهم أن شاعره يؤمن بها .. تملكه الزهو حين عرف أن شبرا التى ولد فيها قد شهدت ميلاد شاعره في يوم الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٨، حيث قضى ناجى طفولته المنعمة فيها بفضل ثراء والده ومركزه المرموق في المجتمع وقتها، وكان يطيب لناجي التنزه في حقول شبرا ومزارعها التى كانت ترتوى من مياه الترعة البولاقية، قبل أن يتضافر الناس على وأدها واجتثاث الخضرة من حقولها ومزارعها لكى يتسنى لهم أن يبتنوا المنازل والمدارس والمستشفيات بعد أن تكاثف السكان .. وكما شهدت شبرا ميلاد ناجي فإنها قد شهدت أيضاً أخريات أيامه، وشهدت رحيله عنا إلى تلك الديار المجهولة التى لم يعد من

الذاهبين اليها أحد .. فقد كانت عيادته الطبية – التي كان يتوجه إليها كل مساء لاستقبال المرضى – قائمة في شارع ابن الفرات بشبرا، وفي تلك العيادة ذاتها فاضت روح ناجى من أثر السكتة القلبية وكان ذلك في يوم الرابع والعشرين من مارس ١٩٥٣.

وكما تعلق الصبى بشبرا التي تعلق بها شاعره، فإنه تعلق أيضاً بالمنصورة التي تعلق بها شاعره منذ أن عمل طبيباً بها عام ١٩٢٧ أى بعد تخرجه من مدرسة الطب السلطانية بخمس سنوات .. ومدرسة الطب السلطانية هي بالطبع كلية الطب الآن .. وقد تخرج منها ناجى عام ١٩٢٢، ولم يطل به المقام في القاهرة بعد تخرجه، «إذ عين في وظيفة بالقسم الطبى لمصلحة السكك الحديدية ونقل إلى سوهاج، فأغلق عيادته بالقاهرة، وافتتح عيادة بسوهاج، وبنفس الخصائص والوسائل والخلال، لقى من النجاح أكثر مما لقى في القاهرة، ثم نقل من سوهاج إلى المنيا، ثم إلى المنصورة» التي التقى فيها ناجي برفاق الشعر والحب والشباب ممن سيكونون فيما بعد من أعضاء جماعة أبولو .. التقى ناجى بعلى محمود طه، والتقى بهما في نفس الوقت شاعران من ناشئة الشعراء وقتها هما محمد عبدالمعطى الهمشرى وصالح جودت .. وكانت هذه الجوقة تتآلف فكراً وشعراً في أمسيات عديدة من أمسيات عام ١٩٢٧ عند «صخرة الملتقى» وهى صخرة كانت قائمة عند موقع بين النيل والجزيرة الرملية التي ينحسر عنها الماء بعد موسم الفيضان فتبدو كالصحراء .. كان

أفراد الجوقة يلتقون لكى يتناشدوا أشعارهم الجديدة، ولكى ينهلوا في نفس الوقت من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الانجليزي .. شللى وكيتس وبيرون ووردزورث .. ومن أوائل قصائد علي محمود طه التى كتبها في المنصورة قصيدته «صخرة الملتقى» وقد أرسلها إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» التى كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين .. وقد نشرت تلك الجريدة قصيدة على محمود طه في عددها الصادر بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٧، ثم كتب إبراهيم ناجى هو الآخر قصيدته «صخرة الملتقى» وأرسلها إلى نفس الجريدة حيث نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، والحق أن ذكر التواريخ هنا أمر مهم جدا، لأنه ليس صحيحاً ما ذكره صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي من أن ناجي كان أسبقهم إلى النشر كما سأوضح تفصيلا فيما بعد، كما أنه يصبح من الثابت الآن بالدليل المادى أن ناجى لم ينظم قصيدته حوإلى عام ١٩٢٨ كما توهم صالح جودت، ولم ينظمها عام ١٩٣٠ كما قطع بهذا أحمد عبدالمعطى حجازى في مقدمة مختاراته من «قصائد إبراهيم ناجى» وهذا ما سيتضح أكثر عندما نتحدث عن قصيدة «صخرة الملتقى» بالتفصيل.

إذا كانت الأيام قد أبعدت جوقة شعراء صخرة الملتقى عنها وعن المنصورة ذاتها، فإن ناجى لم يفتر تعلقه بهذه المدينة التى قضى فيها فترة من أجمل فترات حياته .. فبعد انقضاء إحدى عشرة سنة على ابتعاده عنها عاد

إليها سنة ١٩٤٢ ليبحث عن الهدوء ويتطلع إلى السكينة وراحة البال في جوانبها بعد أن طال تغرب روحه المثقلة بهمّ السنوات وأعباء الحياة، والواقع أن ناجى قد وجد - محقا - أن تغربه يسكن داخل ذاته نفسها لا خارجها، وبالتالى فإنه من العبث البحث عن الهدوء ونشدان السكينة وراحة البال بشد الرحال من مدينة إلى أخرى، ومن هنا فإن ناجى قد صرخ ملتاعاً حين أدرك استحالة ما يبتغيه:

وافيتها وفلول النور دامية	تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أَدْرِ حين تبدت لى إذا شفقى	أبصرته أم على المنصورة الشفق
يامن منحت الأمانى البيض معذرة	إنى بهذى الأمانى البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجىّ فى جوانبها	إنى رجعتُ وليلي كله أرقُ
أقبلت أنشد أمنًا فى هواك بها	فلم أنلْ وتولىّ قلبىَ الفَرَقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملى	إنّا بشىء وراء الروح نعتنق

وقد كان من قدر الصبى المفتون بناجى أن يكون له - هو الآخر - غرام في المنصورة، تحدث عنه حينما كبر في قصيدة «أغنية حب للمنصورة» التي ضمها ديوانه الثاني «أحب.أن أقول .. لا» .. وإلى الآن فإن أصدقاء هذا الصبى الذى كبر مازالوا يعرفون فيه حنينه الدافق إلى المنصورة في حد ذاتها،

حتى بعد أن تحجرت القلوب وصدئت الأرواح وتفتتت الأحلام على صخور الأهواء إلى أن بعثرتها العواصف الهوجاء .. والحق أن هذا ليس بمستغرب من صبيٍّ ظل تصوره للحب منبثقاً - لفترة طويلة - من تصور شاعره الأثير لـــه، ولعل هذا أن يكون سر الفرحة والحسرة اللتين أحس بهما - في وقت واحد - عندما وجد الدكتور محمد مندور يعلل سر نفاذ قصائد ناجى إلى قلوب محبيها بقوله: «لقد تحكم طبع ناجى في إنتاجه الشعرى، وجارى هذا الطبع علـــى سجيته، بل غذاه بمطالعاته في الآداب الغربية، فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالى وأشواق الروح .. وهذا شعر يلقَى أكبر الاستجابة في نفوس الـــشبان المحرومين رغم تفتحهم للحياة ... » لقد فرح الصبى بحديث الدكتور مندور لأنه فسرله سر تعلقه بناجى تفسيراً موضوعيا، وأصيب الصبى بالحـــسرة لأن حديث الدكتور مندور نبهه إلى أنه شاب محروم رغم تفتحه للحياة!!..

يبقى أن أقول إن الصبى المفتون بناجى كان كثيراً ما يعـــذب نفـــسه بقوله إن حبه لشاعره الأثير حب غير مكتمل .. وإلا فما معنى أنه لا يستطيع - في أحيان كثيرة - أن يتذكر عناوين قصائد شاعره؟! صحيح أنه يحفـــظ القصائد نفسها عن ظهر قلب إلى الآن .. أما عناوينها فإنها هى التى كانـــت تجعله يتصور أن حبه لناجى حب غير مكتمل .. فكثيراً ما كان يحس بالحرج عندما يطلب منه أصدقاؤه أن ينشدهم قصيدة «الحنين» على سبيل المثـــال، فيسمعهم بدلا منها أبيات قصيدة «مناجاة الهاجر»!!! لم يكن لدى الـــصبيِّ

وقتها تفسير ولا كان لديه تبرير، لكنه ذات مرة التفت إلى مقدمة أحمد الصاوى محمد التى تصدرت ديوان «وراء الغمام» فوجده يقول «يكاد يكون ديوان ناجى قصيدة واحدة وقصيدة حب» .. وبعدها تنبه إلى أن الدكتور محمد مندور قد أطلق على الفصل الذى تحدث فيه عن ناجى في كتابه «محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقى» اسم «ناجى .. قصيدة غرام»..

أجل ... إن ناجى قصيدة غرام متسقة، مهما تتنوع الموسيقى في مقاطعها الممتدة، أو تتغير القوافى في أبياتها .. ومن هنا فإن العناوين ليست في مجال الغرام بذات بال .. فالمهم في الوردة الجميلة المتفتحة شكلها ورائحتها لا اسمها أو عنوانها!!!.

ناجي ... الفراشة الحائرة

عاش ناجي حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرم منها طيلة حياتــه، علــى الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه، وهذا ماسأوضحه فيما بعد عند الحديث عن «زهرة المستحيل والأخريات».

وكلما توهم ناجي أنه قد وجد الزهرة الــتي تعوضــه عــن زهــرة المستحيل، كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له، وكانت تلك الهوة العميقة تفصل ما بين المثال الذي خلقته تصورات شاعر مثالي للمرأة التي ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوماً مرفرفة في محرابها العلوي بعيدا عن البشر الفانين، وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة ذاتهــا بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية. هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع هى نفسها التى جعلت ناجي يحترق طيلــة حياته .. وأغلب ظنى أنه كان يعى هذا ويدركه تماماً، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلا جديداً مغايراً لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التى حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت – مجتمعة – لكى تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم كرهه .. هذه العوامل هى التى يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر..؟!..

حقا إن ناجي كان – في بعض الأحيان – يتمرد على تصوراته للمرأة التي ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها في الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب، لكن الحق أيضاً أن هذا التمرد لم يكن يزيد على كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار .. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة في نفس الوقت حيث يقول في قصيدة «بين الشاعر والريح» التي أصبحت –فيما بعد – أبياتاً من قصيدته الشهيرة «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوبًا ونساء

فتخيّر ما تشاء .. ذهبَ العمر هباء

ضلّ في الأرض الذى ينشد أبناء السماء

أى روحانية تُعْصَرُ من طين وماء

وبالطبع .. ما تلبث هذه الفقاعة أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التي حاول أن يخرج عنها .. ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معاً كلما تمعن في شتى مظاهر الحياة .. إنه يتساءل عن الدافع الذى دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهيا حافلا بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم .. إنه يتساءل ويتساءل .. ثم لا يدع أحداً غيره يجيب، فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين في أفق حلّقا» فكل هذا الجمال

ليس له من معنى في نظر الطائر المفرد الروح الذى يضرب في متاهـــة الأفـــق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتنها وسحرها وتمتع بجمالها وروعتها .. هذا ما يقوله نـــاجى في الـــنص الكامل المجهول لقصيدة «صخرة الملتقى» .. يقول الشاعر متسائلا:

لمـــن زَيَّـــنَ الله هـــذى الـــسماء أو جَمَّـــلَ الكـــون أو نـــسقا ؟
لمـــن يطلـــع الفجـــر فى أفقهـــا فيبـــدو بهـــا ضـــاحيا مونقـــا ؟
لمن مَسَّ هـــذا النـــسيم الغمـــام فرقـــرقَ منـــه الـــذى رقرقـــا ؟
إذا ذكرتـــــــه الحمـــــــائم أنَّ وإن ضـــاحكته الـــربى صـــفقا
أللطائر المفـــرد الـــروح يمـــضى يرود المـــوارد عـــن مـــستقى ؟!
وربِّـــك لـــيس لهـــذا ولكـــنْ لـــــروحين فى أفـــق حَلَّقـــا

وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بغير الحـــب، ثم يجيـــب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه في إطار رؤية شاملة، فإنه – في البيتين التاليين– يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنـــه بدونها لا يجد لها معنى ... في هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما نجده يقرر .. وهو – في هذه المرة – يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتي بحت لافي إطار رؤية شاملة .. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنتِ التى علمتنى معنى الحيـــاة حبيبـــة ونجيـــة وصـــديقا
أنكرتُ معناها بغيرك واستوتْ وتشابهْت سعة عليَّ وضيقا

والواقع أن الحياة - في نظر ناجي - كانت مسرحاً كبيراً يظل الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التي حددها لهم المخرج مقدماً، وأسعدُ الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء - وحدهم - هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التي يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة - على هذا النحو - عند ناجي، يجد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر، ويبدو لى أن هذه الصورة قد ارتسمت في مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذي كان يعكف على قراءته منذ كان شابا، ثم ترجم له - فيما بعد - عدداً من «سونتاته» .. ولقد تمثل ناجي هذه الصورة تمثلا عميقاً، بعد أن استوعب دقائقها في «ماكبث» شكسبير على وجه التحديد، وها هو يرسمها في إحدى قصائده المبكرة التى نشرها عام ١٩٢٢ أى وهو في الثانية والعشرين من عمره:

نزل الستار على الرواية وانقضت تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرحُ

وكان من ولع ناجي بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى رسمها فى قصائد عديدة في مختلف فترات حياته .. ومن هذه القصائد قصيدة «رواية» التى تضمنها ديوانه الثاني «ليالى القاهرة» ففيها يفصل القول ويبرز الجزئيات،

ويجدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح» قد انفض ملعبه .. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضوا كما أن أحبته قد هجروه، تاركين إياه وجهاً لوجه أمام الزمان يُسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نـــزل الــــستار ففـــيم تنتظـــرُ ... خَلَـــت الحيـــاة وأقفـــر العمـــرُ
لم يبــــق الا مقفـــــر تعـــــس ... تعـــوى الــــذئاب بـــه وتــــأتمرُ
هـــو مــــسرح وانفـــض ملعبــــه ... لم يبـــــق لا عـــــين ولا أثـــــرُ
وروايـــــة رُويـــــت وموجزهـــــا ... صحب مضوا وأحبـــة هجـــروا
عبروا بها صـــورا فمـــذ عـــبروا ... ضحك الزمـــان وقهقـــه القـــدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من وجود الحب في مشاهدها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفى منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التى تسقط – من عل – على خشبة المسرح فتحطمها في غير هوادة ولالين، والشاعر – بطبيعة الحال – لا يخشى على خشبة المسرح في حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الإطار الذى يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجي – في قصائد عديدة له – يؤكد أنه لا ضير مـــن تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذي وجهه لنفسه في مستهل

قصيدته «رواية» أن يكون شاهداً على ذلـك: «نـزل الـستار .. ففـيم تنتظر؟!».. وهكذا فإنه حين يقف أمام البحر عند الغروب متـأملا أسـرار الحياة، فإننا نجد أن ضآلة الناس تروعه، وهذا ما يجعله يبكي على تلك الضآلة المزرية ببني الإنسان أمام الأبد المجهول الذي يزداد عتمة وخفاء .. والشاعر لا يكف عن البكاء إلا عندما يلوح له من خلف الدموع وجه حبيبته، وذلك أنه يجد فيه أحر عزاء عن الضآلة المزرية لبني الإنسان أمام قوى الطبيعـة العاتيـة ومنها البحر بجلاله وجبروته، يقول ناجي في النص المجهول لقصيدة «خواطر الغروب»:

يا لهذا الجلال والأبـد المجهـول   يـزداد حـيرةً وخفـاءَ
روعـتني ضـآلةُ النـاس فيـه   فبكيـتُ الحيـاةَ والأحيـاءَ
فليدعني القضاء أبكـي لأشـفي   لم تـدعْ ذلـةُ الهـوى كبريـاءَ
لاح خلف الدموع وجهُ حبيـب   لا أرى غـيره لقلـبي عـزاءَ
قلت للقلب جاء ريـك فاهنـل   كم ظمئنـا فمـا وجـدنا المـاءَ
لم تُثبنـا الحيـاة إلا بهـذا   حسبنا وجهـه الجميـل جـزاءَ

وإذا كان الإنسان – في أوقات تبرمه بالحياة – يرى أن المستقبل ليس سوى خدعة كبيرة، يخدع بها نفسه لكي يتسنى له أن يواصل السير في ركب

الحياة، محفوفاً بالمنى البراقة التى تتوافد عليه في مقتبل العمر، فإنــه – والأمــر كذلك – لابد أن يرى أن المستقبل الحقيقي له هو القبر الذى تفــتح فوهتــه الضيقة تلك الصخرة الصماء المخيفة، حينما تسقط – من علٍ – على خشبة المسرح لتحطمها في غير هوادة ولالين:

أرى فى العبــاب كفــاح الحيــاة وتيارَهَــا الجــارفَ الأحمقــا
وألمــح فيهــا عــراك الرجــال إذا لاحــقَ الــزورقُ الزورقَــا
وكيف على رُحْبِ هــذا المجــال نــنــزلها منــــزلا ضـــيقًا ؟!

ماذا يعنى هذا المجال الرحب إذن؟! إن وجوده سيان وعدمــه مــادام الإنسان سينــزل في النهاية منــزلا ضيقاً وينتهى السعى المحمــوم إلى هــذه النهاية الأسيفة .. لماذا إذن تكذب الدنيا علينا أو نكذب نحن علــى أنفــسنا ونعللها بمنى براقة ندرك أنها لن تتحقق .. يقول شاعرنا في إحدى قــصائده المجهولة:

أَوَ هكــذا الــدنيا وذاك حالهــا أَوَ ذاك وعــد خيالهــا الكــذابِ
أمل على أمــل وآخــرة المــنى نوم على نوم مَــدى الأحقــابِ

ونحن لو عدنا من جديد إلى المرأة موضوع الحب، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الأسمى في الأدب الرومانسى بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة – كما يقول رجاء النقاش في مقدمته لديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبدالمعطي حجازى – «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، فروح الجمال تشيع فى الدنيا وفى الطبيعة إذا ما كان هناك أمل فى نجاح التجربة مع المرأة أو مجرد وهم فى هذا الأمل ، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق».

وإذا كنت قد ذكرت أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة تتنقل من غصن إلى غصن، إلا أنه من سذاجة التصور البعيد عن التعمق ما تذهب إليه الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها «ناجي الشاعر» – ص٩٥ – حيث تقول: «... من شعر ناجي نتبين أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب: فتارة يفتنه السحر والذكاء وآناً يغريه الجمال .. ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الإشراق في الأولى .. سبته السمرة والجاذبية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها ..» .. أقول إنه لمن سذاجة التصور ما تذهب اليه الدكتورة نعمات، لأن كلامها يوحى، بل يقطع بأن ناجي كان متقلباً في عواطفه .. يحب هذه يوماً، ثم يهجرها إلى أخرى يحبها هى أيضاً يوماً آخر .. وهكذا .. وحقيقة الأمر أن ناجي قد عشق المثال

الذي خلقته تصوراته للمرأة التي ينشدها، وقد كان هذا المثـــال مـــستحيل التحقق في واقع الحياة، وكان الشاعر يلهث سعياً وراءه هنا وهناك، وكان إذا عرف امرأة وتوهم أنه وجد فيها مثاله المنشود، عشق فيها هذا المثـــال إلى أن يدرك أنه غير موجود داخلها، فيتركها إلى غيرها سعياً وراء هذا المثال، كما سيتبين لنا فيما بعد. ومن أغرب القصص التي يرويها ناجي عن نفـــسه – في هذا المجال – قصة تعلمه اللغة الفرنسية، وسندعه هو يرويها بنفسه: «ملخص الموضوع أني كنت أعرف الإنجليزية فقط لأن القـــسم العلمـــي في التعلـــيم الثانوي لا يعلم الفرنسية، ولكن ما حيلتي وأنا «مضطر» للتفاهم بالفرنسية مع أعز مخلوقة في الوجود! وهي لا تعرف غير الفرنسية، وهـــي لا تحـــب غـــير بورجيه، وتعتقد أن قصة «التلميذ» قصة خالدة وتتمنى لـــو قرأناهـــا معـــاً بالفرنسية! أمنية عزيزة ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ عليَّ أن أتعلـــم بـــسرعة وأقرأها معها بسرعة ، وإلا فات الوقت ! قلت أعرف في تاريخ «الضرورات» أغرب من هذه الحكاية .. قلت لنفسي أتعلم كما يتعلم الطفـــل .. أحفـــظ الكلمات، ثم أتعلم ربطها ثم أتكلم، كلمات أولا، ثم جملا .. وهذا ما حدث .. فبعد ثلاثة شهور عدت إلى صديقتي فقرأت معها قصة «التلميذ» لبورجيه، وهي لا تكاد تصدق»..

هذه هي القصة كما رواها ناجي بنفسه – في خاتمة مقال نـــشره في جريدة «الجمهور المصرى» عدد ١٦فبراير ١٩٥٣ – وكان أصدقاؤه أيـــضاً

يروون عنه قصصاً عديدة لا تقل في غرابتها عن القصة التي رواها .. ولكن ماذا تعني هذه القصة على علاقما نظراً لأن بطلها لم يبين لنا كيف عرف أن صديقته – التي لا تعرف غير الفرنسية – لا تحب غير بورجيه وتتمنى أن تقرأ قصته بالفرنسية مع الشاعر على الرغم من أنه لم يكن يعرف الفرنسية؟! على أي حال فإن هذا ليس قضيتنا، فالمهم حقا هو ماذا تعني هذه القصة؟ قد نستغرب من الشاعر أن يكرم صديقته هذه بأن يعطيها لقب «أعز مخلوقة في الوجود» خاصة وأن صلته بها لم تكن قد توثقت بعد لأنه لم يكن يعرف اللغة التي تمكنه من توثيق تلك الصلة ، لكننا لن نستغرب هذا منه إذا أدركنا أن "أعز مخلوقة في الوجود " كانت تعرف العربية، وإن أنكر ناجي هذا، ربما لكي يجعلنا نتشوق لأحداث قصته، وهذه المخلوقة هي المثال المنشود للشاعر، لكنه لم يتحقق في الواقع كما كان هو يحلم ويتمنى. كما أن هذه القصة تبين لنا أن ناجي كان من الرجال الذين لا يتحمسون لأمر من الأمور ولا ينجزونه بسرعة إلا إذا كان وراء كل منهم امرأة ترعاه وتربت على كتفه وتنظر إليه نظرة تشع بالحنان، ولذا فإن شاعرنا قد استطاع – في مدى ثلاثة شهور لا أكثر – أن يتعلم اللغة التي جعلته يتفاهم مع صديقته ويحقق لها أمنيتها العزيزة في قراءة قصة «التلميذ» لبورجيه معه!!..

ومادمنا قد تحدثنا عن ناجي باعتباره أحد الرجال الذين يتلمسون حنان المرأة، فإننا نود أن نتحدث عن عالمه الشعري لكي يتبين لنا إلى جانب

ما نريد تبيانه كيف أن تلمس حنان المرأة كان نغمة يستعذبها ولا يمل تكرارها من صباه إلى شيخوخته، ومن بدايات قصائده إلى آخر ما كتب في حياتــه، وإذا كان لكل شاعر أصيل عالمه الفني المميز الذى نستطيع القول إنه عالمه هو فحسب، فإن الصور الشعرية التى تستهوى مثل هذا الــشاعر، فيعمــد إلى تكرارها بصورة ملحة على امتداد قصائده، تشكل لبنة من اللبنات التى يشيد بها الشاعر عالمه هذا، وشاعر الحب الأصيل لابد إذن من أن يرســم صــوره الشعرية من تجربة الحب بكل ما فيها من إشراق وكدر، ولو أننا تتبعنا هــذا عند ناجي لوجدنا أن هناك ثلاث صور شعرية كان يعمــد إلى تكرارهــا في قصائده بصورة ملحة، أولى هذه الصور هي صورة بناء الشاعر الذى يبدو لنا بناءً متهاوياً متداعياً إلى أن تجيء الحبيبة، فترفع هذا البناء شــامخاً ثم تهجــره الحبيبة فيتهيأ للسقوط، أما الصورة الثانية فهى صورة يد الحبيبة التى تمسح عن الشاعر همومه وتمسح - في نفس الوقت - خطايا عصره، وتبث في قلبه العزم والثقة بالنفس، وثالثة هذه الصور صورة الفراشة التى ترمز حينــاً إلى قلــب الشاعر الذي يحب النور ولو كان فيه احتراقه، كما ترمز حيناً آخر إلى حياة الشاعر ذاتها، وهذه الصورة سيرد الحديث عنها عندما نتحدث عن قــصيدة «بين الشباب والشيب»..

وسنكتفى هنا بتتبع الصورة الأولى تتبعاً سريعاً عبر نتاج الشاعر كما سنشير إلى الصورة الثانية على عجل، لقد كان ناجي - في أشهر قصائده -

وهى قصيدة «العودة» - يرى أن حبيبته هى ركنه الحانى الذي يلجأ إليـــه، محتمياً بظلاله الناعمة، لكى ينشد الراحة من بعد طول المسير في صحراء الحياة الموحشة، وفي هذا - بطبيعة الحال - نشدان للحنان الذى يبتغيه الشاعر وقد كان هذا الإحساس يبرز ويتضخم في قصائد متعددة له، فهو يقول في قصيدة «العودة» من ديوانه الأول «وراء الغمام».

ركنىَ الحـــانى ومغنـــاى الـــشفيق   وظلال الخلـــد للعـــانى الطلـــيح
علـــم الله لقـــد طـــال الطريـــق   وأنـــا جئتـــك كيمـــا أســـتريح

ثم يعاود نشدان الحنان في قصيدة «خمر الرضا» من ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، لكنه - هذه المرة - يلجأ للتصريح بأنه يريد أن يتوسد صدر الحبيبة البر لكى يرتاح على خفقاته من بعد أن تعبت روحه كما تعب جسده أيضا، بينما كان - في المرة السابقة - يلجأ إلى التلميح بذكر الركن الحانى وظلال الخلد فحسب:

كم تمنيت صدرك الـــبر يرتـــاح   على خفقـــه الطريـــدُ المعـــذب
هات وَسِّـــدْنِى الحنـــان عليـــــه   جسدى متعب وروحـــىَ متعـــب

ومن هذا المنطلق بدأت صورة «البناء» تتشكل في وجدان الشاعر، فهو يعاتب حبيبته على تركها إياه وحيداً لأنه يرى أن وجودها جنبه يخفف عنه جهد العيش، فهي التي ترفع «البناء» إذا مال وتقيمه إذا انهار، ولذا فإن الشاعر كان يحس أن الأيام لا تقوى على هد «بنائه» هذا طالما أن هذه الحبيبة إلى جواره:

بحبك أستشفى فكيف تركتنى ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وكنت إذا شاكيت خففت محملى فهان الذى ألقاه في العيش من جهد
وكنت إذا انهار البناء رفعته فلم تكن الأيام تقوى على هدّى

واذا كانت هذه الصورة منتزعة من إحدى قصائد ديوانه الثانى فإن ناجى قد عمد إلى تكرارها في إحدى قصائد ديوانه الثالث «الطائر الجريح» وهى نفس القصيدة التى يحمل الديوان اسمها، وفيها يبين أنه لولا وجود الحبيبة جنبه لما كان قد قال لشيء في الوجود مرحباً، ولولاها أيضاً لما وجد الحنان .. أليست هى التى أقامت «بناء» الشاعر من لاشيء:

لولاك ما قلت لشيء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركنا غنيا بالحنان .. طيبا
أنت التى أقمتِ مرفوع البناء من هَبَا

هذه هى الحبيبة التى أقامت «بناء الشاعر» فلا عجب إذا رأينا أن روح الشاعر تتحول إلى ظل شاحب يمتد في هيكل متخاذل الأسوار بعد أن رحلت الحبيبة وارتحل النور الذى كان يضِيء جنبات «البناء» بارتحالها، على نحو ما نرى في البيتين التاليين المنتزعين من قصيدة «الفراق» التى يضمها ديوان «الطائر الجريح»:

يامن رفعت بناء نفسى شاهقاً ... متهلل الجنبات بالأنوارِ
اليوم لى روح كظل شاحب ... فى هيكل متخاذل الأسوارِ

هذه هى صورة «البناء» أما صورة يد الحبيبة فإن الشاعر يرسمها لنا — بصورة ناضجة — فى قصيدة "بقايا حلم" التى يتضمنها ديوانه الثالث «الطائر الجريح» فهو يطلب من الحبيبة أن تُبقى يدها في يده، لكى ينفض بها عن نفسه الخوف من الغد المجهول الذى يبين الشاعر أنه يخشاه دوماً لأنه يفرق بينه وبين الحبيبة، ويظل الشاعر يصور إحساسه بوقع يد الحبيبة على روحه الرقيقة، فمنها يستمد الثقة بالنفس ويشد الأزر، ومن عناقها ليده يؤمن أن حبه باقٍ معه وأنه لم يكن حلماً .. وانتهى:

كلما خلّى حبيبى يده ... لحظة قلت وحبى أبقها
أبقها أنفضْ بها خوفَ غد ... وأحس الأمن منها وبها
أبقها اشددْ بها أزرى إذا ... ضعف الأزرَ أو العزمُ وهَى

أبقهـــا أومـــنْ إذا لامـــستها   أن حبى لـــيس حلمـــاً وانتـــهى

والواقع أن تصوير يد الحبيبة هنا لم يكن لأول مرة، فقد سبق للشاعر أن صور تلك اليد في قصيدة «توأم الروح» المجهولة والتى نظمها عام ١٩٣٥، وهو يطلب – هنا أيضاً – من حبيبته أن تُبقى يديها، لأنهما – من جهة – يدا ملك من الملائكة، ولأنهما شفاؤه – من جهة أخرى – فقد جرحتــه أيامـــه وجنى عليه زمنه، وهو لهذا ينادى الحبيبة طالبا منها أن تُقبل إليه لكى تشفيه مما أصابه، ولكى تغفر يداها جرح الأيام:

يداك يا كلَّ أحلامى يـــدا ملـــك   هما شفائى هما .. ياكلَّ أحلامـــى
إلى بالله أنسى مـــا جـــنى زمـــنى   وامددهما لى تغفر جـــرح أيـــامى

ويستطيع المتتبع لقصائد ناجى مجتمعة أن يرى كيف كـــان الـــشاعر يعمد إلى تكرار صورة: «يد الحبيبة» التى تفعل الأعاجيب، ومهما يكن مـــن أمر فإن الشاعر لم يكن يرتوى أبداً، فقد كان سريع التعطش إلى سكينة الروح التى يرى أن مبعثها يكمن في أن تحنو عليه الحبيبة، لكى تقيم «بناء نفسه» أو أن تلمسه يدها لكي تشد أزره ... ألم أقل إنه عاش حياته فراشة حائرة؟..

بين زهرة المستحيل .. والأخريات

ما الذي يمكن أن نراه حين نقف على أحد الشواطئ، وننظر إلى البحر الممتد أمامنا؟.. إننا نرى الأمواج وهى تتلاحق وتتتابع موجة في إثر أخرى، ونراها في عنفوانها وهى مقبلة من بعيد، كما نراها وهى تتكسر وتنبسط على الرمال فوق أقدام الشاطئ، ونرى الزبد الذى سرعان ما يذهب جفاء دون أن يمكث في الأرض، لكن هل ما نراه ممتدا أمامنا هو البحر حقا؟ لا، ليس هو البحر حقا، إنما هو المظهر الخارجى له، فالبحر حقا يكمن فى الأعماق، بكل ما فيها من أسرار ومن حياة ومن جزئيات وتفاصيل، لكن الأعماق لا يراها من يكتفون بالوقوف على الشاطئ...الأعماق تتطلب الجسارة التى تهيئنا لأن نغوص فيها لنتعرف ولنستكشف ما هو مخبأ وكامن في ثناياها ..

الذين يحكمون على الشاعر – أى شاعر – من خلال ما يبدو لهم من مظهره الخارجى، لا يختلفون كثيراً عَمَّنْ يكتفون بالوقوف على الشواطئ، متصورين أنهم قد عرفوا البحر. للشاعر أعماق كأعماق البحر، ونحن لا نستطيع الحكم عليه إلا إذا آثرنا أن نتغلغل في الأعماق، لنستكشف ما قد يتاح لنا استكشافه من الأسرار والجزئيات والتفاصيل، التى تؤلف – مجتمعةً – عالماً بأسره، هو عالم الشاعر المستكن في هذه الأعماق.

الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجي هو الذى جعل الدكتورة نعمات فؤاد ترى « ... أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب، فتارة يفتنه السحر والذكاء وآنا يغويه الجمال ...». والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى دفع عباس خضر لأن يشن حملة استهزاء على بعض قصائد ناجى العاطفية، وقد امتدت هذه الحملة أسابيع عديدة على صفحات أعداد من مجلة «الرسالة» خلال السنوات ١٩٤٧ -١٩٤٨ - ١٩٤٩، وعلى سبيل السخرية المرة لَقَّبَ عباس خضر ناجى بـ «الدكتور عمر بن أبى ربيعة» الذى يتغزل في هذه وتلك وبأخريات غير هذه وتلك، والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى حدا بنعمان عاشور لأن يقول في مجلة «الدوحة» - عدد مايو ١٩٨٠ «... كان ناجى كلما رأى امرأة وقع في حبها .. فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوى مثل «قزقزة اللب» .. وكامل الشانوى نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعاً .. مثلهما تماماً .. والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر..»..

لو أننا انسقنا وراء الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى، وهو الحكم الذى أصدره كل من د. نعمات فواد وعباس خضر ونعمان عاشور، ومعهم آخرون عديدون، فإننا نستطيع القول إن ناجى كانت له صولات

وجولات، تجلت في قصائد عديدة، مع كثيرات من الفنانات الممثلات والمطربات والكاتبات والشاعرات، فقد كتب ناجى – على سبيل المثال – قصيدة في ديوانه الأول عن أمينة رزق، ولكنه وضع نقاطاً مكان اسم تلك الفنانة، ولكن من يراجع مجلة «أبولو» يجد أن اسم «أمينة» قد ورد في نص نفس القصيدة والذي حذفه ووضع نقاطاً مكانه في النص المنشور في «وراء الغمام» وكتب ناجي عن «زوزوات عرفهن» والزوزوات اللواتى عرفهن هن «زوزو حمدى الحكيم وزوزو ماضى وزوزو نبيل»، وكتب ناجى عن المطربة شهر زاد وعن الراقصة سامية جمال، كما كتب عن الشاعرات منيرة توفيق وجليلة رضا وأمانى فريد .. وكل هذه الأسماء ليست على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال!!..

ماذا لو لم نقنع بالوقوف على الشاطئ قائلين: هذا هو البحر يمتد أمامنا؟... ماذا لو أننا تغلغلنا وغصنا في أعماق البحر؟!!..

على المستوى الحياتى، كانت هناك حبيبة واحدة، هى التى أسميها «زهرة المستحيل» وهى التى حرم منها ناجى طيلة حياته رغم أنها إحدى قريباته، وعلى المستوى الإبداعى، فإن هذه الحبيبة وحدها هى التى ألهمت ناجى روائع عديدة، من بينها رائعة «الأطلال» التى زعمت إحدى الممثلات أنها ملهمتها منذ أن غنت الراحلة العظيمة أم كلثوم مقاطع منها، مزجتها مع مقاطع من قصيدة أخرى ...

من هذه الحبيبة؟ .. من هى «زهرة المستحيل»؟

«زهرة المستحيل» التى أحبها ناجى، لها وجودان، وجـود خيـإلى، ووجود حقيقى، أما الوجود الخيالى فيتمثل في «دورا» بطلة «دافيـد كـوبر فيلد» لتشارلز ديكنـز، وأما الوجود الحقيقي فيتمثل في قريبة ناجى الجميلة التى حرمته منها، وبوجدان الشاعر مزج ناجى بين الوجود الخيالى والوجـود الحقيقى مزجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما!!..

والآن .. فلأشرح الأمر ..

في مقال مطول، كتبه ناجى في جريدة «الجمهور المصرى» قبل رحيله عن عالمنا بنحو شهر واحد، تحدث الشاعر الرقيق عن الكتب التى أثـرت في حياته، وما يهمنا منها هنا هو حديثه عن رواية «دافيد كوبرفيلد»..

يقول: «كان هذا في مستهل الصبا .. سمعت كثيراً من القصص التى كان يقصها والدى على أمى .. سمعت «أوليفر تويست» وسمعت كل قصص رايدارهاجارد، وسمعت وسمعت .. ولكن الذى انطبع في ذهنى هـو دافيـد كوبرفيلد. لا أعرف ما السر في ذلك، ولكنى أعتقد الآن أن قوة هذه القصة في أنها سيرة صادقة لديكنـز بالذات، عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاتـه، وشرح فيها الحب العفيف الراقى أوفى شرح، وكنـت أنـا إذ ذاك في بـدء محاولاتى للشعر، فلم يكن عجيباً أن ينتعش ديكنـز في خيالى بسمو روحـه ونقاء قلبه، مع أنه لم يكن شاعراً، ولكن الذى كتبه نثراً هو في الحق أرفـع

وأعلى من شعر ألوف من الشعراء .. وماذا في قصة دافيد كوبرفيلد؟! إنها تذكرني – أو على الأقل تجرى في خيالى – مع عودة الروح لتوفيق الحكيم، لا شيء غير الصدق والواقع. قصة غرام قد تنتهى للاشيء، ولكنها في الحياة كل شيء .. قصة غرام ديكنز بالفتاة «دورا» .. «دورا» التى كان لا يقول إنها حبيبته، بل كان يسميها وجوده العزيز.. أبدع وصف في لغة الهوى الرفيع .. لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعاً .. كونه الملهم، وحبه الصافى..»..

هذه هى «دورا» التى عرف تشارلز ديكنز .. وجوده العزيز فى شخصها، والتى تمثل – في نفس الوقت – الوجود الخيالى لـ «زهرة المستحيل» فى وجدان ناجى ..

أما «دورا» التى تمثل «وجود ناجى العزيز» على أرض االحقيقة والواقع، فهى فتاته القريبة – البعيدة التى كان يرمز لها بحرفَى «ع. م.»..

يتصدر ديوان «ليالى القاهرة» لناجى إهداء، هذا هو نصه: «إلى صديقى ع. م. الذى ندَّى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبت في روض الحاضر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة ... إليه أقدم ما أوحى به إلى ..إبراهيم ناجى».

وفى مقدمة ديوان ناجى الذى صدر عن وزارة الثقافة عام ١٩٦١ يقول صالح جودت – ص ٦: «... وقد حاول الكثيرون من أحباب ناجى أن

يعرفوا من يكون صديقه «ع.م.» هذا الذى آثره الشاعر بشرف الإهـــداء. ورجم بعضهم بالغيب، فقال لابد أنه صديق صباه، الشاعر على محمود طـــه، الذى عاش معه أحلى أيام العمر في المنصورة، وترددت أسماء أخرى .. أمـــا الحقيقة التى كتمها ناجى حتى عن أقرب المقربين إليه، فهى أن «ع. م.» ليس صديقاً .. بل صديقة .. بل حبيبة العمر!»..

وقبل أن أتحدث عن «ع.م.» ومن تكون؟.. فإنى أذكر هنا أن ناجى كان أهدى أحد كتبه النثرية وهو كتاب «رسالة الحياة» والذى صدر قبـــل صدور ديوان «ليالى القاهرة» إلى «ع.م» وهذا هـــو نـــص الإهـــداء: «إلى الصديق الحبيب ع.م... أيها الصديق الكريم، كيف أؤدى لك بعض فضلك علىَّ؟ أتذكر كيف كتبت هذه الرسائل؟ كتبت بوحيك وتمـــت في ظـــلال صحبتك، فمنك وإليك مرجع هذه الكلمات، أيها الصديق: لقد رضيت أن يتوج حرفان من اسمك كتابى هذا، وحسبى شرفاً، وحسبى مدى العمر سعادة وهناء»..

«ع.م» كانت ملهمة ناجى في شعره كما يتبين من إهـــداء ديـــوان «ليالى القاهرة» وكانت ملهمته في نثره كما يتبين من إهداء كتاب «رســـالة الحياة» .. فمن هى؟ ومن تكون؟.

فى السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، كانت علاقتى به علاقة وثيقة حقا، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيـــال، وفى

جلسة حميمة مع صالح جودت سألته - وقتها - عن ملهمة «الأطلال» لناجى، فأكد لى أن ناجى لم يكتب رائعته من وحى أية ممثلة من اللواتى ادعين ذلك الادعاء،، وقال لى إنها من وحى حبه الأول «ع.م.» ... فاستفسرت منه عنها فأخبرنى باسمها، ورجانى أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن ناجى كان يحبها من جانبه هو فحسب ..

وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن «ع.م.» فتأكدت .. حيث سألت الأخ الأصغر لناجى وهو المهندس الراحل حسن ناجى عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لى أن الاسم صحيح، لكنى لم أشأ أن أشير إلى اسم «ع.م.» إلا بعد أن رحلت هى أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاسم صراحة فى مقال لى بعنوان «إبراهيم ناجى .. العاشق الذى مات حبا» وقد نشر هذا المقال في جريدة «الراية» القطرية - عدد ١٨ يوليو سنة ١٩٨٤، وقلت في خاتمته: «... والآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية أجد أن من حقى أن أذكر اسمها لأول مرة .. إنها السيدة «عنايات محمود الطوير» .. «ع .م.» .. المثال الذى عاش ناجى يناجيه طيلة حياته فى قصائد عديدة» ..

والحق أننى قد اكتشفت فيما بعد أن ناجى قد صرح باسم «وجوده العزيز» الواقعى لبعض المقربين من أقربائه ومن أصدقائه، على نقيض ما كان صالح جودت قد ذكره في مقدمة «ديوان ناجى» من أن الشاعر الرقيق قد «كتم الحقيقة حتى عن أقرب المقربين إليه». وهنا أذكر أن المهندس الراحل

حسن ناجى كان قد أعارنى كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى عن الشاعر الرقيق إبراهيم ناجى، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحى – وكان من أصدقاء ناجى المقربين – يتحدث عن «ع.م» دون أن يشير صراحة إلى اسمها، حيث يقول – ص ٦٢ – «... وحدث أن هيأ القدر لناجى طفلة من قريباته تماثله في السن وتقيم في أحد قصور مدينة الأحلام فنشأت بينهما صلة ود إلى جانب القرابة، وبدأت عاطفته تتحرك بشيء لا يدرك كنهه، وبدأت ملكة الشعر تثمر في وجدانه، فنطق بالشعر وهو في سن العاشرة، وقد أطمعته هى في استمرار هذا الحب، وفى أن ينتهى بالرباط الوثيق بينهما، حتى تأصل فى قلبه، وأصبح يتمثل فيها الوجود كله كما تمثل دافيد كوبرفيلد حبيبته دورا فى قصة تشارلز ديكنز...»..

يعود محمد مصطفى الماحى – ص ٦٥ من كتابه المخطوط – فيفسر لنا كيف حُرم ناجى من «وجوده العزيز» فيقول: «.. فأما حبه الأول فقد كان – كما قدمنا – لفتاة جميلة من قريباته وهى تقطن بجواره وتمكن الحب من قلبه و لم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها، بل وجد تجاوباً منها فضمهما الحب روحيا، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر فى حياة سعيدة ، فلما وصل إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب أبت الانتظار حتى يتمم دراسته وحقرت عهده وتزوجت غيره وظل هو على حبه العفيف الذى لازمه طول حياته وكلما مرت به سانحة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول ..؟»..

الآن أستطيع القول إن ناجى كان يحب فتاة واحدة، هـــى «زهــرة المستحيل» كما أسميها، وهى «دورا» تشارلز ديكنـــز الـــتى امتزجـــت فى خياله، وهى «عنايات محمود الطوير» التى عاشت فى واقعه.

لنستمع إليه وهو يناجى «زهرة المستحيل» في قصيدة «من ن إلى ع» وهى إحدى قصائد «ليالى القاهرة»:

ياشطر نفسى وغرامى الوحيد
ما شئت ياليلاى لا ما أريـــــد
يامن رأت حزنى العميق البعيد
داويت لى جرحى بجرح جديد

ثم يشير ناجى - فى نفس القصيدة - إلى لقاء تم بالمصادفة وحـــدها دون أن يكون هناك اتفاق مسبق:

ويوم لقياك على سلمِ
فى جانب مكتئب مظلـــــمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسن الشهىِّ الفريد
فى لحظة يقفز فيها دمى

وتعقد الدهشة فيها فمـــــى

من أى كون جئتِ لم أعلمِ

يا نفحة من نفحات الخلــود

... وفى تقديرى، وعلى ضوء ما أزعم أنه غوص فى أعماق نـــاجى، فإننى أرى أن هناك قصيدة مترجمة لم يلتفت إليها أحد من دارسى ناجى على الإطلاق، رغم أن هذه القصيدة تلخص حكايته مـــع «زهـــرة المـــستحيل» تلخيصاً دقيقاً، ترجم ناجى هذه القصيدة، ونشرها في عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية والقصيدة بعنوان «سنارا» وهى للـــشاعر داويـــد سون، وقد كتب لها ناجى مقدمة موجزة، هذا نصها: «عندما هجرته حبيبته «سنارا» كان يبحث عن أخرى تشابهها فلم يعثر عليها فكتب الشاعر داويد سون هذه المقطوعة يعبر فيها عن أحاسيسه أصدق تعبير..»..

أما نص القصيدة فيقول:

حين قبَّلتُ تلك ياسنارا

وقعتْ أنفاسك بين شفتى

وقعتْ أنفاسك بين الخمر والقبلات

معذرة ياسنارا لقد كنتُ يائساً منك

وقد كنت متعباً ولكنى أخلصتُ لك على طريقتى:

ظللت أشرب وأرقص .. وأرقص وأشرب

حتى انتهى الخمر وانتهى الرقص ..

فإذا الليل كله لكِ يا سنارا!

أعتقد أن قصيدة «سنارا» تلخص حكاية ناجى مع «زهرة المستحيل»، وتؤكد ما سبق أن ذكرته من أن ناجى عاش حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التى كان ينشدها، لكنه حُرِمَ منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه. وهنا يمكننى القول أيضاً إن ناجى كانت له حبيبة واحدة، وهى «دورا» وهى «ع.م» وهى «سنارا» وهى «زهرة المستحيل» وبالتالى فإنه كان موحداً فى الحب على نقيض ما قالته د. نعمات فؤاد من أنه «ليس من الموحدين فى الحب»، ولم يكن «الدكتور عمر بن أبى ربيعة» كما قال عنه – على سبيل التهكم – عباس خضر، ولم يكن الحب عنده مثل «قزقزة اللب» كما روى نعمان عاشور، نقلا عن كامل الشناوى..

بعيداً عن حديقة الحب

قليلة هى القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب، حيث لا نراه – عبر أبياتها – فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، لكنى أزعم – في نفس الوقت – أن معظم هذه القصائد القليلة ينطلق أيضاً من الحب. لقد كتب ناجى عدة قصائد من شعر التفكه والمداعبات، وفى هذه القصائد حب متبادل بينه وبين الذين داعبهم، وكتب ناجى عدة قصائد يرثى فيها بعض الذين فقدهم، وكلهم كانوا من أحبائه ومن أصدقائه، وكتب ناجى قصائد وطنية موجهة لمصر العربية – وطنه الغالى، وفى ثنايا هذه القصائد يفيض الحب، وكتب ناجى قصائد في وصف الطبيعة، استأثر «القمر» حتى في خسوفه بنصيب كبير منها، وكان في الوصف من الحب ما فيه، بل إن ناجى كتب قصائد المدح، لكنها – في الحقيقة – كانت موجهة لأحباء له، حتى قصائده التى كتبها في مدح آخر الملوك الذين حكموا مصر قبل انطلاق ثورة يوليو المجيدة سنة ١٩٥٢فإنه كتبها أثناء انبهار الناس أجمعين بالملك الشاب فاروق الأول في بداية توليه الملك بعد وفاة الملك فؤاد الأول. أما القصائد الأخرى التى أخرج فيها ناجى نفسه من حديقة الحب، فإنني أعدها استثناء وخروجا عن القاعدة العامة، وتتمثل هذه القصائد في شعر الهجاء، لأن الشاعر حين يهجو فإنه يكره ويبغض، والبغضاء نقيض الحب، وهكذا يمكن لمن يتأملون قصائد ناجى التى كتبها في التفكه والدعابة وفى الرثاء والحماسة

الوطنية والوصف والمدح، يمكن لهؤلاء ان يتبينوا ما هو كامن فيها من الحب، باستثناء شعر الهجاء وحده. ويبدو أن ناجى قد شاء أن يؤكد ما أزعمه، فهو القائل:

ذلك الحبُّ الذى علمَّنى

أن أحب الناس والدنيا جميعا

وسأحاول الآن إلقاء نظرة سريعة على تلك القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب.

- من القصائد التى نظمها الشاعر بقصد التفكه والدعابة قصيدته التى نشرت في العدد العاشر من مجلة «الأسبوع»، وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٣١ يناير ١٩٣٤، وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان «الأدباء فى مباذلهم..!» وتصدرتها مقدمة نثرية تشرح أو تفضح مناسبة كتابتها، ذلك أن طائفة من أدباء الشباب - ذلك الوقت - كانت قد «اعتادت الاجتماع في «مندرة» الكاتب القصصى الأستاذ محمود طاهر لاشين، ولهذه المندرة نوادر وقصص فكهة لا تحصى. وكانت هذه المندرة تارة ندوة للجدل الأدبي وأخرى مسرحاً للهو والعبث البرىء، وكثيراً ما كانت تثور ضجة المجتمعين، ويعلو جدلهم وصخبهم إلى حد أن أصحاب الدار كانوا يضجون في بعض الأحيان من فرط دوشة المجتمعين إذ كانت تمتد سهراتهم في معظم الليالى إلى الهزيع الأخير من الليل. وقد خطر للشاعر الرقيق

الدكتور ناجى، وهو أحد رواد هذه المندرة أن يحيى دار «لاشـين» بقصيدة فكهة طريفة». هذه هى المقدمة التى تشرح مناسبة كتابة القصيدة أو تفضحها، وأما القصيدة ذاتها فقد أسماها ناجى «يا دار لاشين» وهى تتألف من ستة أبيات، هذا نصها:

يا دار لاشين حيتك السلاماتُ
والناس عندك ياكلوا الأكل ويباتوا
تموج بالرائح الغادى مواكبها
خلقٌ صنوفٌ وأشكالٌ عجيبات
حتى إذا كثروا في الدار وانقلبتْ
كمولد البدوِى رغى وصيحات
ترن صيحة «تيزتى» فى سلالمها
ما تختشوا والا إيه دا اللى اختشوا ماتوا
ماذا ترى العين؟ إنى اليوم في حُلُمٍ
وسكى وصودا وأقداح ومـزَّاتُ
كانوا إذا ما اتيح العرقسوس لهم
يقول قائلهم زارنى النبى ذاته!

هذه هى القصيدة الطريفة الفكهة، التى نستطيع أن ندرجها ضمن قصائد «الشعر الحلمنتيشى» الذى برع فيه - في ذلك الوقت - شعراء وزجالون عديدون، وقد كان هذا النمط الشعرى من الذيوع والانتشار لدرجة أن بعض كتابه اكتسبوا شهرتهم الأدبية من خلال كتابتهم له وحده، كما أن مجلات عديدة منها «الكشكول» و«المطرقة» كانت متخصصة في نشره هو بالذات، والواقع أن «الشعر الحلمنتيشى» كانت له وظيفة مهمة انحرف بها ناجى لكى تخدم الغرض الذى كتبت من أجله قصيدته، فقد كان هذا الشعر يقوم بوظيفة الانتقاد الاجتماعى اللاذع بصورة مغايرة تماماً لصورة الوعظ والإرشاد التى كانت تلجأ إليها القصائد الرسمية «الجليلة» وكثيراً ما كانوا يتعرضون لأفراد فاحت رائحة فضائحهم الخلقية والاجتماعية، فيصبون عليهم شواظ قصائدهم الموجعة، والحق أنهم لم يكونوا يستثنون فى هذا أميراً أوخفيراً، كما أنهم كانوا يتحدثون عن أوضاع البلاد السياسية في جرأة قَلَّ أن نجد مثلها عند غيرهم. ومن أجل هذا تعرضت المجلات والجرائد التى كانت مخصصة لنشر هذا اللون من الشعر إلى صنوف متعددة من المصادرة والاضطهاد، لكنهم كانوا يعودون سيرتهم الأولى بنفس الحماسة وكأن الحكومة - وقتها - كانت تكرمهم وتخلع عليهم الأوسمة والنياشين، وواقع الأمر أن «الشعر الحلمنتيشى» كان يستمد تأثيره البالغ على قرائه من خلال صورته المغايرة لصورة القصائد الرسمية «الجليلة»، إذ أن كتابه كانوا يلجأون

إلى انتقاد ما يريدون انتقاده عن طريق إبرازه في قالب هزلى ساخر يجعل قراءهم يضحكون ساخرين، كما يجعلهم مهيأين نفسيا لأن يغيروا هذا الوضع المنتقد أو يتمنون تغييره، وهذا هو المهم، وكثيراً ما كان كتاب هذا اللون ينقضُّون على القصائد الفخمة من تراثنا العربي القديم، بغية تحويرها وإكسابها مضموناً هزليا، فهم يهلهلون الجزالة اللغوية بطريقة عابثة، كما كانوا يعبثون بحرمة الموضوعات الخطيرة بخفة روح مصرية أصيلة، وهم – إلى جانب هذا كله – كانوا من الناحية الفنية يستخدمون نفس الأوزان والقوافى التى يستخدمها شعراء التراث الأقدمون أمثال المتنبى وأبي تمام وأبي فراس وغيرهم، وكان هذا فى حد ذاته سبباً من أسباب إضحاك قرائهم الذين كانت تتداعى فى أذهانهم المفارقات المضحكة بين القصائد التراثية الفخمة وبين قصائد «الشعرالحلمنتيشى». ويمكننا أن نأخذ مثالا لهذا، والمثال الذى سنأخذه من قصيدة لعبد السلام شهاب وكان رحمه الله وهو من أبرع كتاب هذا اللون، وقد رأى أن يهلهل قصيدة فخمة من قصائد المتنبى ، وأما المناسبة التى دعته إلى هلهلة قصيدة المتنبى وتحويرها إلى ما يحقق هدفه هو، فهى مناسبة تولى الطاغية إسماعيل صدقى رئاسة الوزارة المصرية فى أعقاب مذبحة كوبرى عباس التى وقعت يوم التاسع من فبراير ١٩٤٦ ففى يوم ٢١ فبراير من تلك السنة وهو اليوم الذى أصبح فيما بعد يوماً عالميا لطلاب العالم أجمع، سارت مظاهرة – يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه تطور الحركة الوطنية في

مصر (ص ٩٩) إنما كانت« .. تضم ما يزيد عن أربعين ألفاً وقيل مائة ألف، وأخذت تطوف بأهم شوارع القاهرة حتى بلغت ميدان التحرير (الإسماعيلية سابقاً) وهنا تصدت لها أربع سيارات بريطانية مصفحة، واقتحمت الجموع لاتعبأ، وكان مستحيلا إفساح الطريق لها، فسقط قتلى وجرحى» ومع هذا فإن الطاغية صدقى ألقى في مساء ذلك اليوم خطاباً قال فيه. إن المظاهرات السلمية التى قامت صباح اليوم، قد تحولت بفعل الأيدى التى لم تعد خافية، واندس عناصر من الدهماء في صفوف الطلبة الأبرياء .. كل هذا حَوَّلها إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر، وإن المظاهرات السلمية البريئة التى كان عمادها الطلبة الأبرياء انقلبت مع الأسف الشديد إلى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والمتعلمين» .. ولم يشر ذلك الطاغية بطبيعة الحال إلى السيارات البريطانية المصفحة التى اقتحمت الجموع، كما لم يشر إلى قوات البوليس التى استخدمت براعتها فى إصابة الطلبة العزل .. وهنا نجد عبد السلام شهاب ينقضُّ على قصيدة المتنبى الدالية التى قالها وهو خارج من مصر لكى يبتعد عن وجه كافور وهى قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»، وقد سار عبد السلام شهاب على نهج المتنبى فى الوزن والقافية، لكنه بالطبع لم يسر على نهجه في الجدية، فقد أخذ يسخر من إسماعيل صدقى ومن وزارته كما نرى من خلال هذه الأبيات:

عيد بأية حال عـــدت يـــا عيـــدُ بما مضى أم بـــأمرٍ فيـــك تجديـــدُ
أمـــا الـــوزارة فـــالترقيع يهـــدها وكـــل أيامهـــا غُلْـــب وتنكيـــد
رئيسها صدقى باشا فى إدارتـــــها طهقان تعبـــان لا رجـــل ولا إيـــد
هلا اختشيتم وداريتم كسوفكمو أم الخشا عنـــدكم بـــالله مفقـــود
يا أخيب الناس إن الناس تعرفكم مهما فشرتم وحكمُ الشعب موجود

والحق أننى قد قصدت أن أطيل فى تبيان وظيفة «الشعر الحلمنتيشى» لكى يستطيع القارئ أن يقارن بين نماذجه التى قدمها كتابه، وبـــين نموذجـــه الذى قدمه ناجى، فإذا كان كتاب «الشعر الحلمنتيشى» يقتحمـــون ميـــدان السياسة اقتحاماً جريئاً ويسخرون من بعض المواقف الاجتماعية العامة التى تهم المجتمع كله او تهم قطاعاً كبيراً من قطاعاته فإن قـــصيدة نـــاجى عـــن «دار لاشين» لا تهم - حقيقة - أحداً غير رواد «مندرة» محمود طاهر لاشـــين، وليس هذا مقصوراً على تلك القصيدة وحدها، فقصائد ناجى الأخرى، والتى كتبها بقصد التفكه والدعابة لا تهم غير عدد قليل من الناس أغلبهم ممن تعنيهم المناسبات التى قيلت تلك القصائد من أجلها، فناجى له قصيدة «تحية إلى ذقن الدكتور محمود ثابت» فضلا عن مقطوعات فى «وصف أصلع» و«حـــسناء بجانب أمها الدميمة».

* فإذا انتقلنا إلى المراثى التى تفجع فيها ناجى على الذين فقدهم، فإنها تتمثل في خمس عشرة مرثية، منها مرثيتان تنشران لأول مرة في هذه «الأعمال

الشعرية الكاملة». هناك خمس قصائد يضمها ديوان «وراء الغمام» خصص ناجى أربع قصائد منها فى رثاء «أمير الشعراء» أحمد شوقى وحده، أما القصيدة الخامسة فهى مرثية للشاعر طانيوس عبده، ويتضمن ديوان «ليالى القاهرة» ثلاث قصائد، خصص الشاعر اثنتين منها لرثاء شاعرين هما محمد الهراوى ومحمد عبد المعطى الهمشرى، أما الثالثة فهى لرثاء أحد وزراء الصحة السابقين - الدكتور عبدالواحد الوكيل، ويضم ديوان «الطائر الجريح» قصيدة رثاء واحدة، وهى - في الواقع - ليست مرثية لشخصية من الشخصيات، إذ أنه خصصها لـ «رثاء كلب صغير» وهناك مرثية للشاعر خليل مطران أضافها محققو «ديوان ناجى» إلى ما سبق من مرثيات،، وهناك مرثيتان لم تنشرا في أى ديوان من تلك الدواوين الثلاثة، حيث أتيح لى أن أنشرهما ضمن ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى، أولاهما مرثية «لشاعر النيل» حافظ إبراهيم، وثانيتهما «رثاء صديق» والصديق هو الدكتور محمد نصر الدين، وفضلا عن هذا، فإننى اكتشفت - أثناء عكوفى على جمع «الأعمال الشعرية الكاملة» - مرثيتين أخريين، وقد ضممتها إلى «قصائد مجهولة» في هذه الطبعة التى تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» وقد كتب ناجى إحدى هاتين المرثيتين عندما رحل عن عالمنا شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى ، أما المرثية الأخرى فقد كتبها عندما رحل إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» عن عالمنا.

ويلاحظ على هذه المراثى أنها متفاوتة في مستواها، فقد كان نـاجى يلجأ فى بعض منها إلى طريقة شوقى في الرثاء، حيث يخاطب الشاعر الميـت، مستنهضاً إياه من رقدته لكى يجعله يتأمل معه أسرار الحياة ومعناها أو لكـى يسأله عما يحدث للإنسان بعد موته وبهذا يتعظ الأحياء ويتذكرون «الـدار الآخرة.. دار البقاء»..!! وقد استخدم ناجى طريقة شوقى هذه فى رثائه لـه هو بالذات، وكأنه كان يريد أن يثبت لجمهور حفلات التأبين التى أقيمـت لشوقى أنه يفهم طريقته في الرثاء، وهذا ما يجعل الجمهور يحس بالتعاطف مع قائل المرثية لأنه يحس بالتقارب بينه وبين من يرثيه، هذا إلى جانب أن ناجى لم يكن شاعر رثاء بحيث تكون له طريقته الخاصة فيه، كما هو الشأن عنـده في مجال الحب، وفي بعض الأحيان كانت قصيدة الرثاء عند ناجى تثير سخرية من يستمع إليها، ومثال ذلك قصيدته التى ألقاها فى حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقية يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٣٤، ففـى هذه القصيدة يعلن الشاعر – من البداية – أن وفاة المرحوم فرصة عليـه أن يغتنمها في قول الشعر، خاصة وأنه سينتقى ألفاظاً رقيقة يرثى بها المرحـوم، يقول ناجى مخاطباً نفسه أمام الحاضرين:

موقـف حـان فـاغتنم ... وتـخـيَّر مـن الكلـم
كـل لفـظ أرق مـن ... ضـحكة الزهـر للـنديم

ويبدو أن استقبال الحاضرين لهذه القصيدة كان سيئاً، وأن هذا حــز في نفس ناجى لأنه عاد إلى الحديث عن إخفاقه في رثاء أحد أصدقائه الشعراء، بصورة أضحكت الناس منه، وقد تحدث ناجى عن هذا فى إحدى قصـــصه الذاتية التى نشرها في عدد أول نوفمبر عام ١٩٣٨ من مجلة «مجلتى» وكـــان عنوان هذه القصة «يوميات عشاق» وقد ذكر الشاعر أنه لجـــأ إلى حبيبتـــه، يلتمس عندها العزاء عن إخفاقه فى الرثاء ..

ويلاحظ أيضاً أن الشاعر كان قصير النفس في بعض هذه القـــصائد، وكأنه كان يحس بأنه لن يستطيع القول فيكف عنه بسرعة وهذا ما يبدو مثلا في رثائه لخليل مطران، فقد رثاه بثلاثة أبيات أعلن فيها رغبته في الرحيل عن الدنيا ما دام الخليل قد رحل، وأعلن أيضاً أن موت الخليل هو مصرع للعبقرية .. وعند هذا الحد سكت ناجى عن الكلام:

يانفس إن راح الخليـــل وعنـــده ودٌّ الخليـــل فعجلـــى برحيلـــى
حملوا على الأعواد فنـــا خالـــدا وارحمتـــاه لكوكـــب محمـــول
هو مـــصرع للعبقريـــة روعـــت فى عرشـــها والتـــاج والإكليـــل

كما يلاحظ أن الشاعر كان يقتطف أحياناً أبياتاً من قصائده العاطفية لكى يحشو بها قصائده في الرثاء، إما استسهالا منه ورغبة في عـــدم إجهـــاد النفس في أمر يعرف هو أنه لا يحسنه، وإما رغبة في زيادة عدد أبيات قصيدة

الرثاء لكى لا يحس القارئ بأن الشاعر في هذا المجال قصير السنفس، وإما للأمرين معاً، ففي إحدى القصائد التى خصصها ناجى لرثاء شوقى وهى قصيدة «ساعة التذكار» نجده- يقتطف أحد أبيات قصيدته العاطفية «اللقاء»، وهو لا يحور في هذا البيت المقتطف إلا خضوعاً للقافية وحدها، فقد قال ناجى في قصيدته العاطفية:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يغشاها

ولما كانت قصيدة ناجى في رثاء شوقى قصيدة رائية فإن هذا البيت قد تشكل شطره الثانى تشكيلا جديدا لكى يتلاءم مع ما قبله من أبيات في القافية وهذا هو البيت بصورته الجديدة:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الضاحك النوار

وقد فعل ناجى هذا الصنيع مرة أخرى في قصيدة «رثاء صديق» إذ أنه عمد إلى بيتين من أبيات قصيدته العاطفية «الشك»، ودسهما ضمن أبيات قصيدة الرثاء، ومع أن هاتين القصيدتين منشورتان ضمن قصائد مجهولة، إلا أننا سنبين – مع هذا– أن البيت الخامس عشر من قصيدة «الشك» هو الذى اقتطفه ناجى ودسه في قصيدة «رثاء صديق» وقد أصبح ترتيبه فيها العاشر، وهذا البيت هو:

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهى عند التراب رخيصة كتراب

أما البيت الآخر الذى أخذه ناجى من قصيدته «الشك» ودسه في قصيدته «رثاء صديق» فهو آخر أبيات قصيدة «الشك»:

وأذبت جوهرها فداء نواظر   علوية قدسية المحراب

وقد غَيَّر الشاعر – في مجال الرثاء – الشطر الأول من هذا البيت لكى يتسنى له أن يتساءل متعجباً أي حساب لصاحبه الميت وحياته علوية قدسية المحراب، مع أن نواظر حبيبته هى التى كان يقول إنها علوية قدسية المحراب .. على أى حال، فهذا هو البيت بعد تحويره:

أى الحساب لذاهب وحياته   علوية قدسية المحراب

على أنه من الإنصاف لناجى – في مجال الرثاء – أن نستثنى ثلاث قصائد، أولاها رثاء صديقه الشاعر محمد الهمشرى، فهى قصيدة رقيقة شجية ولعل هذا يرجع إلى تقارب روح كل منهما من روح الآخر، كما يرجع إلى أن الصور الشعرية المستخدمة فيها هى صور سبق للشاعر أن استخدمها في مجال الحب الذى أجاد فيه ناجى وأبدع، فهو يصور الهمشرى – كما صور نفسه هو من قبل – فى هيئة فراشة حائرة:

لا تجزعوا للشاعر الملهم   ما مات لكن صار في الأنجم
ما كان إلا زائراً عابرا   لأي سر جاء لم نعلم
كان فراشاً حائراً في الدنى   في نورها أو نارها يرتمي
فإن نجا من نارها مرة   فمن لهيب النفس لم يسلم

أما ثانية القصائد الثلاث التى أستثنيها فهى مرثية شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥، ويبدو أن ناجى كان يحبه حبا عميقاً، وهذا ما يتضح لمن يقرأ هـــذه المرثيـــة الصادقة.

وفيما يتعلق بالمرثية الثالثة فإنها آخر ما قاله ناجى فى شعر الرثاء، ومن أواخر القصائد التى كتبها قبل رحيله عن عالمنا بشهرين.

هذه المرثية هى مرثية الوزير الأديب إبراهيم الدسوقى أباظة «باشـــا» الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٣، وبعد رحيله بشهرين لحق به ناجى حيث رحل عن عالمنا - كما سبق أن ذكرت - يوم ٢٤ مارس عـــام ١٩٥٣، والواقع أن ناجى - في هذه المرثية - كان كأنما يرثى نفسه، خاصة بعد شعوره العميق بالظلم نتيجة ما حل به في حملة «التطهير» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذا ما أكده محمد مصطفى الماحى فى كتابه المخطوط عن الشاعر، حيث يقول: « ... فلا عجب أن يذيب ناجى قلبه فى رثاء الأديب الكـــبير إبراهيم الدسوقى أباظة والذى لم يستطع لفرط تأثره أن يلقيه بنفسه - وهـــو الخطيب المحاضر - فعهد إلى غيره في إلقاء المرثية، ووقف وهو يستمع إليهـــا وهو يذرف الدموع، فقلت لرفاقي إن «ناجى» يرثى نفسه ولن يطول عمره،

ولم تمض على موقفه هذا إلا بضعة أسابيع حتى رحل عن هذه الدار ليلقى صديقه ونصيره».

يقول ناجى في هذه المرثية الأخيرة:

ودعت أحلامى وعِفْتُ حياتى ودفنتُ بعدك في التراب شباتى
هيهات ليس الدمع فيك بمسعفٍ جفَّتْ على حوض الردى عبراتى
يتمثل الماضى إلى بأنسه متألق الآمال والبسماتِ
فإذا التفتُّ لحاضرى ألفيته جهما، وفَزَّعنى خيال الآتى

... إذا تركنا قصائد الرثاء،لننظر إلى قصائد الحماسة الوطنية وحب الوطن، فإننا نجدها لا تتعدى تسع قصائد، ثلاث منها نشرها ناجى ضمن قصائد ديوان «وراء الغمام»، وهناك قصيدتان يضمهما ديوان «ليالى القاهرة»، وقصيدة أضافها محققو ديوان ناجى وقد جمعوها من المصدر الذى نشرت به وهو مجلة «العمارة» - عام ١٩٤٠ وتبقى ثلاث قصائد أخرى، استطعت العثور عليها، ويجدها القارئ منشورة - لأول مرة - في هذه الأعمال الشعرية الكاملة، بعد أن ظلت مجهولة على امتداد سنوات مضت.

ولو تأملنا قصائد الحماسة الوطنية التى نشرها ناجى ضمن ديوانه الأول، فإننا سنلاحظ عليها غلبة الخطابة وعلو النبرة، وأولى هذه القصائد

تكاد تصلح برمتها نموذجاً للشعر الزاعق الذى يتسم بالطابع المدرسى، وهو مما تحفل به كتب النصوص فى المدارس الإعدادية والثانوية عندنا.

يقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة:

وطن دعا وفتى أجاب بوركتَ يا عزم الشباب

أما القصيدة الثانية فقد نشرت أول ما نشرت في العدد الأول من مجلة الأسبوع وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ وقد تصدرتها هذه السطور: «ألقى الشاعر النابغ الدكتور إبراهيم ناجى هذه الأبيات الحماسية الرائعة يوم الثلاثاء ١٤نوفمبر الجارى في دار الأوبرا الملكية في حفلة أسبوع الصحة، فأحدثت ضجة هائلة ودويا عظيماً، وقد اختص بنشرها مجلة الأسبوع دون غيرها» على أن شاعرنا لم ينس نفسه في هذا الموقف الجماعى باعتباره فردا متفردا فخص نفسه ببيتين - فيما أرى - يقول فيهما:

قل للذى يبغى الصلاح لقومه بنبيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما كل الجهود فداء هذا الوادى

أما ثالثة قصائد الحماسة الوطنية في ديوان «وراء الغمام» فهى قصيدة «الأجنحة المحترقة» وقد كتبها الشاعر بمناسبة سقوط إحدى الطائرات المصرية، والتى استشهد بسقوطها شهيدان هما أول شهداء مصر فى الطيران وكان ذلك عام ١٩٣٤، ويفتتحها ناجى قائلا:

يا أمتي كم دموع في مآقينا نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟

إلى أن يعلن أن الشهيدين قد ذهبا فداء للوطن .. فداء لمصر ..

فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً والنسر محترقاً والليث مطعونا

أما القصيدتان المنشورتان ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فأولاهما «مصر» وقد غنتها أم كلثوم لكنها لم تظفر بنجاح يماثل نجاح غناء قصيدة «الأطلال»، ومطلع هذه القصيدة يقول:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

فمصر هى المحراب والجنة الكبرى

وثانية القصيدتين هى قصيدة «بطل الأبطال». ولهذه القصيدة مناسبة مهمة إذ أنها كتبت بمناسبة استشهاد عبدالحكم الجراحى، وسندع شهيد المعتقلات المصريه عام ١٩٥٨ شهدى عطية الشافعى يروى ظروف استشهاد هذا الشهيد الراحل: «لم يكن الاستعمار يكتفى باللعب وراء الستار، وإنما كثيراً ما كان يتدخل تدخلا سافراً في شئون الحياة النيابية، فقد أصر الشعب إصرارا على إرجاع دستور ١٩٢٣، والتطويح بدستور صديقى المزيف، فصرح صمويل هور وزير خارجية بريطانيا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأنه «عندما استشيرت الحكومة البريطانية فى شأن الدستور، نصحت بألا يعاد دستور ١٩٢٣، ولادستور ١٩٣١، إذ ظهر أن الأول غير صالح للعمل، والثانى لا ينطبق على رغبات الأمة»! ليس أوقح من هذا التدخل السافر، في شئون بلد

معترف باستقلالها ولو اسميا، وليس أحقر من وزارة مصرية، وزارة السراى، وزارة نسيم التى لا تتحرك في شيء من شئون البلاد إلا باستشارة الإنجليز، واحتج الشعب، وزاد سخطه على وزارة السراى، وقامت المظاهرات في أنحاء القرى وبعض المدن، احتجاجاً على تصريح هور، وتعرض لها البوليس بالرصاص، فكان أول من استشهد هو اسماعيل محمد الخالع أحد العمال، ثم قامت مظاهرة في الجامعة استشهد فيها محمد عبدالمجيد مرسى ومحمد عبد الحكم الجراحى وعلى طه عفيفى من طلبة جامعة القاهرة، ثم عبدالحليم عبد المقصود بالمعهد الدينى بطنطا، وأعلن الحداد العام على الشهداء يوم ٢٨ نوفمبر فأغلقت المتاجر واحتجبت الصحف وعطلت المصانع وأقام الطلبة نصباً تذكاريا لشهداء الجامعة أقيم له احتفال ضخم يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تخللته مظاهرات كبيرة» وقد أفاضت الجرائد والمجلات في الحديث عن المظاهرات العارمة والإشادة بالشهداء، فنشرت «المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ صورتين للشهيدين عبدالمجيد مرسى وعبدالحكم الجراحى على صفحة الغلاف، ثم علقت قائلة: «كان من نتيجة المظاهرات التى قام بها طلبة الجامعة في الأسبوع الماضى أن ذهب ضحيتها شابان من خيرة شباب الجامعة أخلاقاً وتهذيباً هما المرحومان محمد عبدالمجيد مرسى أفندى الطالب بكلية الزراعة ومحمد عبدالحكم الجراحى أفندى الطالب بكلية الآداب، وقد احتفلت الجامعة رسميا بتشييع جنازة

المرحوم الجراحى في مشهد رهيب سار فيه كبار رجال الأمة ورجال الجامعة وطالباتها وطلبتها، أما المرحوم عبدالمجيد مرسى فقد دفـــن في الأســـكندرية بإشراف رجال البوليس الذين نقلوا جثته من مستشفى القصر العينى، وذهبوا بها إلى الأسكندرية حيث دفنت .. وقرر طلبة الجامعة أن يلبسوا شارة الحداد العام على أرواح الذين استشهدوا من أبنائها في الأسبوع الماضى» ..

والحق أنى قد تعمدت إطالة الحديث بعض الشىء فيما يتعلق بالمناسبة التى هيأت لناجى كتابة قصيدته «بطل الأبطال» التى تشتمل عليها «قـــصائد مجهولة»، ولكن بعنوان آخر هو «أعاصير مصرية» وبعد أن عدل فيها الشاعر تعديلا عجيباً سيرد الحديث عنه فى معرض الحديث لكى يتضح للقارئ بعـــد قراءته للقصيدة ذاتها أنها دون مستوى الأحداث التى قام بها خيرة شباب مصر فى ذلك الوقت، بل إن الأحداث نفسها لم تظفر من الشاعر بأى اهتمام على الرغم من أهميتها وقدسيتها، أما ماظفر باهتمام الشاعر حقا فهو الصبح الذى يطلع على ربى مصر، فإذا الورد ضحوك في الأكم، حتى إذا حل المساء انقلبت هذه الربى فوهة حمراء تغلى بالحمم، وبسيل الدم، وهنا يطرح الشاعر تساؤله الغريب: هل هذا الدم هو لون الورد أم لون الموت أم لون الجحيم:

يطلع الصبح على هـــذى الـــربى ... فإذا الورد ضـــحوك فى الأكـــم
فـــإذا أمـــسى المـــساء أنقلبـــت ... فوهـــة حمـــراء تغلـــى بـــالحمم
لست تدرى إذ تراهـــا ظمئـــت ... فروى الأحـــرار واديهـــا بـــدم:
ذاك لون الورد أم لـــون الـــردى ... الجاثم أم لون الجحيم المضطرم ؟!

أما القصائد الثلاث التى اكتشفتها وضممتها إلى الأعمال الشعرية الكاملة، فإن أولاها بعنوان «تحية لمجد مصر» وقد ألقاها ناجى في مؤتمر طبى عقد بمدينة «الأقصر» في يناير عام ١٩٣٤، ومطلعها:

بلاد النيل يا مهد المعالى ويا وطن العظائم والجلالِ

أما القصيدة الثانية، فقد كتبها ناجى عام ١٩٤٧ ومطلعها:

اليوم يومك في الرجال فنادِ

في ساحة مجموعة الأشهادِ

وإذا كان ناجى قد اقتطف أبياتاً من شعره العاطفى ودسها فى قصائد الرثاء التى كتبها - كما سبق أن أوضحت - فإننا نستطيع القول إن نفس الظاهرة قد تكررت، حيث اقتطف ناجى أبياتاً أو عدَّل وحوَّر في أبيات من قصيدة «في يوم الشباب» التى يضمها ديوان «وراء الغمام»، وعاد ليدسها فى هذه القصيدة الثانية، وقد سهل عليه هذه المهمة أنه اختار «الدال» حرفا للروى في القصيدة الثانية، وهو نفس حرف الروى فى قصيدة «يوم الشباب» التى يستهلها قائلا:

اليوم يومك في الشباب فنادِ

لا نوم بعد، ولا شهىَّ رقادِ

وهكذا استبدل ناجى «الشباب» بـ «الرجال» في قصيدته الثانية،أما الشطر الثانى من البيت الذى استهل به ناجى قصيدته الثانية، فإنه هو نفس

الشطر الثانى من البيت الخامس عشر من أبيات قصيدته «فى يوم الشباب»، على أنه من باب الإنصاف للقصيدة الثانية القول إنها تضم أبياتاً رائعة، منها هذه الأبيات :

يا مصر! يا مصر الحبيبة إن يرمْ
منى الفداء، دمى لحبك فادى
تالله لوفى الخلد كنتُ بموضع
أو في المجرة مصبحى ومهادى
لرنتْ لشطيك النواظرُ من علٍ
وهفا إليك من الجنان فؤادى

وعلى الرغم من إعجابى بهذه الأبيات، إلا أننى أتصور أن ناجى حين كتبها كان يتمثل بيت أحمد شوقى الأخاذ:

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ولست أدرى إن كان ناجى قد قرأ ناظم حكمت فى تلك الفترة أم لا؟ .. فالشاعر التركى الكبير كان قد قال:

وضعوا الشاعر فى الجنة
فصرخ قائلا:
آه .. يا وطنى

ونأتى إلى القصيدة الثالثة من القصائد التى اكتشفتها، وهى قصيدة «المجد الحى» فأقول إنها من روائع ناجى التى ألقاها فى مدينة «الزقازيق» عام ١٩٤٧، وفيها إشارة واضحة إلى الزعيم أحمد عرابى وإلى موقعة «التل الكبير». وقد أرهقنى البحث عن هذه القصيدة الرائعة، ففى البداية قرأت أبياتاً قليلة منها في ثنايا مقال كتبه وديع فلسطين عن ناجى فى مجلة "الأديب" البيروتية ، وقد أشار وديع فلسطين إلى كتاب للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى هو كتاب «دراسات في الأدب والنقد» وقال إن د. خفاجى هو الذى نبهه بنفسه إلى تلك الأبيات، ثم وجدت نفس هذه الأبيات القليلة منشورة في ثنايا مقال، كتبه علي متولى صلاح، ونشر فى مجلة «الرسالة» – عدد ٨ سبتمبر عام ١٩٤٧، وفى المقال إشارة إلى كتاب صدر في نفس ذلك العام، فأرسلت إلى الصديق فتحى عبد الحافظ رسالة من الدوحة – حيث أعمل – طالباً منه أن يصور لى قصيدة ناجى الموجودة ضمن العديد من القصائد لشعراء آخرين فى ذلك الكتاب الذى أشار إليه على متولى صلاح، وبالفعل لم يطل بى الانتظار، وإذا برسالة من فتحى عبدالحافظ تضم هذه القصيدة مصورة كما طلبت منه، وكانت فرحتى بها كبيرة بعد أن قرأتها، وهذه هى الأبيات الأولى منها:

يا أمة نبتتْ فيها البطولاتُ
لا مصر هانتْ ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه
كما تطير إلى النار الفراشاتُ

....

أين الغزاة الأُلى مروا بنا زمراً

وأيـــن بالله تـــيجـــان ودولاتُ

طافوا البقاع فلما حلَّ رحلهم

بمصرَ لم يصبحوا فيها كما باتوا!

وفيما يتعلق بقصائد الوصف عند ناجى، فإن له قصائد عديدة عـــن «الربيع»، وكلها تحمل عنوان «الربيع» فاضطررتُ لكى يسهل التمييز بينـــها إلى أن أشير إلى العام الذى كتبت فيه كل قصيدة منها، وعلى سبيل المثال فإن قصيدة «الربيع» التى كتبها ناجى عام ١٩٤٦ جعلت عنوانها «الربيع – عام ١٩٤٦».. وهكذا. ولم يكن «الربيع» وحده هو الذى استأثر باهتمام ناجى فى قصائده الوصفية، فقد احتل «القمر» مكانته هو الآخـــر، وإلى جانـــب «الربيع» و«القمر» نجد «الورد» كما نجد «الطبيعة» ذاتها، وهـــذا مطلـــع قصيدة «الطبيعة» التى تنشر لأول مرة في هذه الأعمال الشعرية الكاملة:

وافنى نغتنم جمال الطبيعه

ويرى المرءُ في الربيع ربيعه

خلِّ ضيق الديار وانزلْ برحبٍ

من رياض ومن غياض وسيعه

* من القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب، تتبقى أمامنـــا قصائد المدح والتى أطلق عليها هو «قصائد التكريم»، والحق أن هذه القصائد – كما سبق أن أشرت – موجهة إلى أصدقاء وإلى أقـــارب، ممـــن احتلـــوا

مناصب رفيعة، لكن علاقة ناجى بهم كانت علاقة محبة، وممن توجه إليهم الشاعر بقصائد المدح أو «التكريم» إبراهيم عبدالهادى «باشا» - « على باشا» إبراهيم - أنطون «باشا» الجميل - عبدالحميد «باشا» عبدالحق - عزيز أباظة «باشا» - إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» الذى يقول عنه ناجى فى «ليالى القاهرة» إنه «أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما فى ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان»، ولعلنا نتذكر أيضا أن ناجى قد رثى إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» مرثية صادقة ورائعة، سبق أن أشرت إليها..

ويضم «ليالى القاهرة» قصيدتين عن الملك السابق فاروق الأول، أولاهما فى عيد ميلاده، والثانية فى عيد تتويجه، لكن هناك قصيدة ثالثة لم أستطع الحصول على نصها الكامل، وإن كنت قد قرأت أبياتاً منها فى جريدة «السياسة الأسبوعية» ففى عدد السبت ٢٠ فبراير عام ١٩٣٧ من هذه الجريدة إشارة إلى المهرجان العظيم بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك»، وسأثبت هنا نص هذه الإشارة حتى نتعرف على أجواء «المهرجان العظيم».

تقول «السياسة الأسبوعية»: «نظمت رابطة الشباب العربى لإحياء القومية العربية في يوم الخميس الماضى (أى يوم ١٨ فبراير عام ١٩٣٧) مهرجاناً عظيماً بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك، وألقى كلمة الافتتاح صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة ثم وقعت فرقة معهد الاتحاد الموسيقى برياسة إبراهيم شفيق نشيد جلالة الملك، ثم ألقى الأستاذ حافظ محمود كلمة طيبة عن الملك فى روح الشباب ثم تحدثت الآنسة المهذبة ابنة الشاطئ عن ملك العهد الجديد، ثم أنشد الدكتور إبراهيم ناجى

قصيدة عصماء وتكلم الأستاذ أحمد حسن الباقورى عن الملك الصالح ثم ألقى الشاعر محمود حسن إسماعيل النخيلى قصيدة، ثم اختتمت الحفلة بالسلام الملكى ...». وأما الأبيات المنشورة في «السياسة الأسبوعية» من قصيدة ناجى عن الملك، فإننى أثبتها هنا من باب الأمانة تجاه شعر ناجى، فضلا عن أنها أبيات جميلة، وهذا نصها:

قل للمليك إذا وافيت سدته
إخلاصنا لك أضحى عندنا دينا
يا عارفاً بأمانى الشعب فى زمن
مصر وأنتَ به أغلى أمانينا
ويا ندى طائفا أيان ما لمستْ
كفّاه تربتها اخضرت رياحينا
يا من بذلتَ لنا أيام محنتنا
كفًّا تؤازر أوعيناً تراعينا
وياهوى الناس فى حل ومرتحل
سمعتَ آهاتنا فاسمعْ أغانينا

... هل خرج ناجى من حديقة الحب بقصائده التى كتبها فى التفكه والمداعبات، والرثاء، والحماسة الوطنية، والوصف والمدح؟ .. أكاد أجيب قائلا: لا .. لم يخرج .. لكنه خرج من حديقة الحب حقا حين كتب قصائد قليلة جدا من شعر الهجاء ..

إطلالة على العطاء الشعرى

لم يكن العطاء الذى خلفه لنا ناجى محصوراً في الشعر وحده، فقد كان له عطاء نثرى غزير ومتنوع، ليس هذا مجال الحديث عنه، فالحديث هنا يتركز حول عطائه الشعرى الذى أكسبه ما أكسبه من شهرة وذيوع صيت، وكان ناجى قد بدأ نشر قصائده فى مجلة نصف شهرية، هى مجلة «السيدات والرجال» ابتداء من عام ١٩٢٢، ثم نشر قصائد أخرى في جريدة «السياسة الأسبوعية» ومجلة «الهلال» ثم مجلة «أبولو» التى نشر فيها الجديد من قصائده، كما أعاد نشر بعض قصائده التى كان قد نشرها من قبل على صفحاتها. وخلال حياته لم يصدر ناجى غير ديوانين فحسب، ثم صدر له بعد رحيله عن عالمنا ديوان ثالث، وجمعت هذه الدواوين الثلاثة وأضيفت إلى قصائدها بضعة قصائد وصدرت في ديوان ضخم يشملها جميعا هو «ديوان ناجى»، ثم صدرت مختارات من قصائد ناجى، ونستعرض هنا هذا العطاء الشعرى.

«وراء الغمام» – الديوان الأول

كان عام ١٩٣٤ عام خصوبة شعرية، ففيه صدر ديوان «وراء الغمام» أول دواوين ناجى، إلى جانب أنه شهد صدور دواوين «الكائن الثانى و «الينبوع» للدكتور أحمد زكى أبو شادى، و«الألحان الضائعة»لحسن كامل الصيرفي، و «ديوان صالح جودت» و «الزورق الحالم» لمختار الوكيل، و«ظلال القمر» لأحمد مخيمر، و «الملاح التائه» لعلي محمود طه و «ديوان

الماحى» لمحمد مصطفى الماحى، أما أول دواوين محمود حسن إسماعيل وهو ديوان «أغانى الكوخ» فقد صدر في يناير عام ١٩٣٥.

وقد اشتعلت في أعقاب صدور «وراء الغمام» معركة نقدية عنيفة كان هذا الديوان سببها الظاهر، وقد نشبت تلك المعركة فى ذلك الوقت بين شعراء جماعة أبولو وعباس العقاد مع تلاميذه من جهة، وبين شعراء جماعة أبولو والأستاذ الدكتور طه حسين من جهة أخرى، والحق أن النفوس كانت مهيأة لتلك المعركة من قبل أن يصدر ديوان ناجى الأول، ولذا فإن صدوره كان فرصة لإشعالها بسرعة. نقد طه حسين ديوان «وراء الغمام» نقداً قاسياً، ونشره فى جريدة الوادى فى يونيو ١٩٣٤، ورأى فيما رأى «... أن صاحب «وراء الغمام» من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما في شعرهم من الجمال الفنى، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة، دون أن نشطّ عليها بالتقليب والتعذيب، هو شاعر هين، لين، رقيق، حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوى الجناح، ولكن إلى حد، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع في الجو ارتفاعاً بعيد المدى، وإنما قصاراه أن ينتقل في هذه الرياض التى تنبت في المدينة أو من حولها، والتى لاتكاد تبعد عنها كثيراً، وهو إذا ألم بحديقة من الحدائق أو جنة من الجنات لا يحب أن يقع على أشجارها الضخمة الشامخة في السماء، وإنما يحب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة، ويتخير من هذه الأشجار أغصانها الرطبة اللدنة التى تثير في النفس حناناً إليها، لا إكباراً لها ولا إشفاقاً منها. هو شاعر حب رقيق، ولكنه ليس مسرفاً فى العمق ولا مسرفاً فى السعة ولا مسرفاً في الحب الذى يحرق

القلوب تحريقاً ويمزق النفوس تمزيقاً، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب، وتهيم بك في ما تعرف وما لا تعرف من الأجواء».. ونقد عباس العقاد ديوان ناجي في عدد ١٢ يونيو ١٩٣٤ من جريدة الجهاد، وجاء نقده أكثرقسوة من نقد طه حسين وأشد منه عنفاً فقد اتهم ناجي بأنه سرق أبياتاً من شعره هو وضمنها قصائده بعد أن حوَّرها، وقال إن «أظهر ما يظهر من سمات هذه المجموعة الضعف المريض والتصنع، فإن صاحبها كما يدل عليه كلامه من أولئك النوع الذين يفهمون أن الرقة ترادف البكاء، وأن الشاعر ينظم ليبكي ويشكو فإذا هجره الحبيب بكى وإذا تناجى مع حبيبته قال لها «هاتي حديث السقم والوصب» إلى نحو ذلك من أغراض الرخاوة المريضة التي لا نزال نحاربها منذ عشرين سنة في الشعر والنثر والغناء»..

وكان من الطبيعي أن يرد ناجي على ما وجه إليه وإلى شعره من نقد، وكان من الطبيعي أيضاً أن يرد على طه حسين فهو الأقرب إلى نفسه وألا يرد على العقاد لأنه بطبيعته الوديعة كان ينفر في قرارة نفسه من طبيعة العقاد الخشنة ومن أسلوبه الناري وعباراته التجريحية التي يصبها على رؤوس ناقديه ومنقوديه على حد سواء، لكن ناجي تورط في رده إذ أنه لم يستطع أن يخفي غيرته من علي محمود طه الذي كان طه حسين قد نقده نقداً مجاملا قبل أن يكتب ما كتب عن ناجي، وقد كان هذا من دواعي الجفوة التي وقعت بين الشاعرين الصديقين علي محمود طه وإبراهيم ناجي.. رد شاعرنا على طه حسين في عدد ٢٠ يونيو ١٩٣٤ من مجلة الأسبوع فقال مما قال: «.. أنت

تراني قوي الجناح إلى حد، تراني رقيقاً وترى لي موسيقى تسميها موسيقى الغرفة، ويلوح لى من تفضيلك على طه أنك لست ترضى عن تلك الرقة ولا تعجب بهذه الموسيقى، بل أنت من أنصار الشاعر الذى تراه «مهيأ» ليكون جباراً، أنت من أنصار الأدب العنيف.. الأدب النتشوى الهتلرى.. من أنصار النسر الذى يحط على الشجر الباسق ويبسط جناحيه بسطة عقادية، الواقع أن هذا العصر في حاجة إلى مثل ما تحب، أما نحن فأدبنا مائع رخو، أدب دموع وضعف، وقد كنت أحب أن أعرف رأيك يا مولاى فى ليالى ألفريد دى موسيه وروائع لا مرتين كالبحيرة والوادى، ما رأيك في هذا الضعف الشائن من شاعرين لم يخلد لهما إلا الدموع الذائبة؟! ومع ذلك قل لى منصفاً وليقل العقاد أى أنواع الأدب أحب إلى النفوس؟ سيقوم الموتى من قبورهم وستنبض كل صحيفة في كتبهم بالحياة، صارخة «مآسينا خلدت ودموعنا هى التى عاشت !» وأنت لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك قالت «الأيام» ولو سألت قراءك نفس السؤال قالوا : «الأيام» .. لماذا؟ لأنها قصيدتك الكبرى، فيها دموعك وفيها ضعفك كذلك، وهى أقوى ما كتبت! ولو سألت العقاد أي الشعراء تحب؟ لقال لك «هاردى» وما شعر هاردى إلا دموع، وضعف من الصنف الذى يعيرنا به..».

لكن هذا الرد المهذب لم يرضى - بطبيعة الحال - من هم على شاكلة العقاد، ممن تقترب طبائعهم من طبيعته الخشنة، ومن هؤلاء الشاعر سيد قطب الذى كان وقتها من أخلص تلاميذ العقاد، رأى سيد قطب أن المعركة بين طه حسين وإبراهيم ناجى ليست معركة بالمعنى الحقيقى، وإنما هى

أقرب إلى سذاجة الأطفال منها إلى أى شىء آخر، وانتقد اهتمام طه حسين بإبراز الجزئيات في ديوان ناجى، كما انتقد رد ناجى ورأى فيه ردا لا يليق بالرجال أن يردوا بمثله، وقد كان هذا في العدد التالى مباشرة للعدد الذى نشر فيه ناجى رده من نفس المجلة .. مجلة الأسبوع .. قال سيد قطب تحت عنوان: «معركة النقد الأدبى – ودوافعها الأصيلة».. «الحق أقول إن المعركة بين طه حسين وناجى معركة رخية هادئة أشبه بعتاب الحبيبين، منها بخصام المتلاحين وإن كنت أرى أن الدكتور طه قد اتجه إلى الجزئيات في الديوان أكثر مما اتجه إلى الكليات، وأنه اشتد فى بعض المواضع شدة لا تتناسب مع الصورة الرقيقة التى رسمها لناجى فى أول مقالة (وهى الصورة التى رسمتها له فى «الأهرام» قبل مقال الدكتور طه بأسبوع) وإن كنت أرى كذلك أن ناجى تلقى هذه الشدة باضطراب وجزع – يتفقان مع طبيعته – ولكنهما لا يليقان بأديب، وأن كلمته التى كتبها ردا على طه فيها دموع وفيها شهيق وزفير لا يليقان بالرجال، ولكن يعزينا عن ذلك كله أن المعركة هنا أقرب شىء لسذاجة الأطفال وبراءة الأطفال»...

ورأى على أحمد ماهر في مقاله الذى عَقَّب به على نقد طه حسين لناجى أن هذا النقد إنما هو حلقة من سلسلة الظلم الذى تحالف الشيوخ الذائعون على أن يدكوا به أعناق الشبان دكا عنيفاً، ثم أشاد المعقب بموسيقى ناجى وامتدح شعره، وخلص إلى أن طه حسين يريد تحطيمه لكى يبرر ما أقدم عليه من خلع إمارة الشعر على العقاد بعد أن رحل أمير الشعراء أحمد شوقى.

أما السيد عطية شريف فقد رأى أن حملة سيد قطب على ناجى قد قصد بها تمجيد العقاد على حساب جميع من يعدهم منافسيه، وأنه إن ذهب إلى شيء خفيف من النقد السطحى للعقاد، فإنما يقصد إلى التمويه على القارئ بأنه مستقل فكريا عن العقاد، وذكر السيد عطية شريف، أنه لم يكن يعرف سيد قطب باعتباره شاعراً إلا من خلال تنويه مجلة أبولو به، ومع هذا فقد سولت له نفسه أن يشن عليها حملة بذيئة غير خافية المقاصد، والحق أن المعركة النقدية التى نشبت في ذلك الوقت ما لبثت أن تحولت إلى المهاترات والمماحكات اللفظية وافتعال المواقف، ولعل الكلمة الوحيدة التى كتبها صاحبها لوجه الفن وحده كانت كلمة الشاعر حسن كامل الصيرفى الذى قال: «إننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء جمعية أبولو لا يجد بينهم إلا اتفاقاً في المبادئ الفنية العامة التى تساير حيوية الفن كما تماشى روح العصر، ولكنه لن يجد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التى اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات» وقد دخل محمود حسن إسماعيل المعركة باتهامه للعقاد بأنه سرق أبياتاً من شعره من محمود سامى البارودى، وبدلا من أن يقر بهذا أو يعترف به، نجده يلفق لناجى تهمة سرقة أشعاره هو، وقد اشترك في تلك المعركة النقدية إلى جانب من ذكرناهم الدكتور زكى أبو شادى ومحمود الشرقاوى ومختار الوكيل وصالح جودت ومصطفى عبداللطيف السحرتى.

على أنه بعيداً عن مهاترات تلك المعركة، فإن هناك عدداً من المقالات النقدية الجادة قد حللت قصائد ديوان «وراء الغمام»، ومن تلك المقالات

مقال نظمى خليل في عدد نوفمبر ١٩٣٤ من مجلة أبولو ومقال حسين عفيف في عدد ٦ يوليو ١٩٣٤ من مجلة «الأسبوع»، فضلا عن الفصل النقدى الجاد والمنصف الذى كتبه إبراهيم المصرى في كتابه «صوت الجيل» وهو الكتاب الذى صدر عام ١٩٣٤ أيضاً ..

والواقع أن بعض شواغل الحياة أسهمت في إبعاد ناجى عن جو تلك المعركة، ففى شهر يونيو ١٩٣٤ - كما يقول صالح جودت - «شد الشاعر رحاله إلى أوروبا ليعاون أخاه الأصغر فى الالتحاق بكلية «تولوز» الفرنسية للنسيج، ثم ليواصل طريقه إلى لندن، ليشهد مؤتمراً طبيا منعقداً هناك» ...

وكان لوقع المعركة التى كانت تصل إليه أنباؤها هناك أسوأ الأثر على نفسيته الرقيقة، إلى درجة أنه كان يسير في شوارع لندن المزدحمة بالناس والسيارات شارد اللب، حائر الروح، مشتت النفس، وكان من جراء هذا أن صدمته إحدى السيارات، فعاد إلى مصر وساقه فى الجبس، ولم يقدر له الشفاء من حادث التصادم هذا إلا فى نوفمبر ١٩٣٤، وهذا ما علقت به «المجلة الجديدة الأسبوعية» فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٣٤ تحت عنوان «تعليقات على حوادث الأسبوع»: «سر كثيرون بشفاء الدكتور ناجى من سقطته فى لندن، فقد كان أصيب بكسر فى ساقه وهو يعبر شارعاً، وبدلا من أن يقضى إجازته في التنزه بين الريف والحضر الإنجليزيين، قضاها فى المستشفى على السرير، وساقه فى الجبس، وللدكتور ناجى مجلة يجدر بكل ربة من ربات البيوت أن تقتنيها هى «حكيم البيت» وله قصائد تتسم برقة الألفاظ الموسيقية، ومعانيه أقرب إلى الحلاوة منها إلى الجلال. وهو معنيٌّ باللغة

قلما يخطئ، وهذه صفة نادرة فى الطبقة التى ينتمى إليها» وقد كان من نتائج المعركة النقدية أن زادت الجفوة بين شاعرنا ناجى وصديقه القديم على محمود طه، كما أنها - وهذا هو الأسوأ - قد زعزعت ثقة ناجى فى قدراته الفنية، وأعلن أنه سينصرف عن الشعر وأنه سيهجر الأدب، وقد أعلن هذا فى حديث أدلى به لمراسل «المجلة الجديدة الأسبوعية» وقد نشر هذا الحديث فى عدد الأربعاء ٦ مارس عام ١٩٣٥ تحت عنوان «لماذا هجرت الأدب؟ .. حديث هام مع الأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى»، والحق أنه ليست لهذا الحديث قيمة تذكر، بغض النظر عن قيمته التاريخية فيما يختص بدراسة شاعرنا، أما ما يعكس نفسية ناجى فى تلك المرحلة، ويستمد من هذا قيمته، فهو ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» الذى صدر عام ١٩٣٥، يقول ناجى بحسرة ما بعدها حسرة: «بالأمس أخرج الشاعر ديوانه، واليوم قد أخرج القاص ما لديه من قصص، وأفضى المفكر بما أنتج فكره، وغداً ينطوى الشاعر وينسى القاص ويتلاشى المفكر .. غداً ينقلب القدر وينهزم الخيال وتحطم الروح أعز أمانيها وأغلى ميولها، غداً تحرقها وتنظر إلى لهيبها كما تنظر إلى الشفق والشمس ذاهبة .. غداً فراغ، غداً يمشى الطبيب إلى قبر الأديب الذى كان ذات يوم هو نفسه وقد حمل فى يده زهوراً، فيضعها عليه دامع العين ثم يعود فإذا الطريق خاوية مقفرة، إذا به فى زحام الناس كواحد من الناس يجوع فيأكل وتضحك له الدنيا فيتهلل، وتعبس له فينقبض، فعل منعكس واستجابة لدافع .. ويمر به الجمال فلا يرى فيه غير مظهره، وأما المعنى والروح فقد مضى بهما الشاعر رحمه الله. ويستمع الموسيقى فيصيح مع الصائحين،

ويصخب مع الصاخبين، أما الألوهية الدفينة التى تقف بالمستمع على حافـة الأبدية، أما السلاف السماوية التى تنسكب فى أعمق أعماق النفس،كل هذا ينطوى مع الفنان الذاوى وأأسفاه .. وغداً يمر بالناس فيراهم صوراً متشابهة، آلات فحمها الرزق ومحركها الجنس والجوع .. أما الفيلسوف فذهب فى أثر الشاعر والفنان.

وداعاً أيها الشعر ..

وداعاً أيها الفن ...

وداعاً أيها الفكر ..

وداعاً ودمعة مرة وابتسامة أمر! ..

وإذا كنت قد تعمدت الإطالة في سرد وقائع المعركة النقدية التى كان صدور ديوان «وراء الغمام» سببها الظاهر، فذلك مرجعه إلى أننى حاولت أن أقدم صورة متكاملة لتلك المعركة، نظراً لأن جميع الذين تناولوها بالتحليل من الدارسين، قد اهتموا بإبراز الصورة التى تجعل القارئ يتعاطف مع ناجى فحسب، وذلك بتركيزهم على المقالات النقدية التى هاجمت ديوانه، وإغفالهم لتلك التى امتدحته، أو تلك التى وقفت منه موقفاً جادا موضوعيا، هـذا إلى جانب أن تلك المعركة كان لها أسوأ الأثر على نفسية شاعرنا – كما سبق أن ذكرت – وهذا ما سأشير إليه عند الحديث عن «مصادر القصائد المجهولة» لناجى .. وأما قيمة ما كتبه شاعرنا فى ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» فيتمثل فى أنه يقدم لقارئه تصوره النظرى لدور الشاعر في الحياة، ورأيه فى أن الشاعر الحق هو من يتأمل الأعماق الخبيئة من جوانب الحياة، لا من يتعلق

بالقشور السطحية التى يستطيع معرفتها الناس العاديون دون مـا حاجـة إلى الفن، وهذا التصور النظرى يتسق - بطبيعة الحال - مع النماذج الشعرية التى أبدعها ناجى من جهة، كما أنه يتعارض - من جهة أخرى - مع التصور النظرى لدور الشاعر فى الحياة عند على محمود طه.

ونظراً لأن الشاعر فى ناجى كان أصيلا و لم يكن مجرد واجهة خارجية، فإنه عاد إلى الشعر مرة أخرى، على الرغم من حديثه الذى أعلن فيه أنه هجر الأدب، وعلى الرغم من كلماته الجريحة فى ختام مقدمته لكتاب «مدينة الأحلام» والحق أن ناجى لم يستطع أن يهجر فنون الأدب جميعها في تلك الفترة التى هجر فيها الشعر مؤقتاً، فقد نشرت له المجلات الأدبية في ذلك الوقت العديد من القصص القصيرة التى يغلب عليها الاتكاء على العنصر الشخصى، فضلا عن أنه نشر عدداً من المقالات النقدية وطائفة من البحوث التى تتناول علاقة علم النفس بالأدب إلى جانب اشتغاله بترجمة العديد من القصص القصيرة العالمية ..

بعد عودة ناجى إلى فنه الأصيل أخذ ينشر قصائده فى أهم المجلات الأدبية فى ذلك الوقت .. «االرسالة» و «الثقافة» و «السياسة الأسبوعية» و «المجلة الجديدة» و «مجلتى»، وكان نتاج الشاعر من الغزارة بحيث أن مجلة «الرسالة» وهى مجلة أسبوعية -كما هو معروف- كانت تنشر له قصيدة فى كل عدد من أعدادها بصورة شبه منتظمة، وكان هذا فى أواسط الأربعينيات على وجه التحديد، وقد جمع شاعرنا طائفة من تلك القصائد، وأصدرها فى ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، بينما لم يهتم بجمع طائفة أخرى منه، ولعله رأى

أن يؤجل جمعها إلى حين، أو لأنه لم يكن راضيا تماماً عنها. وهناك أمـــران لم يلتفت إليهما أحد على الإطلاق من دارسى شعر ناجى، أحب أن أشير إليهما هنا مجرد إشارة، الأمر الأول أن المترجم الشهير الراحل دريني خشبة قد كتب سلسلة مقالات بعنوان «شعر ناجى» فى أواسط الأربعينيات، وقد نشرها فى مجلة «الرسالة» ابتداء من عدد ٢٤ أبريل عام ١٩٤٤، وهى مقالات مهمـــة وإن كانت متحمسة.بصورة واضحة لناجى وقد كتب درينى خـــشبة هـــذه المقالات، معتمداً على الديوان الأول لناجى «وراء الغمام» والأمر الثـــانى أن ناجى لم يكن يفكر فى إصدار ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، وإنما كان يفكر فى إعادة طبع ديوانه الأول «وراء الغمام» بعد أن يضيف إليه قصائده الجديدة التى كان ينشرها فى تلك الفترة، وقد تأكدت من هذا الذى أقوله من خلال خبر صغير، نشر فى مجلة «الرسالة» ضمن ما كانت المجلة تسميه «كـــشكول الأسبوع».

«ليالى القاهرة» – متى صدر؟!

وفيما يتعلق بديوان «ليالى القاهرة»، فإننى أعترف بأن تاريخ صدوره ظل لغزاً محيراً إلى أن تكشفت لى حقيقة الأمر، وهذا مرجعـــه إلى تـــضارب النقاد والكتاب الذين كتبوا عنه فى تحديد العام الذى صدر فيه. فقـــد ذكـــر عبدالعزيز الدسوقى فى ثبت المراجع الذى ذيل به كتابـــه «جماعـــة أبولـــو» (ص ٥٨٦) أن هذا الديوان قد صدر عام ١٩٤٣، بينما ذكر الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثانية من كتابه «محاضرات فى الشعر المصرى بعد شـــوقى» (ص ٥٨) أنه صدر عام ١٩٤٤، وذكر الدكتور شوقى ضيف نفس التاريخ

فى كتابه «الأدب العربى فى مصر» (ص١٥٥) كما أن التعريف بحياة نـــاجى ونتاجه والذى ذيل به كتاب «أزهار الشر» الذى صدر بعد وفاته، قد ذكـــر هو أيضاً نفس ذلك التاريخ (١٩٤٤) - راجع ص (١٤٩) أما صالح جودت فقد ذكر أن «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥١، وذلك فى مقدمته لديوان ناجى (ص٢٢). وهذا التضارب هو ما جعل الأمر لغزاً محيراً فى البداية، لكن الحقيقة تكشفت لى عندما قمت بمراجعة أعداد مجلة «الرسالة» في تلك الفترة الزمنية التى تضارب فيها القول وهى الفترة الممتدة من عام ١٩٤٣ إلى عـــام ١٩٥١، وقد وجدت - من خلال المراجعة - أن عباس خضر يعاتب ناجى فى عددين متواليين من أعداد مجلة الرسالة عام ١٩٥٠ لأنه أهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده نسخه منه، وقد ثبت لى بـــاليقين أن ديوان «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥٠ من خلال مراجعتى المتأنية للجزء التاسع من «فهرس الكتب العربية التى اقتنتـــها دار الكتـــب المـــصرية مـــن سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٥»، ففى صـــفحة ٥٤٦ مـــن ذلـــك الفهـــرس إشارة ببليوجرافية إلى ذلك الـــديوان: هـــذا نـــصها: «ليـــالى القـــاهرة - نظـــم إبـــراهيم نـــاجى - مطبعـــة الفكـــرة ســـنة ١٩٥٠م، ٢٢٤ ص القاهرة «رقم ز ١٨٦٧٤، ١٨٦٧٥ ..».

ولكيلا يكون هناك أى تضارب مرة أخرى بشأن تاريخ صدور «ليالى القاهرة» فإننى أحيل الدارسين المهتمين إلى عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلـــة «الحديث» الحلبية، وعدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» التى كـــان يرأس تحريرها الشاعر والكاتب عادل الغضبان، ففى عدد مجلة «الحديث» نبذة

عن الديوان (ص ٥٤٥ - ٥٤٦)، وتنتهى هذه النبذة بالقول «.. والديوان فى ٢٧٥ صفحة فنشكر للشاعر هديته» أما عدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» فيشير إلى صدور «ليالى القاهرة» ضمن الدواوين التى صدرت عام ١٩٥٠، وهذا هونص الإشارة (ص ٣٣٩) .. «كان إنتاج العام الماضى (أى عام ١٩٥٠) غنيا بالشعر، فقد ظهر فيه بضعة عشر ديواناً، تختلف بين الشعر القديم والشعر الحديث، ويختلف الحديث بين المذاهب المختلفة للفن الذى توحى به الآلهة أو الشياطين!! .. ودواوين الشعر الحديث هى: «ديوان الخليل» ج ٤، وبه تم ديوان المرحوم خليل بك مطران الذى تولت إخراجه لجنة تكريمه، و «ألحانى» لإبراهيم هاشم الفلالى من أدباء الحجاز و«ليالى القاهرة» للدكتور إبراهيم ناجى، و«فكر وروح» للآنسة أمانى فريد، و«بعد الأعاصير» لعباس محمود العقاد و«الظلال» لعبد الغنى سلامة و«جنى الأيام» لعبد المجيد مصطفى خليل»..

صدر ديوان «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ إذن، وليس عام ١٩٤٣ أوعام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، وقد بدأ الشاعر ديوانه بإهداء رقيق يقول فيه «إلى صديقى ع. م . الذى ندى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبت فى روض الحاضر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة .. إليه أقدم ما أوحى به إلى..» وقد تصدرت الديوان مقدمة ضافية قيمة ومتحمسة للشاعر، كتبها «معالى إبراهيم الدسوقى أباظة باشا» الذى يرى صالح جودت أنه كان «راعياً للشعراء وكان يجمعهم فى رابطة أدباء العروبة، وكان ناجى شاعره الأثير».. ويتسم ديوان «ليالى القاهرة» بأنه يتضمن عدداً من القصائد المطولة،

وهى تلك القصائد التى يتجاوز الشاعر حين يطلق عليها «ملاحم»، فالملاحم - كما هو معروف - فن شعرى عرفه الأقدمون من الإغريق والرومان والفرس والهنود، وكانوا يقصدون به إلى تسجيل تاريخهم والإشادة بأمجادهم ومآثرهم فى مجال الحروب التى خاضها أبناؤهم، ولهذا الفن بطبيعة الحال خصائصه الفنية وسماته المميزة التى يعرف بها ومن خلالها، وليست الملاحم إذن أن يضم الشاعر عدداً من قصائده الذاتية إلى بعضها ويطلق عليها عنواناً موحداً على نحو ما فعل ناجى فيما نستطيع تسميته بالقصائد المطولة مثل «ليالى القاهرة» و«السراب» و«الأطلال» و «الخريف»، ويشتمل هذا الديوان - ضمن ما يشتمل عليه - على قصيدتين من قصائد المديح قالهما الشاعر فى مناسبتين، أولاهما عيد تتويج الملك فاروق ملك مصر في ذلك الوقت، وثانيتهما عيد الميلاد الملكى «السعيد». وقد سبق أن أشرت إليهما ويتضمن الديوان أيضا عدداً من قصائد «الإخوانيات» معظمها وجهه الشاعر إلى معالى «إبراهيم الدسوقى أباظة باشا، كما أن بعضها موجه إلى «عزيز باشا أباظة» بمناسبة زيارته لبيت الشاعر.

والحق أنه على الرغم من أن «ليالى القاهرة» قد تضمن عدداً وفيراً من روائع ناجى إلا أن طريقة إخراجه نفسها كانت بالغة السوء، فضلا عن أنه يحفل بالأخطاء المطبعية التى يقل بل يندر وجودها فى ديوانه الأول.

«الطائر الجريح» - الديوان الثالث

في عام ١٩٥٧، وليس في عام ١٩٥٣ - كما توهم أحد الباحثين - صدر الديوان الثالث لناجى بعد أربعة أعوام من رحيله عن عالمنا، وقد جمع

قصائد هذا الديوان الذى حمل عنوان إحدى قصائده «الطائر الجريح» صديق من أخلص أصدقاء ناجى هو الشاعر الراحل أحمد رامى، وتصدرت ديـوان «الطائر الجريح» مقدمة مقتضبة كتبها الشاعر والمحقق محمد عبدالغنى حسن، وقصائد «الطائر الجريح» هى - في الواقع - عدد من القصائد التى لم ينشرها ناجى فى حياته ضمن ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، كما أن عددا آخر منـها كان ناجى قد كتبه بعد صدور «ليالى القاهرة»، وأعتقد أن أحمد رامى قـد تدخل فى بعض قصائد «الطائر الجريح» حيث تأكد لى أنه قد حذف عـدة مقطوعات من بعض تلك القصائد، على نحو مـا سـأبين فيمـا بعـد في «الإشارات».

«ديوان ناجى» - الديوان الرابع الشامل

صدر «ديوان ناجى» عام ١٩٦١، حيث كانـت «وزارة الثقافـة والإشاد القومى قد شكلت لجنة، كلفت - كما يقول صـالح جـودت في كتابه عن ناجى - ص ٥٧ - بجمع تراث ناجى الشعرى المطبوع والمخطوط وشرحه وتنسيقه بغية نشره في ديوان واحد» .. وكان أعضاء تلك اللجنـة شاعرين من أصدقاء ناجى هما أحمد رامى وصالح جودت وأستاذاً جامعيا هو الدكتور أحمد هيكل فضلا عن الشقيق الأكبر للشاعر وهو محمد ناجى، وقد أنجزت اللجنة مهمتها التى كلفت بها فى شهر فبراير عـام ١٩٦٠، وصـدر ديوان ناجى بعد ذلك بعام، وقد أثار صدوره في ذلك الوقت ضجة صحفية اعتمدت على الإثارة أكثر مما اعتمدت على الدراسة المتأنية، وكان مثار تلك الضجة هو أن الديوان قد تضمن عن طريق الخطأ قصائد من شعر الـدكتور

كمال نشأت، نظراً لأن أعضاء اللجنة قد توهموا أنها لناجى، والواقع أن ديوان ناجى – منذ صدوره عام ١٩٦١ حتى الآن – لم يظفر بدراسة واحدة من الدراسات الموضوعية المتأنية بعد أن هدأت الضجة الصحفية، بل تلاشت أصداؤها تماماً فى حينها، ولست أزعم أن العناية الإلهية قد أرسلتنى لأقوم بهذه الدراسة الموضوعية المتأنية، فالحق أن قصارى ما سأفعله الآن هو أن أبرز عدداً من النقاط المتعلقة بتحقيق ديوان ناجى، وهى نقاط لم يشر إليها أحد من قبلى ولو عَرَضاً على الرغم من اشتراك الكثيرين من النقاد والصحفيين فى أحداث الضجة التى أعقبت صدور الديوان، وقبل أن أبرز تلك النقاط أحب أن أبين تصورى الخاص لما سار عليه أعضاء اللجنة فى عملهم، ومن خلاله سيتضح للقارئ أن السبب الجوهرى فيما وقع فيه هؤلاء الذين حققوا الديوان أنهم لم يوزعوا العمل عليهم توزيعاً يحقق له الأسلوب العلمى، فأحمد رامى – فيما أتصور – اكتفى بما أسهم به من قبل فى جمع قصائد «الطائر الجريح» وكان بهذا عضواً شرفيا لا عضواً عاملا، وصالح جودت تحمل معظم أعباء العمل لكنه اعتمد كلية على ذاكرته، ويبدو أن صداقته الطويلة لناجى قد ملأته بالثقة فيما كان يذكره أو يجمعه، أما شقيق ناجى فقد كان عضواً صوريا يستمد عضويته من كونه شقيقاً للشاعر فحسب دون أن يكون مؤهلا للقيام بتحقيق الأعمال الأدبية، ويكفى أنه هو الذى قدم لبقية الأعضاء قصائد كمال نشأت طالباً ضمها، إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صاحبها، ويبقى من الأعضاء الدكتور أحمد هيكل الذى امتلأت نفسه بالثقة – فيما أتصور لأن اللجنة تضم معه شاعرين صديقين لناجى إلى جانب شقيقه – ولهذا فإنه

لم يحاول أن يتثبت تثبتاً علميا مما كان يذكره صالح جودت من أمور اعتمد فيها على ذاكرته وحدها.

وهكذا يمكن القول إن صالح جودت على وجه التحديد قد وقع فى الأخطاء التالية:

١ - ذكر فى هامش قصيدة «صخرة الملتقى» أن ناجى «نظم هذه القصيدة فى المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» (ص ٢١٠ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة فى جريدة السياسة الأسبوعية بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، فكيف إذن نظمها حوالى عام ١٩٢٨؟.

٢ - ذكر فى هامش قصيدة «قلب راقصة» أن ناجى «نظم هذه القصيدة سنة ١٩٣٥، وكانت ملهمته فيها هى الراقصة كريمة أحمد» (ص ٢٦٧ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة ضمن قصائد ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد صدر الديوان في مايو١٩٣٤، فكيف إذن نظمت القصيدة عام ١٩٣٥؟!.

٣ - ذكر فى هامش قصيدة «مرثية الشاعر الهمشرى» أن ناجى نظم هذه القصيدة فى رثاء «محمد عبدالمعطى الهمشرى» الشاعر الذى رحل عن الدنيا وهو فى الثلاثين من عمره سنة ١٩٣٩» (ص ٢٧٢ من الديوان) والثابت من جميع المراجع التى تحدثت عن الهمشرى بما فيها كتاب صالح جودت نفسه «م . ع . الهمشرى - حياته وشعره» أن هذا الشاعر الرقيق قد غادر دنيانا عام ١٩٣٨.

ووقعت اللجنة - مجتمعة - فى الأخطاء التالية:

١ - قال ناجى في البيت التاسع من أبيات قصيدته الشهيرة «العودة»:

أيها الوكر إذا طار الأليف

لا يرى الآخر معنى للسماء

وقد نشرت قصيدة العودة ثلاث مرات، وفيها هذا البيت بصورته التى قدمتها، نشرت فى العدد التاسع من مجلة «الأسبوع» الصادر فى ٢٤ يناير ١٩٣٤، وكانت قد نشرت قبل هذا بعامين فى مجلة أبولو، وعلى وجه التحديد فى عدد سبتمبر ١٩٣٢ منها (ص٤٨) وقد نشرت ضمن قصائد «وراء الغمام»، ومع هذا فإن البيت الذى ذكرته قد تغيرت صورته بتغيير «للسماء» إلى «للهناء» على الرغم من أن السماء أشمل وأعمق إذا صرفنا النظر عن الأمانة العلمية، وقد نشر البيت (ص ٣٩ من الديوان).

٢ - قال ناجى فى أحد أبيات قصيدة «السراب فى السجن» وهى «الجزء الثالث» مما يسميه شاعرنا «ملحمة السراب»:

يا عزيز الجنى عليك سلام

كيف جادت بقربك الأقدار؟

وقد نشر هذا البيت بصورته هذه ضمن القصيدة كلها مرتين، أولاهما فى العدد ٦٣٩ من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ أول اكتوبر ١٩٤٥، وثانيتهما ضمن «ليالى القاهرة» الذى صدر كما بينت عام ١٩٥٠، ومع هذا فإن هذا البيت قد تغيرت صورته بتغيير لفظة «جادت» بلفظة «جاءت» على الرغم

من أن اللفظة الأولى أكثر إيحاء وبالتالى أعمق شاعرية، وقد نشر البيـــت فى (ص ٦٠ من الديوان) وأصبح الشطر الثانى (كيف جاءت بقربك الأقدار؟).

٣ - نشر محققو الديوان هامشاً ذيلوا به قصيدة «لقـــاء فى الليـــل» (ص ١٤٥) وهذا نصه: «فى هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة فى ديوان: «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، ففى صفحة ٢٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» كتب ناجى يقول ما نصه: «استدراك - فى صحيفة ٣٥ قبل البيت الأخير سقط من الطبع البيت التالى:

قلت اهدئى لِمَ ثورة الندم

كفاك ترتـــجفان يا أملى

وسنرى بعد قليل أن أحمد حجازي قد ولد خطأ خاصا من هذا الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة!

٤- قال ناجي في قصيدة «انتظار» (ص١١٤من «وراء الغمام..»)

فتصطخب العواطف ساخرات

وتطعننى بأطراف الحراب

و لم يصحح الشاعر البيت بإبدال «العواطف» بلفظة «العواصف» لأنه كان قد ذكر هذا البيت مصححاً فى نفس القصيدة، وبالتالى فإنه ترك أمـــر تصحيحه للقارئ الذكى، لكن أعضاء اللجنة لم يهتموا بتصحيح البيت وهذا ما يجده القارئ فى (صفحة ٣١٠ من الديوان) ..

٥ – ذكر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «إهداء ديوان» هذا نصه: «هذه القصيدة هى إهداء ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد أشرنا إليها في التمهيد لهذا الديوان الشامل (ص ٢٥٧ من الديوان) ، وهذا غير صحيح. فبالرجوع إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» وجدت أن ناجى قد نشر هــذه القصيدة فى عدد السبت ٦ سبتمبر ١٩٣٠، وكان عنوانها «إهداء أشعار» وقد صدرها بقوله «طلب من الشاعر مجموعة من شعره فقدمها بالأبيات التالية»، ومن المعروف بالطبع أن ديوان «وراء الغمام» قد صدر في مــايو ١٩٣٤ أى بعد نشر تلك القصيدة في السياسة الأسبوعية بخمس سنوات ..

٦ – ذكر محققو الديوان في الكلمة الموقعة باسم «اللجنة» (ص ٧ من الديوان): «أننا قد وضعنا في نهاية هذا الديوان فهرساً يسجل مــصدر كــل قصيدة ورقم صفحتها في المصدر»، والباحث في نهاية هذا الديوان لا يستطيع العثور على هذا الفهرس مهما يطل به البحث، وبذلك تكون اللجنــة قــد ذكرت في مفتتح الديوان أنها ستنفذ أمراً، ووقع بعدئذ نــوع مــن الــسهو أوالنسيان، فأنساها أن تنفذ في نهاية الديوان ما ذكرته في المفتتح.

٧ – قدم شقيق ناجى إلى اللجنة قصائد من شعر الــدكتور كمــال نشأت، وطلب ضمها إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صــاحبها، ولم تحاول اللجنة التثبت من هذا تثبتاً علميا، فكانت النتيجة أن اندســت ســت عشرة قصيدة لكمال نشأت في «ديوان ناجى»، خمس عشرة قصيدة منــها

نشرها الشاعر ضمن قصائد ديوانه «رياح وشموع» الصادر عام ١٩٥١، أما القصيدة السادسة عشرة فقد نشرها كمال نشأت في إحدى الجرائد اليومية كما يقول هو نفسه وهي قصيدة «يا مصر» كما أنني وجدتها منشورة في مجلة «الثقافة» .. وقصائد كمال نشأت حسب ترتيبها في ديوان ناجي هي: «انتظار القافلة» ص ٤٥، «بحيرة البجع» ص ٥٢،«رحلة في الظلام» ص ٧٨، «وداع – صورة جندي من هنود كشمير» ص ٩٨ «حديث فراشة» ص ١١١ «إلى البحر» ص ١١٤، «ربيعي» ص ١٦٢، «نسمة الفجر» وص ١٧٤، «حديث فراشة – القسم الثاني» ص ١٨٣، «رياح وشموع» ص ٢٠١، «لقاء» ص ٢٠٢، «يقظة الرماد» ص ٢١٥، «مارسيان» ص ٣٢٥ «عينان من العراق» ص ٣٢٦، «نبع وقطرات» ص ٣٥٦ ومن المهم ذكر الصفحة التي نشرت فيها القصيدة الأخيرة في ديوان كمال نشأت فقد نشرت في ص ٥٣، وقد ذكرت «اللجنة» (ص ٧ من الديوان) «إننا حرصنا على إثبات تواريخ القصائد التي استطعنا أن نظفر بتواريخها ومكان نظمها أيضاً» والواقع أن القصائد المؤخرة والمذيلة بأماكن نظمها هي قصائد كمال نشأت الذي كان يحرص على إثبات تواريخ قصائده، وأماكن نظمها، أما شاعرنا ناجي فإنه لم يحرص على هذا في أية قصيدة من قصائد دواوينه، ولكن ما سر وجود قصائد كمال نشأت لدى ناجي؟ الأمر بسيط، فقد قدم كمال نشأت– وكان معجباً بشاعرنا – مخطوطة ديوانه «رياح وشموع» لكي يكتب

له مقدمة، وعندما طال انتظار كمال نشأت لها آثر آسفاً أن ينـــشر ديوانـــه بدونها، وترك المخطوطة عند ناجى دون أن يطلبها منه وظلت بين أوراقه إلى أن رحل عن عالمنا وهنا قدمها شقيقه إلى اللجنة على أساس أنها له، وهـــذه القصة تذكرنا بقصة القصيدة المطولة التى كتبها بدر شاكر السياب بعنـــوان: «بين الروح والجسد» والتى قيل إنها تناهز الألف بيت، فقد أرسلها الـــسياب إلى على محمود طه ليكتب لها هو الآخر مقدمة، وإلي الآن لم يعثر عليها بـــين أوراق على محمود طه، والحق أنه كان ينبغى على اللجنة لاعتبـــارات فنيـــة واضحة أن تميز بين قصائد ناجى وقصائد كمال نشأت، صحيح أن كمـــال نشأت كان متأثراً بناجى فى بعض قصائده، ولكن هذا التأثر لم يصل إلى حد عدم التمييز بين قصائد الشاعرين، وهناك قصائد أخرى تأثر فيهـــا كمـــال نشأت أوضح التأثر بشعراء المهجر مثل قصيدة «ربيعى» و «نبع وقطـــرات» و لم يكن ناجى ممن تأثروا بشعراء المهجر فيما كتب، وهناك قصائد أخـــرى تتسم بغلبة الصور الحسية وتصوير التجارب الجنسية مثل قصيدة «فى معبـــد الليل» وهى ما لايمكن لناجى أن يكتبه لأنها تخالف طبيعته ومن أبياتها:

فنـــــام الـــــضوء خجلانـــــا علـــــى مـــــصباح نـــــشوانِ
قريـــــــــرا لا تنبهـــــــــه ســـــوى أنـــــات تحنـــــان
وكـــــان الليـــــل مرتميـــــا علـــــى النافـــــذة الوســـــنَى

تلـــــصّصَ خلـــــسةً يرنـــــو إلى معبـــــــدنا الأســــــنى
فـــشاع الـــسرُّ بـــين الليــــــــــــل والأنجـــم والزهـــرِ
وإذ بــــــالفجر بـــــــساما إلى إلفـــــين فى خــــــدر

وهناك قصائد أخرى تتسم بتنويعات عروضية شكلية، لم يكن ناجى قد استخدمها فى قصائده ومنها «انتظار القافلة» و «مارسيان».

٨ – نسب محققو الديوان إلى ناجى أربعين بيتاً ليست من شعره، وإنما هى من شعر على محمود طه، وهى قصيدة بعنوان «المرأة» (ص ١٧١ من الديوان) والحقيقة أن على محمود طه قد نشر قصيدته هذه عدة مرات فى عدة مجلات قبل أن ينشرها فى «أرواح وأشباح» الذى صدر عام ١٩٤٢.

ومن العجيب، بل من الغريب أن صالح جودت ظل مصرا على الخطأ وأن الخطأ ليس خطأ بل إنه عين الصواب!، فبعد أن كتبت جريدة «أخبار اليوم» – عدد ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٦ عن هذا الخطأ واعتبرته فضيحة أدبية، فإن صالح جودت كتب مقالا فى مجلة «المصور» – عدد ٧ أكتوبر عام ١٩٦٦، وكان عنوان مقاله «قصيدة المرأة لشاعر الأطلال لا شاعر الجندول» وقال في مقاله بالنص: « .. فالأبيات إذن لناجى، لا لعلى محمود طه والفضيحة إذن ليست فضيحة لأحمد رامى وصالح جودت وأحمد هيكل الذين نشروا ديوان ناجى .. وإنما هى مردودة على من اخترعوها فى تجرد من النبل..» ولو كان صالح جودت قد كلف نفسه أن يقلب صفحات «أرواح

وأشباح» لعلى محمود طه، لما كان قد كتب مقاله هذا، ولكـــان قـــد آثـــر الصمت تماماً!! ..

٩ - كانت عملية جمع قصائد ناجى التى لم ينشرها في ديوانه خلال حياته، تتم بطريقة مرتجلة، تعتمد على المصادفة وحدها، ولهذا نسى أعـــضاء اللجنة أن يجمعوا قصائد كثيرة من صفحات المجلات والجرائد، وقد قدر لى أن أقوم بجمع قصائد عديدة لم يدر ببالي ولا ببال غيري أنها راقدة في ثنايا تلـــك المجلات والجرائد، هذا بينما اعتمد أعضاء اللجنة على الذهاب إلى ملـــهمات ناجى لكى يسألوهن عما إذا كان شاعرنا قد نظم فـــيهن شـــعراً، ومـــن الملهمات اللائى ذهب إليهن أعضاء اللجنة كما يذكرون هـــم (ص ٥ مـــن الديوان) الملهمة «سونيا التى قدمت لنا بعض مناديلها وأمشاطها وأتوجرافاتها فجمعنا منها أربع قصائد نظمها ناجى لها فى جلسة واحدة، وتجدونها فى هذا الديوان، وهى «كيف أنساك؟» و «خشوع» و«عيد سونيا» و«دنيا» ..» ..

ولكى أبين خطورة الاعتماد على «الملهمات» وغيرهـــن فى مجـــال التحقيق العلمى للنصوص الأدبية فإننى أحب أن أشير إلى أن محققى الديوان قد نشروا بيتين لناجى وذيلوهما بالهامش التالى «عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية كريمة الشاعر» (ص ٢٢١)، والواقع أن هذين البيتين هما آخر بيـــتين من قصيدة نشرها ناجى فى العدد الخامس من المجلد الثالث عشر مـــن مجلـــة «مجلتى» وهو العدد الـــصادر بتـــاريخ ٢٧نـــوفمبر ١٩٣٨ - (ص ٢١٩)

والقصيدة بعنوان «بعد الشباب» وسيطالعها القارئ كاملة نقلا عن: «مجلتى» ضمن «القصائد المجهولة» والواقع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة مرتين أخريين بعد نشرها فى مجلة «مجلتى» إذ أنه نشرها في مجلة «الحديث» الحلبية ومجلة «الهلال»..

«مختارات من قصائد ناجى»

في عام ١٩٧١ صدرت عن دار الآداب - البيروتية مختارات من قصائد ناجى، اختارها وقدم لها أحمد عبدالمعطى حجازى الذى تردى فيما تردت فيه لجنة تحقيق «ديوان ناجى» على الرغم من أنه هاجم أعضاء تلك اللجنة - فى مقدمته - ونسب إليهم الإهمال .. وقع أحمد عبدالمعطى حجازى فى أخطاء عديدة، لن أذكر هنا إلا أهمها:

١ - ذكر أحمد عبد المعطى حجازى أن «ناجى كان يعمل طبيباً فى المنصورة حوالى عام ١٩٢٩» (ص ١٧ من إبراهيم ناجى - قصائد)، والواقع أن هذا غير صحيح فقد عمل ناجى طبيباً فى المنصورة عام ١٩٢٧.

٢ - قال أحمد حجازى «وناجى يعطى نفسه الحرية في أن يجعل التاء المنونة فى كلمة مثل «هادئة» قافية ..» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى - قصائد) والواقع أن التاء المنونة لا تسمى فى العروض قافية، وإنما يطلق عليها حرف الروى، ويمكن لحجازى الرجوع إلى أى كتاب فى العروض لكى يتثبت من هذا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المثال الذى استشهد به

حجازى لم يتكرر مطلقاً فى شعر ناجى وهو بهذا الشكل ظاهرة من ظـواهر التجديد عند ناجى، كما بيَّن حجازى، فضلا عن قبح حرف الروى بالصورة التى أورده بها ناجى، والتى جعلته لا يكرر هذا فى شعره مطلقاً، وهذان همـا البيتان اللذان جرى فيهما هذا:

وليبـق يـا هـذى الـبحيرة فى حاليـك ثـائرة وهادئـةً
فى باسـق المـاء منعطـف فى رائعـات الـصخر ناتئـةً

هذان البيتان من قصيدة «الـبحيرة» المعربـة (ص ١٣٩ مـن وراء الغمام).

٣ – قال أحمد حجازى إن ناجى «فى إحدى قصائده المكونة مـن مقاطع ثنائية يورد مقطعاً مكوناً من بيت واحد غير حريص على إكماله ببيت آخر لتظهر القافية» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى – قصائد)، وقـد سـبق أن ذكرت أن حجازى قد ولد خطأ خاصا من الخطأ الذى وقعت فيه لجنة تحقيق ديوان ناجى، فقد أشرت من قبل إلى الهامش الذى نشره محققو الديوان وذيلوا به قصيدة، «لقاء فى الليل» وهذا نصه مرة أخرى: « فى هذا المقطـع بيـت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة فى ديوان «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، فالبيت الناقص أورده ناجى فى ص ٢٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» وذكر مستدركاً أنه سقط من الطبع، ولكن المحققين لم يرجعوا

إلى هذه الصفحة، وجاء أحمد حجاى فاعتمد عليهم و لم يرجع إلى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم استنتج حجازى من هذا أن «هذا كله ما جر على ناجى سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون أنهم أمام شاعر غير مكتمل الأدوات» (ص ٢٦ من إبراهيم ناجى - قصائد) والواقع أن الدكتور طه حسين - كما هو معروف وكما بينت من قبل - لم ينقد ديوان «ليالى القاهرة» وإنما نقد ديوان «وراء الغمام» فحسب، بينما يرد البيت الذى توهمت اللجنة أنه ناقص فى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم إننا لا نستطيع أن نقول عن شاعر إنه جدد فى قوافيه لمجرد أنه أورد بيتاً واحداً فى مقطع ثنائى الأبيات على فرض صحة هذا، وهو غير صحيح، فلكى نتحدث عن تجديد شاعر ما فإنه لابد أن يكون لهذا التجديد خصائصه وسماته التى يكون بمقدوره من خلالها أن يشكل ظاهرة واضحة فى شعر هذا الشاعر، على أى حال فهذان هما البيتان اللذان يشكلان المقطع الثنائى لكى يتبين لحجازى أن المقطع ليس مؤلفاً من «بيت واحد» كما ذكر:

قلت اهدئى لِمَ ثورة الندمِ كفاك ترتجفان يا أملى
وأخذت أدفئ بردها بفمى لو تنفعنَّ حرارة القبل

٤ - ذكر حجازى أن ناجى «نشر فى عـــام ١٩٣٠ أولى قـــصائده «صخرة الملتقى» فى جريدة «السياسة الإسبوعية»، والحق أنى لست أدرى من أين أتى حجازى بهذا التاريخ؟ ... فقصيدة «صخرة الملتقى» منشورة فى عدد «السياسة الاسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ - صفحة (٢٠) - كما ذكرت من قبل.

٥ - ذكر حجازى أن ناجى «توفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٣» (ص ٢٩ من إبراهيم ناجى - قصائد) وهذا غير صحيح، ولكن من الأمانة أن أقول إن كل المراجع التى ذكرت تاريخ وفاة ناجى قد وقعت فيما وقع هو فيه من خطأ باستثناء صالح جودت الذى قال «وتنتهى قصة الشاعر الخالد فى يوم ٢٤مارس سنة ١٩٥٣» (ص٢٣ من مقدمة ديوان ناجى) والواقع أننى راجعت أعداد شهر مارس من جريدة «الأهرام» لكى أتثبت من التاريخ الحقيقى لوفاة الشاعر إلى أن عثرت فى «الأهرام» عدد ٢٥ مارس ١٩٥٣ - ص ١١ على هذا النعى: «أفزع المحافل الطبية والأدبية بعد ظهر أمس نبأ مفاجئ نعى إليها الطبيب الشاعر المغفور له .. الدكتور إبراهيم ناجى .. فكان للمصاب فيه وقع أليم فى نفوس مقدريه من أصدقائه وعارفيه، لقد وهب الفقيد حياته للطب والأدب فبرع فى كليهما وسخر كفايته فيهما لخدمة الإنسانية والمثل العليا، فكان طبه ملاذاً لمرضى من الفقراء والمحتاجين، وكان شعره إشراقاً من وحى الروح الأمين، يهدى إلى الحق المبين وينير

الطريق للحائرين، وكان الدكتور ناجى طبيباً موظفاً فى مصلحة السكك الحديدية وفى وزارة الصحة وفى وزارة الأوقاف، ثم اعتزل الخدمة الحكومية منذ شهرين، بعد أن ترك فى كل دائرة من دوائر عمله أثراً مذكوراً بالتقدير والعرفان على كل لسان، ولن ينسى أحد ممن عرفوه ما كان عليه من دماثة الخلق وفضيلة التواضع ورقة الحاشية والسمو بالواجب إلى أعلى المراتب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه وألهم ذويه وأصدقاءه الصبر الجميل».

٦ - ذكر حجازى أن وزارة الثقافة «أصدرت عام ١٩٦٠ ديوان ناجى الكامل الذى ظهرت به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت نتيجة لاهمال المكلفين بجمعه وتحقيقه وهم أحمد رامى وصالح جودت والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى شقيق الشاعر وكان ذلك سبباً فى ضجة كبيرة».

والواقع أن الديوان صدر عام ١٩٦١ لا عام ١٩٦٠ كما أنه «لم تظهر به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصرى كمال نشأت» فحسب، وإنما تضمن قصيدة «المرأة» وهى لعلى محمود طه وقد سبق أن بينت هذا.

٧ - على الرغم من أن أحمد حجازى نسب الإهمال إلى لجنة تحقيق ديوان ناجى إلا أنه هو نفسه قد تردى فيما تردت فيه اللجنة، إذ أنه ضمَّن المختارات التى اختارها من قصائد ناجى قصيدة ليست له، وإنما هى لكمال نشأت، (راجع ص ٧٩ من إبراهيم ناجى - قصائد) والقصيدة بعنوان «نبع

وقطرات» ويمكن للقارئ الرجوع إليها فى ص ٥٣ من ديوان «رياح وشموع» للشاعر كمال نشأت، وكان حريا بحجازى بدلا من أن يشغل نفسه بالهجوم على غيره أن يشغل نفسه بقراءة القصيدة بتمعن، لكى يكتشف من خلال موضوعها ومن خلال صورها وتراكيبها اللغوية أنها لشاعر متأثر بشعراء المهجر تأثراً واضحاً، ففى القصيدة أنفاس من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران بشكل خاص، وهذه بضعة أبيات منها:

كنت فى عمرى الغرير نميرا ... يرهب البحر ذا العباب العتى
ويخاف الأعماق فيه ويخشى ... من فناء فى لجه الأزلى
فإذا بى الفناء والخلد والليـ ... ـل وإشراقة الصباح الوضى
والذى يلمس الإله بجنبيه ... يشيم الإله فى كل شى
فى ارتعاش الغصون فى بسمة ... الطفل وفى آهة بقلب شجى
فى صلاة النساك فى حانة اللهـ ... ـو وفى دمعة البئيس الرضى
والسعيد السعيد من وجد ... الكون على قلبه الكبير النقى

إن القارئ لهذه القصيدة يلمس أن صاحبها يترسم خطى ميخائيل نعيمة فى قصيدة «كحل اللهم جفنى» على وجه التحديد، وهى إحدى قصائد ديوانه «همس الجفون»، ولا ننسى هنا إن نقول إن كمال نشأت صاحب هذه القصيدة كان يعد رسالة الماجستير فى ذلك الوقت عن «شعر المهجر»، كما أن ناجى – فى شعره كله – لم يكن يلجأ إلى التصغير كأن يقول «نمير» بدلا

من «نهر» أو «شجيرة» بدلا من «شجرة»، كما أن البيت الأخير من الأبيات التى أوردتها يشير إلى أن كمال نشأت كان معجباً بقصيدة «صلوات فى هيكل الحب» للشاعر التونسى أبو القاسم الشابى، وهذا كله يجعل قصيدة كمال نشأت بعيدة الصلة عن روح شعر ناجى إذا ما أردنا أن نلتمس العذر لأحمد حجازى. ولكن ما الذى جعل حجازى يتردى فى كل هذه الأخطاء؟ السبب – فى اعتقادى الثابت – أنه تعجل كتابة مقدمته واختيار قصائد ناجى، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ديوان ناجى الذى حققته اللجنة، وكان ينبغى عليه فعلا أن يلجأ إلى دواوين ناجى نفسها، ويقارن بينها وبين ديوان ناجى، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حجازى لم يرجع إلى دواوين ناجى نفسها، منها على سبيل المثال ورود الشطر الثانى من أحد أبيات قصيدة «العودة» على النحو التالى (لا يرى الآخر معنى للهناء)، وهذا مالا يجده القارئ فى ديوان «وراء الغمام» كما بينت من قبل فى معرض حديثى عن أخطاء اللجنة بل إن حجازى لم يهتم حتى بتصحيح الشكل فى هذا الشطر، فكلمة «الآخر» – وهى فاعل – تجىء مفتوحة لا مضمومة فى نص القصيدة من ديوان ناجى وحده، وهى تجىء على نفس الصورة الخاطئة فى مختارات حجازى، ومن دلائل اعتماد حجازى على ديوان ناجى وحده، أن عبارات عديدة من عبارات صالح جودت فى مقدمته لهذا الديوان تندس فى ثنايا مقدمة حجازى، فضلا عن قصيدة كمال نشأت التى نقلها حجازى – بطبيعة الحال – من ديوان ناجى ..

«فى معبد الليل» – الديوان الملفق

فى أواخر عام ١٩٧٣ صدرت عن دار العودة البيروتية طبعات جديدة من دواوين ناجى «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و «الطائر الجريح»، وقد وقعت الطبعات الجديدة فى أخطاء عديدة، لكن ما يهمنى الآن هو الإشارة إلى ديوان رابع بعنوان «فى معبد الليل» صدر عن نفس الدار البيروتية والحق أن هذا الديوان ديوان ملفق بكل معنى الكلمة.

ماذا عن الديوان الملفق؟! .. يضم هذا الديوان خمساً وثلاثين قصيدة، أربع قصائد لم تنشر من قبل لناجى فى المجلات أو الجرائد الأدبية وقد صدر الناشر بهذه القصائد ديوان «فى معبد الليل» الملفق، وهى على النحو التالى: قصيدة «إلى أميرتنا» وهى ثلاثة أبيات كتبها ناجى فى عيد ميلاد ابنته «أميرة» (الرابع عشر يوم ١٠/٤/١٩٤٦)، وقصيدة «إلى ابنتى» وهى تتضمن خمسة أبيات كتبها ناجى لابنته أميرة مثل سابقتها وقصيدة «أبد الخلود» وقد كُتب تحتها هامش هذا نصه: «عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجى فى مصر أهدى إليها ديوانه ليالى القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه القصيدة التى أرسلتها إلينا الشاعرة من جامعة الكويت»، ويتضمن هذا «الإهداء» الشعرى أربعة أبيات هى:

ماكان أقصر هذه من زورة   ما أشبعتنا من بشاشة نازك
كلا ولا روَّى النهى من زهرة   بالطهر تفصح عن سمات ملائك

إنَّـــا حمـــدنا لليـــالى أنهـــا   قد قربتنا مـــن ســـنى سمائـــك
إن كان أسعدنا الزمـــان بـــساعة   فكأنها أبـــد الخلـــود حيالـــك

أما القصيدة الرابعة فهى قصيدة «تكريم» (ص ٧٣٢) وهى - كما يذكر الهامش المكتوب تحتها (قصيدة الدكتور ناجى فى الحفلة التى أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل سامى الكيالى سنة ١٩٣٢» ومطلعها:

نفـــدى النـــزيل ونكرمن   إن لـــم نكرمـــــــه فمن؟

يبقى إذن من القصائد الخمس والثلاثين التى يضمها الديوان الملفق إحدى وثلاثون قصيدة جميعها - بلا استثناء - منقولة بنصوصها وهوامشها التى تعلق عليها من صفحات ديوان ناجى الذى حققه صالح جودت وشركاؤه، وهذه القصائد مرتبة حسب أولويتها فى ديوان ناجى فأولى القصائد "إلى أمنية" يجدها القارئ فى ديوان ناجى- تحقيق صالح جودت (ص ٥٤) والثانية «تحت الباب» يجدها القارئ فى ديوان ناجى - تحقيق صالح جودت (ص ٩٠) والرابعة «عجباً» يجدها القارئ فى الديوان المذكور (ص ١٠١) .. وهكذا تتوالى القصائد دون إشارة ولو سريعة إلى المصدر الذى نقلت عنه نصوصها وهوامشها!! ..

وفيما يتعلق بقصيدة «فى معبد الليل» التى يحمل الديوان الملفق اسمها فإنها ليست من شعر ناجى، وإنما هى من شعر كمال نشأت كما سبق أن ذكرت وكررت!!..

قصائد مجهولة

فى سنة ١٩٧٨ صدر عن مكتبة مدبولى بالقاهرة كتاب «إبراهيم ناجى - قصائد مجهولة - جمعها وقدم لها حسن توفيق»، يضم هذا الكتاب خمسين قصيدة مجهولة لناجى، منها اثنتان وثلاثون قصيدة نشرت فى هذا الكتاب لأول مرة بعد أن قمت بجمعها من الجرائد والمجلات القديمة التى نشرت فيها، وأما بقية القصائد الثمانى عشرة، فإن ناجى قد غير فى نصوصها المعروفة تغييراً كبيراً، بشكل يجهله تماماً كل الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على تلك النصوص عندما نشرها ناجى لأول مرة فى الجرائد والمجلات المختلفة، وقد تصدرت هذه القصائد مقدمة مطولة مستفيضة، بينت فيها - ضمن ما بينته - مصدر كل قصيدة من تلك القصائد، ولست أريد الحديث عن هذا الكتاب، حتى لا أتهم بمجاملة النفس، لكنى أكتفى هنا ببعض إشارات الآخرين إلى «قصائد مجهولة»، فقد تلقيت رسالة خطية من المهندس حسن ناجى، رأى عبر سطورها أن هذا الكتاب أعمق دراسة عن أخيه الدكتور إبراهيم ناجى، أما الشاعر والكاتب القدير كمال النجمى فإنه أسعدنى حين كتب عن الكتاب مقالا مطولا على امتداد صفحتين فى مجلة «المصور» عدد

٨ سبتمبر عام ١٩٧٨، وفيه يقول: «هكذا كان شاعرنا إبراهيم ناجى .. ذكرته رحمه الله حين تلقيت ديوانه «الجديد» الذى جمع فيه الشاعر الكاتب حسن توفيق قصائد مجهولة من ناجى .. وكتب لها مقدمة طويلة ممتازة، بيَّن فيها ما وقع من الخلط فى جمع شعر ناجى حين قامت بجمعه إحدى اللجان منذ سنوات، وقد أسدى الشاعر حسن توفيق إلى الشعر المصرى الحديث يداً بيضاء بما بذله من جهد كبير فى جمع هذه القصائد المجهولة التى استخرجها من الظلام كما تستخرج الجواهر من المناجم السحيقة» ..

وإذا كنت فرحت فرحاً عميقاً بعد صدور «قصائد مجهولة» إلا أن هذه الفرحة ما لبث أن تعكرت، بل كادت أن تتبدد، منذ أن علمت أن أحد أصدقاء ناجى الحميمين وأحد المثقفين المصريين القلائل الذين يعملون فى صمت، وهو الكاتب وديع فلسطين، كان قد نشر عدة مقالات مطولة عن ناجى وعن شعره الضائع والمجهول فى مجلة «الأديب» البيروتية، وحين قرأت هذه المقالات بعد صدور كتاب «قصائد مجهولة» أدركت مدى الخسارة التى لحقت بى ومدى الكسب المعنوى الذى كان يمكن أن يتحقق لو أتيح لى أن أتابع هذه المقالات قبل صدور كتابى هذا، وفى إحدى هذه المقالات يقول وديع فلسطين .. عدد أبريل ١٩٧٩ من مجلة «الأديب» .. «.. لا أريد أن أنتقص من قدر الجهد الذى بذله حسن توفيق، فالواقع أنه فى بحثه عن ناجى وفى جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق، ولكن من الخطأ القول إن

الخمسين قصيدة الواردة في كتابه هى كل شعر ناجى الضائع، فلا بد لأي دارس من أن يضيف إليها ما سبق لي جمعه، ولابد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجى الضائع استكمالا لديوانه الذي أصابه النحس منذ صدوره ..».

والواقع أنى لم أقل إطلاقاً إن قصائد ناجى المجهولة تتمثل فى خمسين قصيدة، بدليل أننى سعيت - فيما بعد - إلى الأستاذ وديع فلسطين، واستفدت من مقالاته أكبر فائدة، وظللت أعاود البحث بكل ما أوتيت من جهد ومن طاقة، إلى أن أصبحت القصائد المجهولة التى تضمها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» مائة قصيدة وقصيدة، أى أنها تضاعفت من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة، ومع كل هذا فإنى أعتقد بضرورة وجود قصائد أخرى مجهولة وإن تكن قليلة، لكنى لم أستطع الوصول إليها ..

*** هذه الأعمال الشعرية الكاملة**

مع أنى أدرك أن الكمال لله وحده، على اعتبار أن أيَّ جهد بشري لا بد أن تشوبه نقائص وسلبيات، إلا أننى أستطيع القول، وأنا مطمئن إلى ما أقول، إن ما يشتمل عليه هذا المجلد هو الذى نستطيع أن نسميه - بحق - «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى ..

تضم هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» دواوين وقصائد ناجى على النحو التالى:

١ - «وراء الغمام» - وهو الديوان الأول للشاعر، والذى أصدره فى مايو عام ١٩٣٤، وقد اعتمدت فى هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسخة الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى الخاصة، والتى كتب عليها ناجى إهداء بخط يده لأحد مفتشى وزارة المعارف، كما سبق أن أشرت، وقد حرصت على إثبات مقدمة أحمد الصاوى محمد للديوان وقصيدة «إلى ناجى الشاعر» التى تتصدر الديوان والتى كتبها الدكتور أحمد زكى أبو شادى تحية لناجى ..

٢ - «ليالى القاهرة» - وهو الديوان الثانى للشاعر، والذى أصدره عام ١٩٥٠ وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، كما سبق أن بينت بالدليل القاطع، وقد اعتمدت فى هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسختى من الطبعة الأولى التى تضمها مكتبتى الخاصة، والتى كنت قد حصلتُ عليها - هدية - من مكتبة مدرسة روض الفرج الثانوية أيام أن كنت طالباً بها، وقد حرصت على إثبات مقدمة إبراهيم الدسوقى أباظة «باشا» التى تتصدر الديوان، كما أننى لم أسقط القصيدتين اللتين كتبهما ناجى عن الملك فاروق الأول فى عيد ميلاده، وعيد تتويجه، حيث حرصت على إثباتهما كما وردتا فى الطبعة الأولى.

٣ - «الطائر الجريح» - وهو الديوان الثالث للشاعر، والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧ عن دار المعارف بمصر ضمن سلسلة «فى ظلال

الوحى» وقد اعتمدت فى هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على النسخة التى تضمها مكتبتى الخاصة من هذهِ الطبعة الأولى، وحرصت على إثبات المقدمة التى كتبها محمد عبد الغنى حسن لهذا الديوان كما أننى أضفت الأبيات التى كان أحمد رامى قد حذفها من بعض تلك القصائد، أثناء جمعه لقصائد هذا الديوان.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الرابع للشاعر، أما القصائد التى يشتمل عليها فهى القصائد المتبقية من «ديوان ناجى» الذى حققته اللجنة المكونة من صالح جودت وأحمد رامى والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى ، وهذه القصائد المتبقية هى التى لم تضمها دواوين «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و «الطائر الجريح» وعدد هذه القصائد التى جمعها أعضاء تلك اللجنة ثمان وعشرون قصيدة، أضفت إليها أربع قصائد هى «إلى أميرتنا» و «إلى ابنتى» و «أبد الخلود» و«تكريم» وهى القصائد التى كان الناشر - دار العودة البيروتية - قد أضافها إلى القصائد الثمانى والعشرين التى جمعها أعضاء اللجنة، وأصدرها مجتمعه تحت عنوان «فى معبد الليل» والذى سبق أن ذكرت أنه ديوان «ملفق»، وبهذا يكون مجموع «قصائد من ديوان ناجى» الذى تضمه «الأعمال الشعرية الكاملة» اثنتين وثلاثين قصيدة، وقد اعتمدت هنا على الطبعة الأولى من «ديوان ناجى» والتى استعرت نسخة منها

من الأستاذ وديع فلسطين بعد ضياع نسختي الخاصة،كما اعتمدت على نسختي مما سماه ناشره «في معبد الليل».

٥ - «قصائد مجهولة» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الخامس والأخير للشاعر، وقد صدر «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى عام ١٩٧٨ بعد أن جمعت قصائده وقمت بتحقيقها وكتبت لها مقدمة علمية مطولة، وصدرت طبعة أخرى من «قصائد مجهولة» في بيروت عن «المركز العربي للثقافة والعلوم»، دون استئذان أو موافقة مني على صدورها، أي أنها صدرت في إطار القرصنة الأدبية! وهذه الطبعة ليست مؤرخة، وقد اشتريت نسخاً منها من عدة مكتبات في بغداد عندما كنت أزورها عام ١٩٨٣.

كان ديوان «قصائد مجهولة» في طبعتيه الأولى والثانية المزورة يضم خمسين قصيدة مجهولة، أما «قصائد مجهولة» الذي تضمه هذه الأعمال الشعرية الكاملة، فإنه يضم مائة قصيدة وقصيدة..

وقد قمت بترتيب «قصائد مجهولة» ترتيباً تاريخياً أي أن القارئ سيجد قصائد لناجي كتبها من عام ١٩٢١ وهو العام الذي سبق تخرجه من «مدرسة الطب السلطانية» وحتى شهر فبراير عام ١٩٥٣ أي قبل رحيله عن عالمنا بشهر واحد، حيث إنه قد رحل عن عالمنا - كما نعرف - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣.

وتشتمل هذه الأعمال الشعرية الكاملة» على ثلاثمائة وسبع عشرة قصيدة على النحو التالى:

١ - ديوان «وراء الغمام» - يضم أربعاً وخمسين قصيدة.

٢ - ديوان «ليالى القاهرة» يضم أربعاً وسبعين قصيدة.

٣ - ديوان «الطائر الجريح» يضم ستا وخمسين قصيدة.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - يضم اثنتين وثلاثين قصيدة ..

٥ - «قصائد مجهولة» - يضم مائة قصيدة وقصيدة.

وإذا كنت قد جمعت مائة قصيدة وقصيدة، وكانت قصائد ناجى كلها (٣١٧) قصيدة، فهذا يعنى أننى قد جمعت ما يقرب من ثلث قصائد ناجى التى تشتمل عليها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة». وقد راعيت أن أثبت تاريخ نشر أو كتابة كل قصيدة من القصائد المجهولة فى الهامش الخاص بكل منها، أما تفاصيل المصادر المتعلقة بتلك القصائد، فإنها موجودة بصورة مفصلة ومستقلة لكى يتابعها الباحثون والدارسون إذا شاءوا أن يتابعوا.

وإذا كانت هذه الطبعة التى تصدر عن «المجلس الأعلى للثقافة» هى الطبعة التى نستطيع أن نسميها بكل تأكيد «الأعمال الشعرية الكاملة» لإبراهيم ناجى فإن الجهد الذى قمت به هو - بطبيعة الحال - جهد فردى ، وليس جهد «لجنة» ومن هنا فإننى أتحمل وحدى مسئولية عبء جمع وتحقيق ودراسة هذه «الأعمال الشعرية الكاملة»..

لكن الجهد الفردى الذى قمت به لم يكن ليتحقق على النحو الذى تحقق به، لولا مساعدات وتشجيع كثيرين من الذين يعشقون ناجى، ولابد لى هنا من الاعتراف بفضل الإنسان الرائع الكاتب وديع فلسطين الذى فتح لى آفاقاً كبيرة، وأعارنى الكثير من الكتب التى طلبت منه أن يعيرنى إياها، كما أن مقالاته التى كتبها فى مجلة «الأديب» اللبنانية عن ناجى قد أفادتنى كثيراً، والحق أن وديع فلسطين لم يبخل بوقته وجهده تجاه هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» حيث كان يفتح لى قلبه وبيته لأنقب فى مكتبته الخاصة العامرة، ولأستوضحه فيما كان غامضاً من أمور تتعلق بناجى، ولا بد أن أذكر هنا شقيق ناجى الراحل – المهندس حسن ناجى الذى استقبلنى فى بيته وأعارنى دراسة مخطوطة عن ناجى، كان قد كتبها الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى، وهى دراسة أفادتنى وجمعت منها عدة قصائد مجهولة، ولابد أن أشكر السيدة الأستاذة عفت عبدالعزيز ناجى التى أهدتنى مقالا نقديا مخطوطاً بخط ناجى، وهو مقال مكتوب على أوراق عيادته الطبية ويتعلق بالنقد الأدبى فى تراثنا القديم، كما أتوجه بالشكر لوالدتها الجليلة السيدة جمالات مظهر التى أهدتنى صورة لناجى كان قد كتب عليها قصيدة بخطه، ويرجع تاريخ هذه القصيدة المجهولة إلى شهر سبتمبر عام ١٩٢٤.

والآن .. وبعد هذا السيل الذى تدفق من النثر .. فلننطلق إلى آفاق الشعر الساحرة والمسحورة من خلال قصائد «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الدكتور إبراهيم ناجى ..

١٩٩٥/١٢/٣١

«حسن توفيق»

وراء الغمـــــام

الديوان الأول للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «وراء الغمام» – مايو عام ١٩٣٤.

إلى ناجى الشاعر

تَغَنَّى بهذا الـــشعرِ قبـــلَ وجُودنـــا
وفى بَدْءِ خَلْقِ الكونِ شاعره الأسمَى
فصرنا نَرىَ فيـــه نـــشيدَ أُلوهَـــة
ونَلْمحُ فيه رُوحَ آياتِـــهِ العُظْمَـــى
مفَاَتنُ: سِـــحْرُ العَبقريِـــة بعـــضها
فماذَا وَرَاءَ العَبقرِيـــة لا يُـــسمْى؟!
حبيبةُ قلـــبي: كلَّمـــا ذاقَ ظامئـــاً
سُلافتهَا يَستصغرُ الروحَ والجِـــسْما
يَرى أنَّه مَعْنًى سوى مـــا أحَـــسَّهُ
ولكنّه مَعْنًى شَأَى الحَدْسَ والفَهْمـــا
كأنَّى يتـــيمٌ إنْ حُرِمْتُـــكَ شـــاعراً
وفي صُحْبتِى إيَّاكَ لا أعرفُ اليُتْمـــا
كأنِّى غريبٌ في وجـــود مُعَـــذّب
وعِندَكَ ألْقَى عالَمَ الحُبِّ والنُّعْمَـــى
عواطفُ تُزْرِى بالزَّمانِ، وَعُمْرُهَـــا
هو الكونُ: لا نَدْرِى لغايته عِلْمَـــا
لَئِنْ عُدَّ حُبِّى مِنْ جُنـــون ونَـــشْوة
فلِلفن حُمَّى لَنْ تُقاسَ بهَا الحُمَّـــى!

أحمد زكى أبو شادى

تصدير

من غريب الصدف ومحاسنها أنني أول ما تعرفت بصديقى الدكتور إبراهيم ناجى في مجلة (الهلال)، في قصيدته «المآب» التي جاءَت أولى قصائد هذا الديوان. فلما أتاح لى حظ الكتابة عن ديوانه البكر، قلت لنفسى: مَن كان يزعم أننى سأكتب يوماً عن القصيدة التي أحببتها، ورأيت صاحبها، وارتبطنا قبلاً بالألم والحنين والرجاء؟

فهو يخاطب رفيق الصبا العليل المحمول:

ياهـــمَّ قلـبى فـي صبـا أيامه
وسهـاد عينى في الليالى الأولـى
عيناىَ كذّبتا، وقلبى لـم تـدع
دقاتُه شكـا ولا تأويـلا
يا أيها الملك العليل أفِق تـجـدْ
مضنـاك بيـن العائديـن عليلا!

ولكنه يخاطب كل من حمل قلبه الهم في صباه، وكل من تقرحت جفونه من هواه ويصور رغبة النفس في التشكك في الشر والجزع من الحزن مع وثوقها من صدق شعورها ويقين إحساسها، فترتجف وتنادى الحبيب المضنى المسجى لينهض ويشهد على الوفاء والشقاء ...

يكاد يكون ديوان ناجى قصيدة واحدة، وقصيدة حب ... فقد وجد الحب منذ وجد الشعر، أو وجد الشعر منذ وجد الحب!

وكأني بإلهة الحب «الزهرة» وإله الشعر «أبولو» قد سارا جنباً إلى جنب يقطعان الأفلاك والأجيال، باحثين عن رجل يعيش بالحب والشعر، ويعيش لهما، ومن أجلهما، فهو دائماً المحب الشاعر، حتى تجلى لهما من «وراء الغمام» ... وعندئذ تنازعا عليه فإلهة الحب تدّعيه لنفسها خالصاً وإله الشعر ينسبه إلى ملكوته خالصاً.

وكيف لى أن أنسب ناجى إلى هذه دون هذا؟... إنى أخشى أن أغضب فينوس أو أظلم أبولو!..

وليست لى حكمة سليمان الذى تنازعت لديه امرأتان على ولد، فأخذ سكيناً وهدد بذبحه، فصاحت الأم الصادقة إشفاقاً على فلذة كبدها وتركته للأخرى، فحكم لها به ..

وناجى شعورٌ مرهفٌ وحساسية دقيقة تنطبع فيها الخيالات والأشباح وينطبع فيها الحزن والفرح وينطبع فيها الحنين والأنين كالصورة المجلوّة المرئية رأىَ العين.

ولكن إذا درسنا ناجى وجدنا أن الحب والشعر في نفسه قد امتزجا فصارا شيئاً واحداً، كالذرّات التى كانت تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة، فاجتمعت دون أن تدرى كيف، وكونت روح الشاعر.

فهو دائماً يشعر بـــ «الحنين» إلى «الجمال الضنين». ينشد «الميعاد» ويقضى في «الانتظار» الدهور على «صخرة الملتقى» أملاً في «ساعة لقاء» و«مصافحة اللقاء». وهو في هذه الخلال يشعر أنه «المنسى» فيضرب في «ليالى الأرق» على «الناى المحترق» دور «مناجاة الهاجر» أو يروح يلقى «أغنية في هيكل الحب».. أو يصلى عند «العودة»: «صلاة الحب» ... وقد «يظفر بقرب حبيبه ولكنه يشك في هذا النعيم الذى لقيه فيبكى في النعمة كما يبكى في الشقاء».

ليت شعرى!.. هذا هوناجى بقلمه، ومصوّر بريشته، إذ كيف يجرؤ الناثر على وصف الشاعر؟ وكيف توصف الموسيقى بالكلام؟ وكيف يعبر بالحروف عن الأحلام؟ وهل يعرف – ومن أين له – كالشاعر القائل:

أصيـــــــر الدمع لحنـــــاً وأجعل الشعـــــر نايــــا

إنه يشعر بالحنين، وقد كبر حنينه وزاد فتجسم له إنساناً فشكا منه:

أمســـــى يعذّبنى ويضنينى شـــوق طغى طغيان مجنون!

ووارحمتا للطبيب ينشد الشفاء ولا يعرف له دواء:

أين الشفاء ولم يعد بيـــــدى إلا أضاليل تداوينـــــــى؟!

قد غمره ضجيج الحياة وأمواج الظلمات:

أبغى الهدوءَ، ولا هدوءَ وفي صدرى عباب غير مأمـــــون

والذنب ذنبه، قد تعهد الحنين صغيراً:

ربيتــه طفــــلاً بذلــت له ما شاءَ من خفض ومن ليــن

ولكنه كبر ونما ولما اشتدَّ ساعده:

لم يرض غير شبيبتي ودمي زاداً يعيـــــش بـــه ويفنيني!

على أن «الجمال الضنين» كذلك كالحنين يتمثل له:

كم بت منتبهاً أصغى لخطوته أراه في الوهم أحياناً وأسمعه!

ولكنه في هذه المرة لا يبيح شبابه للفناء ولا حياته للعفاء لأن أمله قد تجدَّد وروحه قد انتعش فاعتزَّ بشعره ونعى على الجمال ضنه:

أغرَّ حـــسنك أنَّ الخلـــد جدولـــه

وأنه من غريب الـــسحر منبعـــه؟

هيهات يخلـــد حـــسنٌ لا يؤلهـــه

شعرٌ من النسق الأعلـــى ويرفعـــه

تعـــالَ وادن بيـــومٍ لا تحـــسّ بـــه

أجسادنا، في صـــفاء لا تـــضيعه!

لكن أحسُّك تجرى في صميم دمى!

أنت الحياة، وأنت الكون أجمعـــه!

في انتظار هذا اليوم الموعود يقف تحت العاصفة والبرد (ص ١١٤) وقفة هى من أروع ما سجله الشعر في حياة الحب تسجيلاً للانتظار المرير:

تعالَ فقد رأيــت الكــون يحنــو
علــيَّ ويــدرك الكــربَ الملمَّـــا
ويجلـــو لى النجـــوم فأزدريهـــا
وأغمض لا أريــد ســواك نجمــا!

وهو يغرى الحبيب بستر الظلام:

تعالَ! فلم يعــد في الحــى ســارٍ
وهوَّمت المنــازل بعــد وهــن
وران علـــى نوافـــذها ظـــلامٌ
وقد كانت تطلُّ كــألف عــين

ومع ذلك يشكو من ائتمار الظلام به، ويشكو سخرية العواصف منه، ثم يعود فيراها كالظلام أيضاً مسيرة فى خدمته:

أرى الآبـــاد تغمـــرنى كبحـــر
ســحيق الغــورِ مجهــول القــرارِ
ويــأتمر الظــلام علــيَّ حــتى
كــأنى هــابطٌ أعمــاقَ غــارِ
وتصطخب العواصفُ ســاخرات
وتطعـــننى بـــأطرافِ الحـــرابِ

وتشفق بعد ما تقسو فتمـــضى

لتقرع كـــلَّ نافـــذةٍ وبـــابِ!

ومثل هذه اللوحات الناطقة شيء جديد فعلاً في وقت أصبح كل وزّان للقافية شاعراً وأصبح مدار الشعر يقوم على القافية دون الشعور!

فناجى ليس شاعراً مستهاماً فقط ولكنه مصور ومفكر. وهو حتى الآن مازال يعيش على «الغد»، ويعيش على ألوف القراء الذين يستروحون الرجاء في شعره، ويتعلمون الاصطبار من صبره:

أنـــا في بُعـــدك مفقـــود الهـــدى

ضـــائعٌ أعـــشو إلى نـــورٍ كـــريمِ

أشترى الأحلام في ســـوق المـــنى

وأبيع العمـــر في ســـوق الهمـــومِ!

ألم أقل لك إنه مصور لايبارى:

أيهـــا الآمـــر في مُلـــك الهـــوى

اعفُ عن لهفـــةِ روحـــى وأوارى

أشـــتهى ضـــمكَ حـــتى أشـــتفى

فكـــأنى ظـــامئٌ آخـــذُ ثـــارى!

غـــير أنى كلمـــا امتـــدَّتْ يـــدى

لعناقٍ خفتُ أن تؤذيـــكَ نـــارى!

مصورٌ بارعٌ ولا ريب! انظر كيف يجمع بين الجرح والشفق، وكلاهما ينضح بالدم:

أفـــديكِ باكيـــةً وجازعـــةً

قـــد لفَّهـــا في ثوبـــه الغـــسقُ

ودَّعتـــــها شمـــــساً مودَّعـــــة

ذهبت وعندى الجـــرحُ والـــشفقُ

فالشاعرية فيه أصيلة لاشك فيها، وهو يشكو الحبيب أحياناً إلى نفسه في «الميعاد» شكوى ما أصدقها وأبلغها:

يا ظالمى! عينـــاكَ كـــم وعـــدتْ

قلـــبى إذا شـــفتاك لم تعـــدِ!

وهو يعبر عن ذلك في «مناجاة الهاجر» ص (٨٨):

أيحرم حتى وهم حبك مـــن رمـــى

بمهجته في نـــاره دون إحجـــامِ!؟

وأنفـــق فيـــه قلبـــه وشـــبابه

فلم يبق إلا الجرح والشفقُ الدامى؟!

ومِن عجبٍ أحنو على السهم غائراً

ويسألني قلبي متى يرجع الرامى!

فإذا عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها نظر للحب بقداسة ليست فوقها قداسة (ص ١٧):

هـــذه الكعبـــة كنـــا طائفيهـــا والمـــصلين صـــباحا ومـــساءَ

كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيـــف بـــالله رجعنـــا غربـــاءَ؟

ويروح يصوِّر الهجر في صورة الويل والفناء ويصرخ جزعاً من تدنيس هيكل الحب:

والبلـــى! أبـــصرتُه رأىَ العيـــانْ

ويـــداهُ تنـــسجانِ العنكبـــوت

صحتُ: ياويحكَ! تبدو في مكـــانْ

كلُّ شيءٍ فيـــه حـــيٌّ لا يمـــوت!

فاذا وقف بعد ذلك للوداع (ص ٥٢) رأيت الدنيا واقفة وراء ناجى مهيضةَ الجناح قد تجردت من نورها وحبورها لأن الشاعر يودع غرامه فيودع الطهرَ والنقاءَ ويودع الهناء والصفاء:

حان حرمــانى ونــادانى النــذيرْ
ما الذى أعددتَ لى قبل المــسيرْ؟
زمــنى ضـــاع ومـــا أنـــصفتنى
زادىَ الأول كـــالزادِ الأخــــيرْ
ريٌّ عمرى مــن أكاذيــب المــنى
وطعامي مــن عفــافٍ وضــميرْ
وعلـــى كفــك قلـــبٌ ودمٌ
وعلـــى بابـــك قيـــدٌ وأســـيرْ!

ويصحو من سكرة الأمانى فيشكو وينوح كمن يستيقظ من مخدر بعد عملية جراحية! وهل من جرح مثل جرح القلب الذى لا يلتئم؟ وهل ثمّ أمرٌّ من يوم الفراق؟

وانتبهنا بعــد مـــا زال الرحيـــقْ
وأفقنـــا! ليـــت أنـــا لا نفيـــقْ!

يقظةٌ طاحــت بــأحلام الكــرَى

وتولى الليــل، والليــل صــديق

وإذا النــورُ نــذيرٌ طــالعٌ

وإذا الفجــر مطــلٌّ كــالحريقْ

وإذا الــدنيا كمــا نعرفهــا

وإذا الأحبــابُ كــلٌّ في طريــقْ!

فظهور هذا الديوان الصغير هو في تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وثابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر، والحبُّ الخالصُ للحب، والرحمة للإنسانية.

والآن إذ أودِّع على أسف مني ليلة قضيتها حتى مطلع الفجر مع هذا الديوان، أشعر بأن الصداقة قد حالت بيني وبين إنصاف ناجى.

ولو أني لم أكن صديقه لعقدت على مفرقه إكليل الغار، ولكن يكفيه مني، وهو يعلم حبى، أن أؤكد له زهدى في طلعة الشمس إذا كان البقاء فيما «وراء الغمام» يشجى الحسَّ ويسعد النفس كلَّ هذا الشجو وهذا الإسعاد.

أحمد الصاوى محمد

إهداء الديوان

أنـــت وحـــى العبقريـــه وجـــلالُ الأبديَّـــهْ
أنـــت لحـــنُ الخلـــد والرحمـــة في أرض شـــقيَّهْ
أنـــت ســـرّ تعبـــتْ فيـــه العقـــول البـــشريَّهْ
إنْ تكـــنْ أشـــجتك أشـــعارى وأنّـــاتي الـــشجيَّه
فتقبـــلْ طاقـــةً بالـــدم والـــدمع نديَّـــهْ
وارضَ عنـــها! وإذا لم تـــرضَ فـــاغفرْلي الهديَّـــهْ

* * *

يـــا حبـــيبى .. نـــضبَ العمـــر وقَربنـــا الـــضحيَّهْ
إنْ يكـــنْ قـــد شَـــقِيَ الماضـــى فمـــا أَهْنَـــا البقيَّـــهْ
في خيـــالاتٍ غـــوالٍ وأمـــانٍ ذهبيَّـــهْ
يطلـــع الـــصبح عليهـــا مثلمـــا تمـــضى العـــشيةْ
أنـــت صـــهباء الـــسماوات! وروحُ قدســـيةْ
بـــت تـــسقينى فتنـــسينى أوجـــاعى العـــصيةْ
فـــسلاماً كـــل حـــينٍ وغرامـــاً وتحيـــهْ!

شعر الديـــوان

المـــــــــــــــــآب

(رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلاً محمولاً بعد غربة طويلة)

لَمِن العيـــونُ الفــاتراتُ ذبـــولا
ومَـــنِ الخيــالُ موسَّــداً محمـــولا
يـــاهمَّ قلـــبى في صِــبا أيامِـــه
وســـهادِ عـــينى في الليـــالى الأُولى
عينـــاى كـــذَّبتا وقلـــبى لم تَـــدَعْ
دقاتُـــــه شـــــكاً ولا تـــــأويلا
يا أيها الملكُ العليـــلُ أفــقْ تجــدْ
مــضناك بـــين العائـــدين علـــيلا

* * *

يوم المآب كـــم انتظرتُـــك باكيــاً
وبعثتُ أحلامـــى إليـــك رســـولا
خاطبتُ عنك فما تركت مخاطبــاً
وســـألتُ حـــتى لم أدَعْ مـــسئولا

أغرقت في الأمل الجميل فلـــم أدع
متخـــيَّلاً عـــذباً ولا مـــأمولا
وبكيت من يأسى عليك فلـــم أذر
عنـــد المحـــاجر مـــدمعاً مبـــذولا
وأســـائل الـــزمن الخفـــيَّ لعلـــه
يـــشفي أوامـــاً أو يبـــلُّ غلـــيلا
«يا أيها الـــزمن الـــذى أســـراره
لا تستطيع لها العقـــول وصـــولا»
«بالَّله قـــل أوَمـــا وراءك لحظـــة
جمعت خليلاً هـــاجراً وخلـــيلا؟»
هى لحظةٌ وهى الحياة ومَنْ يعـــشْ
من بعدها يجـــد الحيـــاةَ فـــضولا
مرَّ الظلام وَأنت مـــلء خـــواطري
ودنا الـــصباحُ ولم أزل مـــشغولا
وأتى النهار علي فتي أمـــسي بمـــا
حملَ النهار مـــن الـــشئون ملـــولا

وكذا الحياة تُملُّ إن هى أقفــرت

ممـــن يهـــوِّن عِبأهـــا المحمـــولا

كدٌّ علـــى كـــدٍّ ولـــست ببـــالغ

إلا ضَـــــنًى متتابعـــــاً ونحـــــولا

صدأُ الحوادث بدَّل الإشـــراق في

فكرى وكدَّر خـــاطرى المـــصقولا

وتتابع الأنـــواء في أفـــق الـــصِّبا

لم يُبـــق لى صـــحواً أراه جمـــيلا

ذهب الصبا الغالى وزالت دوحـــةٌ

مَدَّتْ لنـــا ظِـــلَّ الوفـــاء ظلـــيلا

أيـــام يخـــذلنى أمامَـــكِ منطقـــى

فإذا سكتُّ فكـــل شـــيءٍ قـــيلا!

ويثور بى حبى فإنْ لفـــظٌ جـــرى

بفمـــى تعثـــر بالـــشفاه خجـــولا

يا مَن نزلـــت بنبعـــه أَرِدُ الهـــوى

فـــأذا قَنِيـــه محطمـــاً ووبـــيلا

ما راعَــنى ماذقتُــه وخــشيتُ أن

ألقاك بالــداء الــدفين جهــولا

فأشدُّ مــا عـــانى الفــؤادُ صـــبابة

شَــبَّتْ وظـــل دفينُهـــا مجهــولا!

ســــــــاعـــــــة لقـــــاء

يا حبيبَ الروح يــا روحَ الأمــــاني

لستَ تدرى عطش الروح إليكــا

وحنــــينى في أنـــينٍ غـــير فــــانِ

للـــرَّدى أشـــربُه مـــن مقلتيكــا

* * *

آهِ مـــن ســـاعة بـــث وشـــجونْ

ولقاء لم يكن لــــــى فى حـــسابْ

وحـــديثٍ لم يَـــدُرْ لى في الظنـــونْ

يا طويَل الهجـــر يـــامُرَّ الغيـــابْ

* * *

حلَّ يـــا ســـاحرُ صـــفوٌ وســـلام

بعد فتك البين بالقلـــب الغريـــبْ

ودنــــا روْضٌ وظـــــلٌّ وغمــــامْ

بعد فتك النارِ بـــالعمر الجـــديبْ!

* * *

مرَّت الـــساعةُ كـــالحلم الـــسعيدْ

ومشت نـــشوهّا مـــشى الرحيـــقْ

ذهبَ العمـــر، وذا عمـــرٌ جديـــدْ

عشتُه من فمك الحلـــو الرقيـــقْ!

* * *

مْـــرَّت الـــساعةُ والليـــلُ دنـــا

والهوى الصامتُ يغـــدو ويـــروحْ

وتلاشتْ واختفـــتْ أجـــسادنا

واعتنقنا في الدُّجى روحـــاً بـــروحْ

* * *

تسمع الشعر وشعرى منك لكْ

وبإلهامـــك أبـــدعتُ الـــرويَّ

أنت يا معجزةَ الحـــسن مَلَـــكْ

كل لفـــظ منـــك شـــعر قدســـيًّ

* * *

كيف يفنى ما كتبناه بنارْ
وخططناه بسهد ودموعْ
يشهد الليل عليه والنهارْ
والشهيد المتوازي في الضلوعْ

* * *

التقتْ أرواحنا في ساحةٍ
كغريبَيْنِ استراحا من سفَرْ
وحططنا رحلنا في واحةٍ
زادُنا فيها الأماني والذكرْ

* * *

وتساءلت عن الماضي وهلْ
حسنت دنياي في غير ظلالكْ
يا حبيبي! أين أمضي من خجلْ
وفؤادي أين يمضي من سؤالِكْ

* * *

شدَّ مــا يخجلــني جهــد المُقِــلّ

مِن شبابٍ ضاع أو من نور عــينِ

يتمشى السقمُ في قلــب الأجــلْ

وأراني لــك مــا وفّيــتُ دَيْــنى

*   *   *

أنا شاديك ولحــنى لــك وحــدكْ

فاقض ما ترضاه في يومى وأمــسى

درج الدهر ومــا أذكــر بعــدَكْ

غير أيامِــكَ يــا تــوأم نفــسى!

*   *   *

وأنــا الطــائرُ! قلــبي مــا صَــبَا

لسوى غصنك والــوكر القــديمْ

مــا تبــدَّلنا! ولا حــال الــصِّبَا

والهوى الطاهر والــود الكــريمْ!

*   *   *

لم تَزُلْ ذكراه مــن بـــالى وبالـــكْ
كيف ينسى القلبُ أحلامَ صـــباهْ؟
قد صَحَتْ عينى على فجر جمالِــكْ
كيف يُنسى الفجرُ يا فجرَ الحياةْ؟!

العــــــودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها)

هـــذه الكعبـــة كنـــا طائفيهـــا
والمـــصلين صـــباحاً ومـــساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحـــسنَ فيهـــا
كيـــف بـــالله رجعنـــا غربـــاءَ

* * *

دارُ أحلامـــى وحـــبي لقيتْنـــا
في جمود مثلمـــا تلقـــى الجديـــدْ
أنكرتْنا وهـــى كانـــتْ إن رأتْنـــا
يضحك النورُ إلينـــا مـــن بعيـــدْ

* * *

رفرف القلـــب بجـــنبي كالـــذبيحْ
وأنـــا أهتـــفُ: يـــا قلـــبُ اتئـــدْ
فيجيب الدمعُ والماضـــي الجـــريحْ
لِمَ عُدنا؟ لَيـــت أنَّـــا لَـــم نعُـــدْ!

* * *

لَمِ عُــدنا؟ أو لَــمْ نَطــوِ الغَــرَامْ
وفَرَغْنَــا مِــن حــنينٍ وألَــمْ
ورَضــينا بــسكونٍ وســلامْ
وانتــهينْا لفــراغٍ كالعَــدَمْ؟!

* * *

أيهــا الــوكر إذاَ طــارَ الأليــفْ
لايَــرَى الآخــرُ معــنى للــسماءْ
ويَرَى الأيــام صــفراً كــالخَريفْ
نائحــات كريــاح الــصَّحراءْ

* * *

آه ممــا صــنع الــدهر بنــا
أو هذا الطلــل العــابس أنــتَ!
والخيــال المطــرق الــرأس أنــا
شدَّ مابتنا علــى الــضنك وبِــتَّ

* * *

أيـــن ناديـــك وأيـــن الـــسمرُ

أيـــن أهلـــوك بـــساطاً ونـــدامى

كلمـــا أرســـلتُ عـــنى تنظـــرُ

وثَبَ الـــدمع إلى عـــينى وغامَـــا

* * *

موطن الحسن ثـــوى فيـــه الـــسأمْ

وسَـــرَتْ أنفاسُـــه في جَـــوِّه

وأنـــاخ الليـــلُ فيـــه وجـــثمْ

وجـــرَتْ أشـــباحُه في بهـــوِه

* * *

والبلـــى! أبـــصرته رأى العيـــانْ

ويـــداه تنـــسجان العنكبـــوتْ

صحت! ياويحك تبـــدو في مكـــانْ

كل شيء فيـــه حـــيٌّ لا يمـــوت!

* * *

كل شيء مـــن ســـرور وحَـــزَنْ

والليـــالى مـــن بهـــيجٍ وشـــجِى

وأنـــا أسمـــع أقـــدامَ الـــزمنْ
وخطى الوحـــدةِ فـــوق الـــدرجِ

* * *

ركنىَ الحـــانى ومغنـــاىَ الـــشفيقْ
وظلال الخلـــد للعـــاني الطلـــيحْ
علم الله لقـــد طـــال الطريـــقْ
وأنـــا جئتـــك كيمـــا أســـتريح

* * *

وعلـــى بابـــك ألقـــى جَعـــبتى
كغريـــبٍ آبَ مـــن وادى المحـــن
فيـــك كـــفَّ الله عـــنى غـــربتى
ورسا رحلى على أرض الـــوطنْ!

* * *

وطـــنى أنـــتَ ولكـــنى طريـــد
أبدىُّ النفـــي في عـــالَم بؤســـى!
فإذا عـــدت فللنجـــوى أعـــودْ
ثم أمضى بعد ما أُفـــرغ كأســـى!

الحنين

(الحنين إذا كبر وزاد قد يتجسم شخصاً)

أَمْسَى يعذبنى ويضنينى
شوقٌ طغى طغيان مجنونِ
أين الشفاء ولم يعد بيدى
إلاّ أضاليلٌ تداوينى
أبغى الهدوء ولا هدوء وفي
صدرى عبابٌ غير مأمون
يهتاج إن لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنين مطعونِ
ويظل يضربُ فى أضالعه
وكأنها قضبانُ مسجونِ
ويحَ الحنين وما يجرعنى
من مُره ويبيت يسقينى
ربيته طفلاً بذلت له
ما شاء من خفضٍ ومن لينِ

فـــاليوم لـــــما اشـــتدَّ ســاعده

وربَـــــا كنـــــوار البـــــساتينِ

لَم يرضَ غـــير شـــبيبتى ودمـــى

زاداً يعــــــيش بـــــه ويفنـــــينى

كـــــم ليلـــةٍ لـــيلاء لازمـــنى

لا يرتـــــضى خـــــلاًّ لـــــه دونى

أُلفـــى لـــــه همـــــساً يخـــاطبنى

وأرى لـــــه ظـــــلاًّ يماشـــــينى

متنفساً لهبـــاً يهـــبُّ علـــــى

وجهـــى كأنفـــاس الـــبراكينِ

ويضمنا الليـــل العظـــيم ومـــا

كالليــــل مـــأوى للمـــساكينِ

النـــاى المـحـــترق

كـــم مـــرَّة يـــا حبـيبي والليـــل يغـــشى البرايـــا
أهـــيم وحـــدِي ومـــا في الظـــلام شـــاكٍ ســـوايا
أصـــيِّر الـــدمع لحنـــاً وأجعـــل الـــشعر نايـــا
وهـــــل يلـــــبي حطـــــام أشـــــعلته بجوايـــــا
النـــار توغـــل فيـــه والـــريح تـــذرو البقايـــا
مـــا أتعـــس النـــاى بـــين المـــنى وبـــين المنايـــا
يـــشدو ويـــشدو حزينـــاً مرجِّعـــاً شـــكوايا
مـــستعطفاً مـــن طوينـــا علـــى هـــواه الطوايـــا
حـــتى يلـــوح خيـــال عرفتـــه في صـــبايا
يـــدنو إلى وتـــدنو مـــن ثغـــره شـــفتايا
إذا بحلمـــــي تلاشـــــى واســـــتيقظت عينايـــــا
ورحـــت أصـــغي . وأصـــغى لَـــم أُلْـــفِ إلاَّ صـــدايا!

المنـــــــــــــسى

متى يرق الحظ يــا قاســـى
ويلتقى المنسيُّ والناســـى!
متى! وهل من حيلة في متى
وفي خيــالاتٍ وأحـــداسِ؟
هدَّ قرارى جريها في دمـــى
وهمسُهَا في كرِّ أنفاســـى!
وأنت مثل النجمِ في المنتأي
وفي السنا الخاطفِ كالماسِ
يرنو له النـــاس ويبغونـــه
وما يبالى النجم بالناسِ!
وأنت كأسُ الحسن لكننـــا
مثل حباب حامَ بالكـــاسِ
طفا وقـــد قبَّـــل أنْوارَهَـــا
ورفَّ مثل الطائر الحاسى!
وجفَّ أو ذابَ على نورها
كما يذُوب الطلُّ بـــالآس!

تـــحليـــل قبلـــــة

ولما التقينا بعـــد نـــأى وغربـــةٍ
شجيَّيْنِ فاضًا من أسى وحـــنينِ
تسائلنى عيناك عن سالف الهوى
بقلبى وتستقضى قديم ديـــونِ
فقلت وقد ضجَّ الهوى في جوانحى
وأنَّ من الكتمـــان أى أنـــينِ
يبث فمى ســـرَّ الهـــوى لمقبَّـــل
أجود له بالروح غـــير ضـــنينِ
إذا كنت في شك سلى القبلةَ التى
أذاعتْ من الأسرار كلَّ دفـــينِ
مناجاة أشواق وتجديد موثـــق
وتبديد أوهامٍ وفـــض ظنـــونِ
وشكوى جوى قاس وسقم مبرحٍ
وتسهيد أجفانٍ وصبر ســـنينِ!

الـــحـــــــــــــــيـــاة

(استعراض للحياة فى شارع)

جلست يوماً حين حلَّ المـــساءْ
وقد مضى يومى بلا مـــؤنـــسِ
أريح أقداماً وهتْ مـــن عيـــاءْ
وأرقب العالَم من مـــجلســـى!

* * *

أرقبه! ياكَـــدَّ هـــذا الرقيـــبْ
في طيِّب الكون وفى باطِـــــلهْ
وما يبالى ذا الخـــضم العجيـــبْ
بناظرٍ يرقـــب في ساحـــــــلهْ
ســـيان مـــا أجهـــلُ أو أعلـــمُ
من غامض الليل ولغز النـــهارْ
سيـــستمر المـــسرحُ الأعظـــمُ
روايةً طالـــت وأيـــن الـــستارْ

* * *

عييـــتُ بالـــدنيا وأســـرارِها

وما احتيالى في صموت الرمالْ!

أَنـــشدُ في رائـــع أنوارِهـــا

رشداً فما أغـــنم إلاَّ الـــضلالْ!

* * *

أغمضت عـــينى دونهـــا خائفـــاً

مبتغيـــاً لي رحمـــةً فى الظـــلامْ

فـــصاح بى صـــائحها هاتفـــاً

كأنمـــا يـــوقظنى مـــن منـــام:

أنت امرؤٌ ترزح تحـــتَ الـــضنى

لم يُبْقِ منك الـــدهر إلا عنـــادْ!

وكل مـــا تبـــصره مـــن سَـــنَا

يهزأ بالجذوة خلـــف الرمـــادْ!

* * *

وكل ما تبـــصره مـــن قـــوَى

تَذْوى دوىَّ الريح عند الهبوبْ

يسخر من مبتئسٍ قد ثوَى
يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

* * *

أنظرْ إلى شتى معانى الجمالْ
منبثة في الأرض أو في السماءْ
ألا ترى في كل هذا الجلالْ
غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ!
كم غادة بين الصبا والشبابْ
تأنق الصانعُ في صنعِهَا
تخطر والأنظار تحدو الركابْ
ولفظة الإعجاب في سمعهَا!

* * *

وربما سار إلي جنبها
مدلّه ليس يبالى الرقيب
يمشى شديد العُجْبِ في قربها
إذ راح يوليها ذراع الحبيبْ!

* * *

وانظــــرْ إلي ســـــيارة كالأجـــــل

تخطف خطفاً لاتُبـــالى الزحـــامْ

هذا الردى الجارى اختراع الرجلْ

هل بعد صُنع الموت شىءٌ يرُامْ!

وانظرُ إلى هذا القـــوىِّ الجـــسدْ

الباتر العزم الشديد الكفـــاحْ!

قد أقبل الليـــل فحـــىٍّ الجلـــد

في رجل يدأبُ منـــذ الـــصباحْ

* * *

أجبتُ: يا دنياى من تخـــدعين؟

إني امرؤٌ ضاق بهـــذا الخـــداعْ

مزَّقتِ عن عيشى هنىَّ الـــسنين

لأننى مزقتُ عنـــك القنـــــاعْ!

* * *

إن الجمـــالَ الـــساحرَ الفاتنـــا

يا ويحه حين تغـــير الغـــضونْ

ويعبث الـــدهر بحلـــو الجـــنى

وتستر الصبغةُ إثمَ الـــسنينْ!

* * *

وهـــــذه الـــسيارة العاتيـــــه

وربُّما الجبـــار كـــالبرق ســـارْ

مـــــاهى إلا شـــعلٌ فانيـــــةْ

نصيبها مثل شـــعاع النـــهارْ!

* * *

وارحمتـــاه للقـــويِّ الـــصبورْ

يقضى الليالى في كفاح سخيفْ

وكيف لا أبكى لكدح الفقـــيرْ

أقصى مناه أن ينال الرغيفْ!

كم صحتُ اذْ أبصرتُ هذا الجهادْ

ومِيسم الذلـــة فــوق الجبـــاهْ

يا حسرتا ممـــا يُلاقـــى العبـــادْ

أَكُلٌّ هذا في ســبيل الحيـــاه؟!

وفي ســـبيل الـــزاد والمأكـــلِ

نمـــلأ صـــدرَ الأرض إعـــوالا

كم يسخر النجمُ بنا مِـــن عـــلِ

وكـــم يرانـــا الله أطفـــالا!

* * *

ياربِّ غفرانـــك إنـــا صِـــغارْ

ندبٌّ فى الدنيا دبيـــب الغـــرورْ

نسحب في الأرض ذيول الصغارْ

والشيب تأديبٌ لنـــا والقبـــورْ!

قــلب راقصــة

أمــسيتُ أشــكو الــضيقَ والأينــا
مــستغرقاً في الفكــر والــسأمِ
فمـــــضيتُ لا أدري أينـــــا
ومشيتُ حيث تجـرُّني قـدمي

* * *

فرأيت فيمـا أبـصَرَتْ عـيني
مَلــهى أعــدَّ ليبــهجَ الناســا
يجلــون فيــه فرائــدَ الحُــسْنِ
ويبــاع فيــه اللــهوُ أجناســا

* * *

بغرائـــب الألــوان مزدهـــرُ
وتــراه بالأضــواء مغمــورًا
فقـــصدته عجـــلاً ولي بـــصرُ
شبه الفراشــة يعــشق النــورَ!

ودخلتـــه أجتـــاز مزدحمـــاً

بـــالخلق أفواجـــاً وأفواجـــاً

وأخوض بحـــراً بـــات ملتطمـــاً

بالنـــاس أمواجـــاً وأمواجـــاً

*   *   *

فقدوا حجاهم حينمـــا طربـــوا

ودَوا دويَّ البحـــر صـــخَّابا

فإذا استقروا لحظـــة صـــخبوا

لا يملكـــون الـــنفس إعجابـــا

*   *   *

متـــوثبين يميـــل صـــفهم

متطلـــع الأعنـــاق يتقـــدُ

ومـــصفقين علـــت أكفهـــم

فـــوَّراة فكأنهـــا الزبـــدُ!

*   *   *

لِمَ لا أثـــور اليـــوم ثـــورتَهم؟

لِمَ لا أجرِّبُ مـــا يـــحبونا ؟!

لِمَ لا أصيح اليــوم صــيحتَهم

لِمَ لا أضجُّ كمــا يــضجُّونا؟!

* * *

لِمَ لا تذوق كؤوسهم شــفتي؟

إنَّ الحجــا سمّـــى وتـــدميري

في ذمـــة الـــشيطان فلـــسفتي

ورزانـــتي ووقـــار تفكـــيري!

* * *

يا قلبُ! ضقتَ وها هنــا ســعةٌ

ومجـــالُ مـــصفودٍ بـــأغلالِ

أتقـــول أعمـــارٌ مـــضيعة؟!

ماذا صنعت بعمــرك الغــالي؟!

* * *

أنظـــرْ تـــرَ الـــسيقان عاريـــةً

وترَ الخصورَ ضــوامراً تغــري

وتجــدْ عيــون اللــهو جاريـــةً

فهنا الحياة! وأنــت لا تــدري

* * *

مَن هاته الحسناءُ يا عيني؟
السحر كلّلها وظلّلها
كالطير من غصنٍ إلى غصنِ
وثابة، وثب الفؤاد لها!
* * *
وتراه حُسْناً غيرَ كذابِ
لا ما يزيفه لك الضوءُ
ويزيد فتنتها بإغرابِ
حزنٌ وراء الحُسن مخبوءُ!
* * *
ثم اختفتْ والجمع يرقبها
ويلحُّ: عودي! ليس يرحمها
هي متعةٌ للحسِّ يطلبها
وأنا بروحي بتُّ أفهمها!
* * *
ورأيتها في آخر الليلِ
في فتيةٍ نصبوا لها شَرَكَا

يعلو سـناها الحـزنُ كالظـلِّ

مـسكينة تتكلـفُ الـضَّحِكَا

* * *

فمضيت توًّا، قلـت: سـيدتيّ!

زنـتِ المـراقص أيَّمـا زيـنِ!

هـل تـأذنين الآن سـاحرتيّ

تأكيـد إعجـابي بكأسـين؟

* * *

فتمنّعـتْ وأنـا ألحّ سـدًى

بـالقول أغريهـا وأَبتـدرُ

فاستدركتْ قالت: أراك غـداً

إن شـئتَ إني اليـوم أعتـذرُ

* * *

وتحوَّلـتْ عـنى لرفقتـها

مـا بـين منتظـرٍ ومرتقـبِ

فتَّانـة تغـرى ببـسمتها

وتحـدّدُ الميعـادَ في أدبِ

* * *

حـــان اللقـــاءُ بغـــادتي وأنـــا
أخشى ســـراباً خادعـــاً منـــها
متلفتـــــاً أســـــتبطئ الزمنــــا
وأظل أســـأل ســـاعتي عنـــها

* * *

وأجيل عـــين الريْـــبِ ملتفتـــاً
متطلعـــــاً للبـــــاب حيرانـــــا
وأقول: مـــا يـــدريك أي فـــتى
هي في ذراعـــيْ حبـــه الآنـــا!

* * *

من ذا يـــصدق وعـــدَ فاتنـــةٍ
لا تـــــرحم الأرواح إتلافــــــا
أنثـــى تلاقـــى كـــل آونـــةٍ
رجلاً وترمـــى الوعـــد آلافـــا

* * *

وهممتُ بعد اليأس أن أمـــضى
فـــإذا بهـــا تختـــال عـــن بُعـــدِ

ميّزتُها بشبابها الغضِّ

وبقدِّها، أفديه من قدِّ!

* * *

يا للقلوب لملتقى اثنينِ

لا يعلمان لأيّما سببِ

جمعتْهمُا الدنيا غريبينِ

فتآلفا في خلوةٍ عجبِ

* * *

عجباً لقلب كانَ مطمعه

طرباً فجاء الأمرُ بالعكس

وأشدُّ ما في الكون أجمعه

بين القلوب أواصر البؤس

* * *

مَن أنت يا مَن روحها اقتربتْ

مني وخاطبَ دمعها روحي

صبَّتْه في كأسي! وما سكبتْ

فيه سوى أنّاتِ مذبوحِ

* * *

عجباً لنـــا! في لحظـــة صـــرنا

متفـــاهمين بغـــير مـــا أمـــدِ!

يا مَن لقيتك أمسِ! هـــل كنَّـــا

روحـــين ممتـــزجين في الأبـــدِ؟!

* * *

هاتي حديثَ السقم والوصـــبِ

وصِفي حقـــارةَ هـــذه الـــدنيا

إني رأيت أســـاكِ عـــن كثـــبِ

ولمست كرْبَـــكِ نابـــضاً حيَّـــا

* * *

لا تكتمي في الـــصدر أســـرارا

وتحدثي كيـــف الأســـى شـــاءَ

أنـــا لا أرى إثمـــاً ولا عـــارا

لكـــنْ أرى امـــرأةً وبأســـاءَ

* * *

تجـــدين فكـــرك جـــدّ مبتعـــد

والنـــاس نحـــو ســـناك دانونـــا

وترين حالــك حــال منفــرد

والقــوم كثــرٌ لا يُعــدُّونا!

* * *

وتــرين أنــك حيثمــا كنــتِ

ترضــين خــوانينَ أنــذالا!

يبغونــه جــسداً فــإن بعــتِ

بذلوا النضار وأجزلــوا المــالا!

* * *

يا حرَّها مــن عــبرةٍ ســالت

من فاتــكِ العيــنين مكحــولِ

وعذابها مــن وحــشة طالــتْ

وحــنين مجهــولٍ لمجهــولِ

* * *

أفنيــت عمــرك في تطلبــه

ويكاد يأكــل روحَــك الملــلُ

فإذا بــدا مــن تعجــبين بــه

وتقول روحك: ها هو الأمــلُ!

* * *

أدميــــتِ قلبــــك في تقرّبـــه

والقلب إن يخلصْ يَهُـــنْ دمُـــه

فإذا حسبتِ بأن ظفـــرتِ بـــه

فازتْ به مـــن لـــيس تفهمُـــه

*   *   *

سكتتْ وقد عجبـــتْ لخلوتنـــا

طالـــت كأنّـــا جـــدّ عـــشاقِ

وأقـــول: يـــا طوبـــاً لنـــشوتنا

صرعى المدامة والجوى الساقي!

*   *   *

أفـــديكِ باكيـــةً وجازعـــةً

قـــد لفّهـــا في ثوبـــه الغـــسقُ

ودعتُهَـــا شمـــساً مودّعـــة

ذهبتْ وعندي الجرح والـــشفقُ

*   *   *

تمضي، وتجهل كيـــف أُكبِرُهـــا

إذ تختفـــي في حالـــك الظلـــمِ

روحـــاً إذا أثمـــتْ يطهرهـــا

ناران: نـــارُ الـــصبرِ والألَـــمِ!

الميعــــــــاد

إن عُدتَ أو أخلفــتَ لم تعــدِ
أنا إلْفُ روحك آخــر الأبــدِ
ظمأٌ علــى ظمــأ علــى ظمــأ
ومــــــواردٌ كثْــــرٌ ولم أرِدِ
مرَّ الظــلامُ وأنــت لي شَــجنٌ
وأتى النهارُ وأنــت في خلــدي
لا يسمع البحرُ الغــضوب إلى
شــاكٍ ولا يــصغى إلى أحــدِ!
كم لاح لي حربُ الحياة علــى
أمواجــه المجنونــة الزبـــدِ
ورأيت طيفَ الضنك مرتــسماً
في عاصــفِ الأنــواء مطــردِ
في الليل مــدَّ رواقــه وثــوى
كجوانحٍ طُويتْ علــى حــسدِ
قــبر مَباهجــه بــلا عــددٍ
لفــتى متاعبــه بــلا عــددِ

مَـــن يومـــه يـــومٌ بـــلا أمـــل

وغدٌ بلا ســـلوى وبعـــد غـــدِ!

لولاك والعهد الـــذي عقـــدت

بيني وبينـــك مهجـــتي ويـــدي

أضجعتُ جنبي جـــوف غيهبـــه

وأرحـــتُ فيـــه بـــاليَ الجـــسدِ

يا مخلفَ الميعـــاد عـــدْ لتـــرى

جزعَ الغريب وضـــيعة الرشـــدِ

ولياليـــاً موصـــولةً ســـهراً

أبديـــة حجريـــة الكبـــدِ

وطلـــيحَ أســـفار وعلّتـــه

قتالـــة لَـــم تـــشف في بلـــدِ!

يـــا شـــعرَ أيـــامي وأغنـــيتي

وغليلَ ظمآن الـــشفاه صَـــدِى!

يا ظالمي! عيناك كـــم وعـــدتْ

قلـــبي إذا شـــفتاك لَـــم تعـــدِ

الميــت الحــــــــي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي فكتب القصيدة التالية)

داوِ نـــاري والتيـــاعي وتمهَّـــلْ في وداعـــي
يا حبيـــب العمـــرِ هَـــبْ لي بـــضْعَ لَحْظـــاتٍ ســـراع
قـــفْ تأمـــل مغـــربَ العمـــر وإخفـــاقَ الـــشعاعِ
وابـــكِ جبَّـــار الليـــالي هـــدّه طـــولُ الـــصراعِ
واضـــياع الحـــزن والـــدمع علـــى العمـــرِ المـــضاعِ!
وهتـــاف القلـــب بالـــشكوى علـــى غـــير انتفـــاعِ
ما يهـــمُّ النـــاس مـــن نجـــمٍ علـــى وشْـــك الزمـــاعِ
غـــاب مـــن بعـــد طلـــوعٍ وخبـــا بعـــدَ التمـــاعِ
طالَ بي ســـهدى وإعيـــائى وقـــد حـــان اضـــطجاعى
وإذا الراحـــــة حانـــــت بعـــــد لأيٍ ونـــــزاعِ
فـــصدور الغيـــد ســـيَّان وأنيـــاب الـــسباعِ!

* * *

آه لـــو تفـــضي الليـــالي لـــشتيت باجتمـــاعِ
كـــم تمنيـــتُ وكـــم مـــن أمـــلٍ مـــرّ الخـــداعِ!
وقفـــــة أقـــــرأ لـــــك أشـــــعار الـــــوداعِ

ســـاعة أغفـــر فيهـــا لـــك أجيـــالَ امتنـــاعِ
يامناجـــاتي وســـرِّي وخيـــالي وابتـــداعي
ومتاعـــاً لعيـــوني وشميمـــي وسمـــاعي
تبعـــثُ الـــسلوى وتنـــسى المـــوتَ مهتـــوك القنـــاع:
دمعـــةُ الحـــزن الـــتي تـــسكبها فـــوق ذراعـــي!

الــــــــــوداع

حان حرماني ونــاداني النـــذيرْ
ما الذي أعدَدْتَ لي قبل المـــسيرْ
زمــني ضـــاع ومـــا أنـــصفْتَني
زاديَ الأول كـــالزاد الأخـــيرْ
ريّ عمري من أكاذيـــبِ المـــنى
وطعامي من عفـــافٍ وضـــميرْ
وعلـــى كفـــك قلـــبٌ ودمٌ
وعلـــى بابـــك قيـــدٌ وأســـيرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يـــا حبـــيبي
هذه الجنةُ ليست مـــن نـــصيبي
آه مـــن دارِ نعـــيمٍ كلمـــا
جئتها أجتاز جسراً مـــن لهيـــبِ
وأنـــا إلفـــك في ظـــل الـــصبا
والشباب الغض والعمر القشيبِ

أنــزلُ الربــوةَ ضــيفاً عــابراً
ثم أمضي عنك كالطير الغريــبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصــبحتَ رحيمــا
والحنان الجمّ والرقــة فيمــا؟!
لِمَ تسقينيَ من شــهد الرضــا
وتلاقــيني عطوفــاً وكريمــا؟
كلٌّ شيء صار مــرا في فمــي
بعد ما أصبحتُ بالدنيا عليمــا
آه مَن يأخــذُ عمــري كلَّــه
ويعيد الطفلَ والجهلَ القــديما!

* * *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!
كم بنينا مــن خيــالٍ حولنــا!
ومــشينا في طريــقٍ مقمــرٍ
تثــب الفرحــةُ فيــه قبلنــا!
وتطلعنــــا إلى أنجمــــه
فتــهاوينَ وأصــبحن لنــا!

وضحكنا ضِحْكَ طفلـــين معــاً
وعـــدونا فــــسبقنا ظلنــــا!

* * *

وانتبهنا بعـــد مـــازال الرحيـــق
وأفقنا. ليـــتَ أنَّــا لا نفيـــقْ!
يقظةٌ طاحت بـــأحلام الكَـــرَى
وتولّى الليلُ، واللّيـــل صَـــدِيقْ
وإذا النُّـــــور نَـــذِيرٌ طَـــالعٌ
وإذَا الفجـــر مُطِـــلٌّ كـــالحَرِيقْ
وإذا الـــــدُّنيا كمـــا نعرفهـــا
وإذَا الأَحْبابُ كـــلٌّ في طَريـــقْ

* * *

هاتِ أسعدني وَدَعْـــني أسْـــعدُكْ
قَدْ دنا بعـــدَ التَّنـــائي مـــوردُكْ
فأذقنيــــــه فــــــإني ذاهـــــبٌ
لا غَدِى يُرجَى ولا يُرجَى غَدُكْ

وابلائـــي مـــن ليـــالى الـــتي
قرَّبَتْ حَيْنى وراحَـــتْ تبعـــدُكْ!
لا تَـــدَعْنى لليـــالى فغـــداً
تجْرَحِ الفرْقة ما تأســـو يَـــدُكْ!

* * *

أزف البينُ وقد حان الـــذَّهَابْ
هذه اللّحظة قُدَّت مِن عَـــذَابْ
أزف البينُ، وهل كـــان النَّـــوى
يا حبيبي غير أن أغْلق بـــابْ؟!
مَضت الشَّمسُ فأمسيتُ وقـــد
أغلقت دونيَ أبواب الـــسَّحابْ
وتلفَّـــتُّ علـــى آثارهَـــا
أسْألُ اللَّيل! ومَنْ لي بالجوابْ؟!

الـزائـر

يـا للحبيـب المفـدّى غـداةَ زار وسـلّمْ
مـستَحيياً والهـوى في ركابـه يتـضرَّمْ
وصـامتاً وهـو أيـكٌ بـألف شـدوٍ ترنَّمْ
ناداه قلـبي! وناجـاه خـاطري! وهـو يعلَـمْ!
يا مطلـعَ الـسحر والنـور والجمـال! تكلّـمْ!
أبِـنْ! وإلا أعـنْ قلـبي الممـزَّق وارحَـمْ!

* * *

يا غازياً يضربُ القلـبَ وهْـوَ حـصنٌ مُحَطَّـمْ
لّمـا طلعـتَ عليـه وهَـي وأنّ وسـلّمْ
يـا فتنـة تتـهادى ورحمـة تتبـسَّمْ
إن لم يكـنْ لي رجـاءٌ ولا لحظـيَ مغـنمْ
أو لَمْ يُعدْ لي نـصيبٌ دعـني بحُـسْنك أحلـمْ!

الليالـــي

(١)

مكـــانيَ الهـــادئ البعيـــدْ
كُـــن لي مجـــيراً مـــن الأنـــامْ
قـــد أمَّـــكَ الهـــارب الطريـــدْ
فـــآوِه أنـــتَ والظـــلامْ

* * *

يـــا حـــسنها ســـاعة انفـــصالْ
لا ضـــنك فيهـــا ولا نكـــدْ
يـــا حقبـــةَ الـــوهم والخيـــالْ
هـــلاَّ تمهلـــتِ للأَبـــدْ!

* * *

يـــا أيهـــا العـــالَم الأخـــيرْ
ماذا ترى فيك مـــن نـــصيبْ؟
أراحـــةٌ فيـــك للـــضمير
أم موعدٌ فيـــك مـــن حبيـــبْ؟

* * *

كم يَعذُب المــوت لــو نــراهُ

أو كان فيــك اللقــاءُ يُرجَــى

يــنفضُ عـــن عينـــه كــراهُ

ويقبـــل الراقـــدُ المـــسجَّى!

* * *

لكـــنَّ شـــكاً بمـــا تجـــنُّ

خـــيَّم فـــوق العقـــول جَمْعَـــا

عجبـــتُ للمـــرء كـــم يـــئنُّ

ويـــستطيب الحيـــاةَ مَرعَـــى

* * *

قد صار حـــبُّ الحيـــاة منـــا

يقنـــع بالجيفـــة الـــسباعْ

وعلـــم الـــسمحَ أن يـــضنَّا

وثبَّـــت الجـــبن في الطبـــاعْ!

* * *

(٢)

طال بنـــا الــصمت والجمـــودْ
لا البـــدر يـــوحي ولا الغـــديرْ
يـــا عـــالَم الـضيم والقيـــودْ
برَّحـــتَ بالطـــائر الأســـيرْ!

* * *

هربـــتُ مـــن عـــالمٍ أضـــرَّا
وجئـــتُ يـــا كعـــبتي أزورْ
هـــاتِ خيـــالاً إذنِ وشـــعرًا
أســـكبه في فـــم الـــدهورْ!

* * *

هربـــتُ مـــن عـــالم الـــشقاءْ
وجئت علّـــي لـــديكِ أحيـــا!
أشرب مـــن روعـــةِ الـــسماءْ
شعراً وأسقي الفـــؤادَ وحيـــا!

* * *

مللـــتُ في هاتـــه العـــوالمْ
مهزلـــةَ المـــوت والحيـــاهْ

وصـــورة القيـــد في المَعَاصـــمْ

ووصـــمةَ الـــذلّ في الجبـــاهْ

هياكـــلٌ تعـــبر الـــسنين

واحـــدة الحقـــد والخـــصامْ!

وواحـــد ذلـــك الطـــلاء

يـــستُر خزيـــاً مـــن الطبـــاعْ

أفـــنى البلـــى أوجـــه الريـــاءْ

ولم يـــذُبْ ذلـــك القنـــاعْ!

* * *

بعينـــها كذبـــة الـــدموعْ

بعينـــها ضـــحكة الخـــداعْ

ومُنحنَـــى هاتـــه الـــضلوعْ

علـــى صـــوادٍ بهـــا جيـــاعْ!

(٣)

كـــأن صـــدر الظـــلامِ ضـــاقْ

من كثرة البـــث كـــلّ حـــينْ!

يا ويحه كيف قد أطاقْ

شكوى البرايا على السنين؟!

* * *

كأنما ينفث الشهُبْ

تخفيف كربٍ يئنّ منهُ

كالقلب إن ضاقَ واكتأبْ

تخفف الذكريات عنهُ

* * *

كم زفرة في الضلوع قرَّتْ

يحوطها هيكلٌ مريضْ

مبددة حيثما استقرتْ

فإن نبُحْ سُميتْ فريضْ!

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول

تسري إلى أُذْنه وشعرْ!

لو يفهم النجم ما نقول!

أو يفهم الليل ما نُسرْ!

* * *

مـــا بالهـــا أعـــينُ الفلَـــكْ

منتشـــرات علـــى الفـــضاءْ

تطـــلُّ مـــن قـــاتم الحلَـــكْ

بغـــير فهـــمٍ ولا ذكـــاءْ!

* * *

ألاَ وفيٌّ ألاَ معــــــــــــين

في مـــدلهمٍ بـــلا صـــباحْ؟!

وكلمـــا جَـــدَّ لـــي أنـــينْ

تـــسخر بي أنَّـــةُ الريـــاحْ!

* * *

هبنـــا شـــكونا بـــلا انقطـــاعْ

مـــا حـــظ شـــاكٍ بـــلا سميـــعْ

وحـــظ شـــعرٍ إذا أطـــاعْ

يـــا ليتـــه عـــاش لا يطيـــعْ

* * *

يـــضيع في لجـــة الـــزمنْ

مبـــدداً في الـــورى صـــداهْ

ولن تــري في الوجــود مَــنْ

يدري عــذابَ الــذي تــلاهْ!

* * *

(٤)

يــا أيهــا النــهر بي حــسدْ

لكـــل جـــارٍ عليـــك رفٌّ

أكُـــلُّ راجٍ كمـــا يـــودْ

يـــروي ظمـــاه ويرتـــشفْ

* * *

ومـــن حبيـــبٍ إلى حبيـــبْ

ترنـــو حنانـــاً وتبتـــسمْ

وكـــل غـــادٍ لـــه نـــصيبْ

مـــن مائـــك البـــارد الـــشبمْ

* * *

يا نهـــرُ روّيـــت كـــل ظـــامي

فـــراح ريّـــانَ إن يـــذُقْ

فكـــن رحيمـــاً علـــى أوامـــي

فلـــي فَـــمٌ بـــاتَ يحتـــرقْ

* * *

يا من أرى الآن نُصْبَ عيني
خيالَه عطّر النسَمْ
بالله ما تبتغيه مني
ولَمْ تدعْ لي سوى الألمْ
* * *
في ذمة اللّه ما أضعتمْ
من مهجٍ أصبحت هباءْ!
لم نجزكم بالذي صنعتمْ
إنّا غفرنا لمن أساءْ
* * *
لا تحسبوا البرء قد ألَمّ
فلم يزل جرحنا جديدا
يخدعنا أنّه التأمْ
ولَم يزل يخبأ الصديدا!
* * *
يا أيها الليل جئتُ أبكي
وجئتُ أسلو وجئت أنسى
طال عذابي! وطال شكّي
ومات قلبي، وما تأسّى!

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مــشرعهُ:

يا مانع الماءِ عني كيــف تمنعــهُ

أغرَّ حسنك أن الخلد جدولــه

وأنّه من غريب السحر منبعــهُ؟

يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ

مبــددٌ مجــده فيــه مــضيعُه!

هيهات يخلد حــسنٌ لا يؤلهــه

شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه!

أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا

أدميتَــه، والمغنّــى إذ تقطّعُــه

هل منك يوم رضًى ضنَّ الزمان به

أعيا خيالى وأضــناني توقّعُــه؟!

كم بتُّ منتبهاً أصغى لخطوتــه

أراه في الوهم أحيانــاً وأسمعــهُ!

وأنت في أفق الأوهام طيفُ صِبَا
سما ودقّ على الأفهام موضـــعُه
كأنك النسم النشوان منطلقـــا
أظل كالنفس الحـــيران أتبعـــهُ
تعالَ وادنُ بيوم لا نحـــسّ بـــه
أجسادنا. في صفاءٍ لا نـــضيعُه!
لكن أحسك تجرى في صميم دمى
أنت الحياة، وأنت الكون أجمعُه!

ليالي الأرق

(زيارة من حبيب يسأل لماذا نلتقي هذه اللحظات الهاربة

ما دمنا نفترق بعد ذلك..)

هل في العـصيب المـدلهمْ   مـصغٍ لـشاكٍ لم يـنمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكـرى   فوق ذكـرى تـزدحمْ
وحنين قلـب لا يشـوب   إلى خيـالٍ لا يلـمْ
يا مـن أحـب وأفتـدي   ويلـذٌ لي فيـه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاسترحت   مـن الـشكايةِ للظلـمْ
إن الكواكـبَ ضـقنَ بي   ذرعـاً وآسـيها سـئمْ
ومن العجائبِ في الليـالي   والحـوادث تـستجمْ
شكوى الحيارى في الحيـاة   إلى حيـارى في الـسدمْ!
لمنْ انتظـاري في الظـلام   كـأنَّ بي شـبه اللمـمْ؟
وتـساؤلي في حالـك   لا صوت فيه ولا قـدمْ؟
وعـلام إصـغائي لعـلَّ   خطاكِ هذي عن أَمـمْ؟
ليلِي العشية مثـل ليلـي   في غرامـكِ مـن قـدَمْ
يا طالمـا أدنتـكِ أوهـامٌ   كـواذبُ كـالحُلمْ
فلمحت صبحكِ في السوادِ   وخلتُ روحكِ في النسمْ

وشفيتُ وهمي من رضاكِ ورُبَّ ذي يأسٍ وَهَمْ
ورويتُ أذني من حديثكِ وهو معبود النغمْ
وحرقت قلبي من سناكِ على جمالٍ يضطرمْ
كفراشةٍ حامت عليكِ وأيّ قلبٍ لَم يحُمْ!
لك حسنُ نوّار الخميلةِ طُلٌّ صبحاً فابتسمْ
لك نضرةُ الفجر الجميلِ على الذوائبِ والقممْ
لك طلعةُ البرءِ المرجَّى بعد مستعصى السقمْ
لك كل ما أوفى على قدر النهاية واستتمْ
فبأي قلبٍ أتقي وبأي حصنٍ أعتصمْ؟
يا زائراً عجلانَ لَمْ يطلِ اللقاءُ ولَمْ يقمْ
ودّعتَ ما أشبعتَ لي روحي ولا نظري النهِمْ
ومضيتَ عن دنيا خلَتْ وجرت بنعمى لَم تَتمْ
لم يبقَ من أثرِ اللقاء بها سوى عبقٍ ينمْ
وسؤالِ دمعك حين يسألني ومَن لي بالكلمْ
لِمَ يا أليفَ خواطري غفت العيون ونحن لَمْ؟!
وإلامَ تدفعنا الحوادث في عُباب يلتطمْ
دَفَعتْ بمركبنا المقاديرُ الخفيةُ والقِسمْ
خرَجَتْ وما تدري الغَداة بأي صخرٍ ترتَطِمْ
بدأتْ عَلَى ريح الرضا والله يدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا)

سألتك يـــا صـــخرة الملتقـــى

متى يجمع الـــدهر مـــا فرقـــا!

فيا صـــخرة جمعـــت مهجـــتين

أفـــاءا إلى حـــسنها المنتقـــى!

إذا الـــــدهر لج بأقـــــداره

أجـــد علـــى ظهرهـــا الموثقـــا

قرأنا عليـــك كتـــاب الحيـــاة

وفض الهـــوى ســـرها المغلقـــا

نرى الشمس ذائبة في العبـــاب

وننتظـــر البـــدر في المرتقـــى

إذا نـــشر الغــرب أثوابـــه

وأطلق في الـــنفس مــا أطلقــا

نقول هـــل الـــشمس خـــضبته

وخلـــت بـــه دمهـــا المهرقـــا

أم الغرب كالقلب دامي الجراح

لـــه طلبـــة عـــز أن تلحقـــا

فيا صورة في نواحي الـــسحاب

رأينـــا بهـــا همنـــا المغرقـــا

لنا الله من صـــورة في الـــضمير

يراها الفـــتى كلمـــا أطرقـــا!

يرى صورة الجرح طـــي الفـــؤا

د مـــا زال ملتـــهبا محرقـــا

ويأبى الوفـــاء عليـــه انـــدمالا

ويـــأبى التـــذكر أن يـــشفقا

ويا صخرة العهد أبـــت إليـــك

وقد مزق الـــشمل مـــنا مزقـــا

أريك مشيب الفؤاد الـــشهيـــ

ـــد والشيب ما كلـــل المفرقـــا

شكا أســـره في حبـــال الهـــوى

وود علـــــى الله أن يعتقـــــا

فلما قضى الحظ فك الأسيـــــ

ـــر حـــن إلى أســـره مطلقـــا

الشـــــك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه ، ولكنه يشك فى هذا النعيم
الذى لقيه ، فيبكى فى النعمة كمايبكى فى الشقاء)

بي ما تحسّ وفي فؤادكِ ما بـــي   فتَعال نبك أيــا نجــيَّ شــبابي
أنكرت بي ناري عشية لاَمَــسَتْ   شفتاي مِنْــكَ أنامــلَ العنــابِ
وسألتَ ما صمتي وما إطــراقتي   وعَلاَم ظَلَّت حــيرة المرتــابِ
أقبِلْ لأقسمَ في حياتِي مـــرةً   أن الذي أُسقاه لــيس بــصابِ
مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالم ســاحرٌ   مـــستأثرٌ بأعنـــة الألبـــابِ؟
ما يصنع الملكُ الطهــورُ بعــالَمٍ   فانٍ وأيَّــامٍ كلمــع ســرابِ؟
دوَّارةً أبــدَ الــسنين كعهــدِها   من ليل آثــامٍ لــصبح متــابِ
يا هيكل الحسنِ المبــارَك ركنــه   الساحر النور الطهور رحــابِ
قــدمتُ قربــاني إليــك بقيــة   من مهجة ضاعت على الأحبابِ
حدَّثتُ نفسي إذ رأيْتُــكَ باديــاً   وأطَلْتَ تسآلي بغــير جــوابِ
ما يصنع الملكُ الطهــورُ بعــالَمٍ   فانٍ وأيَّــامٍ كلمــع ســرابِ؟
ما يصنع الأبرارُ بــالأرض الــتي   ساوت من الأبرار والأوشــابِ؟
دوَّارةً أبــدَ الــسنين كعهــدِها   من ليل آثــامٍ لــصبح متــابِ

تغلو الحيــاة بهــا إلى أن تنتــهي   عند التراب رخيــصةً كتــراب!
يا هيكل الحسنِ المبــارَك ركنــه   الساحر النور الطهــور رحــابِ
لا صدقَ إلاّ في لهيبــك وحــده   وجلالُه الباقي علــى الأحقــابِ
قــدمتُ قربــاني إليــك بقيــة   من مهجة ضاعت على الأحبابِ
وَأَذبْتُ جوهَرَهَا فــدَاءَ نــوَاظِرِ   قُدْســيَّةٍ، عُلويّــةِ المــــحرابِ!

خواطر الغروب

قلتُ للبحــر إِذ وقفــتُ مــساءَ

كم أطلتَ الوقــوفَ والإصــغاءَ

وجعلتُ النــسيم زاداً لروحــي

وشــربت الظــلالَ والأضــواءَ

لكــأنّ الأضــواءَ مختلفــاتٍ

جَعَلَــتْ منــكَ رَوْضَــةً غَنّــاءَ

مر بى عطرهــا فأســكر نفــسى

وسرى فى جوانحى كيــف شــاءَ

نشوة لم تطل ! صحا القلب منــها

مثل مــا كــان أو أشــد عنــاءَ

إنمــا يفهــم الــشبيهُ شــبيها

أيها البحر، نحــن لــسنا ســواءَ

أنت باقٍ ونحـــن حـــرب الليـــالى
مزقتنـــــا وســـــيرتنا هبـــــاءَ
أنت عاتٍ ونحـــن كالزبـــد الـــذا
هب يعلو حيناً ويمـــضى جُفـــاءَ!
وعجيبُ إليـــك يممـــتُ وَجهـــي
إذ مللـــتُ الحيـــاةَ والأحيـــاءَ
أبتغي عندك التأسّي ومـــا تملـــك
رَدًّا ولا تجيــــــب نـــــداءَ!
كل يومٍ تساؤلٌ .. ليت شـــعري
من ينبِّـــي فيحـــسن الإنبـــاءَ؟!
ما تقول الأمواجُ! ما آلَم الشمسَ
فولّـــــت حزينـــــةً صـــــفراءَ
تركتنـــا وخلفـــتْ ليـــلَ شـــكٍّ
أبـــديٌّ والظلمـــةَ الخرســـاءَ

وكــأنَّ القــضاءَ يــسخر مــني

حين أبكي وما عرفــتُ البكــاءَ

ويح دَمعي وويــح ذلــة نفــسي

لَم تــدع لي أحداثــهُ كبريــاءَ !

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تمرحُ في خيالٍ وأوهــــام
وخلِّ لأجفاني كواذبَ أحلامـــــي!
وقل يا حبيب القلب إنك عائــــد
على جهل حساد وغفلـــة لــــوّامِ
وإنـــك دانٍ كـــالربيع وزائـــر
بضاحك نـــوار ومخـــضل أكمـــام
تعال أسقنى خمر المواعيد والرضـــا
وخلِّ الأمانى البيض تغمر أسقامى
أيحرم حتى وهم حبك مـــن رمـــى
بمهجتـــه فى نـــاره دون إحجـــام
وأنفـــق فيـــه قلبــــه وشـــبابه
فلم يَبْقَ إلاَّ الجرح والشفق الدامي!
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألنى قلبى متى يرجع الرامـــى !
فيا لهفة لو كنـــت أدرى بموعـــد
وراء الليـــالى أو رجـــاءً بإلمـــام!

ولو كان عندى غــير زفــرة آســف

وحـــسرة أشـــعار ودمعـــة أقـــلام

ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ

كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي

كأن ائتلاقَ النجم والـــنجمُ مُـــشرقٌ

ثنايـــاه تبـــدو فى عبوســـةِ أيـــامى

كـــأنَّ نـــسيمَ الليـــلِ يحمـــل طيبـــه

كأنَّ اصطدام الموج معبودُ أقـــدام!

فيا أملـــي النـــائي إذا كنـــتُ مـــذنباً

فقد تبتُ عن ذنبي إليـــك بـــآلامي!

حببتك، لا أدري الهـــوى مـــا وراءه

وما بعد سقمي فيك عاماً على عـــامِ

جمالُـــك نبراســـي وروحُـــك كعـــبتي

وعيناك وحيي في الحيـــاة وإلهـــامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى مفتاحَ قلبي المقفلِ
في حبه فنيَ الصبا وشباب أيامي بلي
يا ويح ما ضيعت فيه من قليل مخجلِ
ماضيَّ ضاع ولو قدرت لجدت بالمستقبلِ
يا رسم! كم من ليلة أبكي وأستبكيك لي
حتى رجعتُ مخادَعاً ومضيتُ جدَّ مضلَّلِ
أرنُو لدمعي بادياً في وجهك المتهللِ
فأخال عينك هَزّها شَكوى الغريب المهمَل
فبَكَتْ وتلك دموعها هَذِي تَسيل وذِي تَلي!

رجوع الغريب

عادتْ لطائرها الـــذي غَنّاهَـــا
وشَدَا فهاج حَنينَهـــا وشَـــجاهَا
أيُّ الحظـــوظ أعادهـــا لوَفيِّهـــا
ونجيٍّ وحدها وإلـــفِ صـــباهَا
مشبوبة التحنان تكـــتم نارَهـــا
عبثاً وتـــأبَى أن يـــبين لظاهَـــا
يا إِلفيَ المعبود! سِـــرّك ذائـــع
نـــار الحـــنين دفينـــها أفـــشاهَا

* * *

ماذا لقينا مـــن لقـــاءٍ خـــاطفٍ
وعشية كالبرق حان ضـــحاهَا؟!
يا ويح هاتيك الثواني لَم تقـــف
حتى نـــسيغ هنـــاءةً ذقناهَـــا!
حتى يمتـــع بـــاليقين مكـــذب
عينيه في رؤيـــا يـــضلُّ ســـناهَا

تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهوى

وتحول عنها ما تَطيــق لقاهَــا!

* * *

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتَهي

ويَجف في زهرِ القلوبِ نــداهَا!

وأنا أحسُّ اليومَ بــدءَ علاقــةٍ

وعنيف ثورها وحــزّ مــدَاهَا!

* * *

لم تُرو منكِ نواظري وخواطري

ورجعت أزكى مهجةً وشــفاهَا!

مدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ

ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغــشاها

ما بالرياض؟! كآبةٌ في أرضِــها

وســحابةٌ تغــشى أديمَ سماهَــا!

جمدت حمائمُ أيكِها وأنا الــذي

شاكيتُها فاغرورقــت عيناهَــا!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صـــبابة

الدهر أجمع ما يبـــلُّ صـــداهَا!!

وإلى نـــسائم جنـــة ســـحرية

قرّحتُ أجفاني علـــى مغناهَـــا!

قضيتُ أيـــامي أضـــمُّ خيالَهـــا

وأضعت أيامي أقـــول عـــساهَا!

قميص النوم

يا ليلةً سنحت في العمرِ وانصرمَتْ
هَلاّ رجعتِ؟ وهلاّ عادَ أحبــابي؟
ياليت شهدك إذ لم يبق لى أبــداً
لم يبق فى القلب تذكاراً من الصاب
لَم أنسَ مُهديَتي جلبابَهــا وعلــى
جسمي من السقم منها أيُّ جلبابِ
قميص يوسف رد العين مبــصرة
ففاز بالنور ذاك المطرق الكــابى
وأنتَ لو أنّ روحاً أزمعت ســفراً
أعدتَها وخَيــالُ المــوت بالبــابِ
فَذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجُــلٍ
أنشبنَ في روحِــه أشــباهَ أنيــابِ
وإن عجزتَ فكنْ في الموت لي كفناً
أمتْ وألقى إلهــي غــيرَ هيّــابِ

الغـــــد

يا حنانا كَيَـدِ الآســي الـرؤوم

وشذاها يُشتهى بعـد الغيـوم

أنـا في بُعْـدِكَ مفقـودُ الهُـدَى

ضـائعٌ أعشـو إلى نـورٍ كـريمِ

أشتري الأحلام في سـوق المـنى

وأبيع العمـر في سـوق الهمـوم

لا تقُـلْ لي في غـدٍ موعـدُنا

فالغدُ الموعُـودُ نـاءٍ كـالنجومِ!

*　*　*

أغداً قلت ؟ فعلمـني اصـطبارَا

ليتني أختـصر العمـر اختـصارَا

عَبَـرَتْ بي نـشوةٌ مِـن فَـرَحٍ

فَرَقَصْنَا أنـا والقلـبُ سُـكَارَى

وعرانـا طـائف مـن خبـل

فاندفعنا فى الأمـانى نتبـارى

سـنَذمُّ النـورَ حـتى يَتَلاشـى
ونـذمُّ الليـلَ حـتى يتـوارَى!

* * *

انفردنـا أنـا والقلـب عـشيا
ننسج الآمال والنجـوى سـويًّا
فركبنـا الـوهمَ نبغـي دارَهـا
وطوينـا الـدهرَ والعـالَم طَيًّـا
فبلغناهـا وهللنـا لهـا
ونزلنـا الخلـد فينانـا نـديا
ولقينا الحسنَ غَضا والصِّبَا
وتملَّيْنَـا الجـلالَ الأبـديَّا

* * *

قال لى القلبُ : أحقا مـا بلغنـا؟
كيف نام القدر الساهر عنـا ؟
أتراهـا خدعـةً حاقـت بنـا؟!
أتراهـا ظِنـةً ممـا ظَنَنَّـا؟
قلتُ : لاتجزع فكم مـن مـنزلٍ
عَزَّ حـتى صـار فـوق المـتمنى

إذنَ اللهُ بـــه بعـــد النـــوى

فثوينـــا واســـترحنا وأمِنَّـــا

* * *

ياجنان الخلد قــدمت اعتـــذارى

إذ يطوف الخلد سقمى ودمـــارى

أيهـــا الآمـــرُ في مُلـــكِ الهـــوى!

اعف عن لهفـــةِ روحـــي وأواري

أشـــتهى ضـــمك حـــتى أشـــتفى

فكـــأنى ظـــامئ آخـــذ ثـــارى !

غـــير أني كلَّمـــا امتـــدت يـــدي

لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيـــكَ نـــاري!

* * *

أيهـــا النـــور ســـلاماً وخـــشوعا

أيهـــا المعبـــد صـــمتاً ورُكُوعَـــا

ملكـــتْ قلـــبي ولُـــبي رهبـــةٌ

عصفت بالقلب واللُّـــبِّ جميعَـــا

رُبَّ قول كنـــتُ قـــد أعددتـــه

لك إذ ألقـــاك يـــأبى أن يطيعَـــا

وحبيسٍ مــن عتــاب في فمــي
قد عــصاني فتفجَّــرتُ دموعَــا!

* * *

لــذعتنى دمعــةٌ تلفــح خــدِّى
نبهتنى من ضــلال لــيس يجــدى
واختفتْ تلك الرُّؤَى عن نــاظري
وطواها الغيبُ في سِــحْريِّ بُــرْدِ
وتَلفَّــــتُّ فــــلا أنــــت ولا
جنةُ الخلــد ولا أطيــافُ سَــعْدِ
وإِذا بي غــــارقٌ في محــــنَتي
وبلائي أقطــعُ الأيــامَ وَحْــدي

* * *

هات قيثــارى ودعــنى للخيــال
واسقنى الوهم ! وعللْ بالمحــال !
ودَع الــصدق لمــن ينــشده
الحجى خِصميَ فاغمرْ بالــضلالِ
وخُــذ الأنــوار عنّــي ربمــا
أجدُ الرحمــةَ في جــوفِ الليــالي

خلّني بالـــشوقِ أســـتدين   غـــداً
فغـــداً عنـــدي كآبـــادٍ طـــوالِ!

رثـــاء شوقـــــي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قلْ للذين بكَوْا على (شـــوقي)
النـــادبين مـــصارعَ الـــشُّهبِ
وا لهفَتـــاه لـــمصر والـــشَّرْقِ
ولدولـــة الأشـــعار والأدبِ!
دنيـــا تَفـــرُّ اليـــومَ في لحـــدِ
وصحيفةٌ طُويـــتْ مـــن المجـــدِ
ومُـــسافرٌ مـــاضٍ إلى الخلـــد
ســـبَقتهُ آلاءٌ بـــلا عَـــدِّ
هذا ثَوى مصْرَ الكـــريمُ، وكـــمْ
أكرمتَـــهُ وأشـــدْتَ بالـــذكرِ
يلقاك في عطفِ الحبيـــبِ فـــنمْ
في النـــور لا في ظُلمـــةِ القبْـــر!
كم من دفـــينٍ رحـــتَ تحييـــه
وبَعثْتَـــهُ وكَففْـــتَ غُرْبَتَـــهُ

فاحلــلْ عليــهِ مُكرّمــاً فيــهِ
يــا طالمــا قَدَّســت تُربتَــهُ
يا نــازلَ الــصحراء موحــشةً
ريَّانــةً بالــصمت والعــدمِ
سالتْ بهــا العــبراتُ مجهــشةً
وجَرت بها الأحزانُ من قــدمِ!
هــذا طريــق قــد ألفنــاهُ
نمــشي وراءَ مُــشَيِّعٍ غــالِ
كم من حبيــبٍ قــد بكَيْنَــاهُ
لم يُمْــحَ مــن خَلــدٍ ولا بــالِ
وكــأنَّ يومَــك في فجيعتِــه
هــو أولُ الأيــامِ في الــشَّجنِ
وكأنَّمــا البــاكي بدمعتِــه
ما ذاق قبلك لوعــةَ الحَــزنِ!
فاذهبْ كما ذهب النهارُ مضى
قــد شــيَّعَتْه مــدامعُ الــشفقِ

مـــا كنــــتَ إلاّ أمـــةً ذهَبــــتْ
والعبقريَّـــــةُ أمَّـــــةُ الأُمَـــــم
أو شُـــعلةً أبـــصارَنا خلبـــتْ
ومنارةً نُــصبَتْ علــى عَلَــمِ
يا راقداً قـــد بـــات في مَثـــوىً
بَعُدَتْ به الـــدُّنْيا ومـــا بَعُـــدَا
أيْنَ النجوم أصوغ مـــا أهْـــوى
شعراً كشعْرك خالـــداً أبـــدَا؟!
لكنَّ حـــزني لـــو علمْـــت بـــه
لم يُبْـــقِ لي صـــبْراً ولا جُهْـــدَا
فاعـــذر إلى يـــومٍ نفيـــك بـــه
حقَّ النبـــوغِ ونـــذكرُ المجْـــدَا

هبة السماء

(ألقيت فى حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقى بك
بمسرح حديقة الأزبكية)

راحــوا بــأرواحٍ ظمــاءْ   يتــهافتون علــى الفنــاءْ
جفــت حلــوق بعــدهم   لم تلــق دونهــمُ رَواءْ
واهــا لكــأس كــالخُلو   د ومنــهلٍ فيــه الــشفاءْ
نمــضي إليــه فنــستقي   ونُعُــبٌّ منــه كمــا نــشاءْ
فــاليوم إذ شــطَّ المــزارُ   بكــم وقــد عــز اللقــاءْ
وبخلــتُمُ بُخْــل الــضَّنينِ   فحــسْبُنا قطــراتُ مــاءْ!

* * *

أيــن الأمــين علــى الإمــارة   والحــريصُ علــى اللــواءْ ؟!
قــبسٌ أضــاء العــالمين   كمــا تُــضيءُ لهــم ذكــاء
ثم اختفــى خلــف الغيــوب   مخلفــا ظُلُــم المــساءْ
فكأنمــا هبــة الــسّماءِ   قــد اســتردَّها الــسَّماءْ !

* * *

جــزعُ الريــاض لطــائرِ   غــنى فأبــدع فى الغنــاءْ
حــتى إذا خلــب العقــولِ   وقيــل : ســحرٌ لامــراءْ !

ولى عـــن الأيـــك الفخـــو ر بـــه إلى عـــرض الفـــضاء
فكأنّــه والـــسُّحْب تطويـــه فـــــيمعن في الخفـــــاءْ
دنيا من الأمــل الجميـــــــــــل قد اســتبدَّ بهــا العفــاءْ !
ووراءها شفقٌ مــن الــذكرى كجـــــرح ذى دمــــــاءْ !
وتُـــسائل الـــدُّنيا الـــتى ناطـــت بـــه كـــل الرجـــاءْ
عـــن أى ســـر طـــار عـــن هذى الـــربي وعـــلام جـــاء ؟!
قم يا فقيـــد الـــشعر وانْـــــظر أىّ حفـــلٍ للريـــاءْ !
أمــــم يـــصبر بعــــضها بعـــضاً وهيهـــات العـــزاءْ !
هـــذي الجمـــوعُ الباكيـــاتُ الـــساخطاتُ علـــى القـــضاءْ
قاسمتـــــــها أشـــــــجانها ووفيـــت مـــا شـــاءَ الوفـــاءْ
أوَ لَمْ تجـــدكَ لـــسانها الـــــشاكي إذا احتـــدام الـــبلاءْ؟
أوَ لَـــمْ تكـــن غرّيـــدَها ونـــديمها عنـــد الـــصفاءْ؟
لِـــمَ لا توفِّيـــك الجميـــلَ وتَـــستَقلُّ لـــك الفـــداءْ؟!

* * *

ومُـــنَعَّمٍ بـــين القـــصورِ قـــد اسْـــتَتَمَّ لـــه الثـــراءْ
مـــا بالـــهُ حمـــلَ الهمـــومَ وجـــشَّم القلـــبَ العنـــاءْ!
وينـــوءُ بالعـــبءِ الـــذي هـــو عـــن أذاه في غَنـــاءْ!
ويـــحَ الـــذكاءِ ومـــا يكلِّفُـــهُ مـــن الـــثَّمَنِ الـــذكاءْ!

أضــــنى قـــواه ولم يـــدعْ		مـــن جـــسمه إلاَّ ذمـــاءْ
والمجـــد يوغـــل في حنـــا		يـــا روحـــه والمجـــدُ داءْ !
صرح مـــن الأدبِ الـــصميمِ		لـــه علـــى الـــدنيا البقـــاءْ
الـــدَّهرُ يحمـــي ركنَـــه		والفـــنُّ في روح البنـــاءْ

* * *

(شوقي)! على رغـــم التفـــرّدِ		والتفـــوقِ والعـــلاءْ
ذاك الرقـــادُ بـــساحةٍ		لـــك الرجـــال بهـــا ســـواءْ
وبـــرغم ذهـــن كالفراشـــة		حـــول مـــصباحٍ أضـــاءْ
مشـــواك لا تـــشكو الـــسكونَ		ولا تمـــل مـــن الثـــواءْ

هجاء أعمى بغيض زوج حسناء

يا جمال الصِّبا وأنــــس النفـــوسِ
خبِّرينا عن زوجكِ المنحـــوسِ!
حَدِّثي أنت عن عماه "الحيسي"
وصفي لي الغرام (بالتحـــسيسِ)

*   *   *

حدثينا عـــن اللـــهيب المفـــدَّى
وجمـــالٍ يُـــصَيِّرُ الحُــرَّ عَبْـــدا
وجنونِ الأعمى إِذا ما استجدى
وهو يعـــشو لنـــارهِ كـــالمجوسِ

*   *   *

يا جمالاً في التربِ يُلقَى ويُرمَـــى
يا لَظلمِ الحظوظِ والحظُّ أعمى!
وبلائـــي أني أسميـــه ظَلمـــا
وهو لفظٌ ما جاءَ في القـــاموس

*   *   *

آه من قسوةِ الطبيعــة شــقتْ

ظلمةً في مكــان نــورٍ ورقــتْ

دونَ قــصدٍ لعينــه فاســتَبْقَتْ

كــوةً في فــضائها المطمــوسِ!

* * *

كــوّةٌ تنفــذ الحفيظــةُ عنــها

ويُطلُّ الدهاءْ والخبــثُ منــها!

طالعتنــــا في طلعــــةٍ لم تزنهـــا

"كالفتيل" الحقيرِ في (الفــانوس)

* * *

كـــذليل الأبقـــار إذ ربطـــوه

وتـــراهم بخرقـــةٍ عَـــصَّبوه

فـــإذا مـــا عـــصاهمو ضـــربوهِ

وتمشَّى علـــى غنـــاءِ "الأدوس"

* * *

وتـــراه تقـــولُ يقطـــر بغـــضا

حيـــوانٌ يريـــد أن يَنقَـــضَّا

حسبك الله! عشت تنظر أرضـــا

فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشموس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد)

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا
وبالحرمانِ والذلِّ ارتضينا
وهان إذا عطفتَ ولو خيالاً
وأين خيالك المعبود أينا؟!
تعالَ! فلم يعد في الحي سارٍ
وهوَّمت المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كألف عينِ
تعالَ! فقد رأيتُ الكون يحنو
عليّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجومَ فأزدريها
وأغمض لا أريد سواك نجما!
ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي
كما انتظرتكَ أيامي جميعا

وهل كان الهــوى إلاّ انتظــاراً

شتائي فيــك ينتظــر الربيعــا

أرى الآبــاد تغمــرني كبحــرٍ

سحيقِ الغور مجهــولِ القــرار

ويــأتمر الظــلام علــيَّ حــتى

كــأني هــابط أعمــاق غــارِ

وتصطخبُ العواطف ســاخرات

وتطعــنُني بــأطرافِ الحــرابِ

وتشفقُ بعدما تقــسو فتمــضي

لتقــرع كــل نافــذةٍ وبــابِ

فصحت بها إلى أن جف حلقــي

فحين ســكتُّ كلمــني إِبــائي

وأشعرني العذابُ بعمق جرحــي

وأعمق منــه جــرح الكبريــاءِ

ولّما لَــمْ تفــزْ بلقــاك عــيني

لمحتــك آتيــاً بــضمير قلــبي

فـــأسمعُ وقـــعَ أقـــدامٍ دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيــفِ ثــوبِ
وأخلقُ مثلمـــا أهـــوى خيـــالاً
لناءٍ صـــار مـــن قلـــبي قريبـــا
أمـــدُّ يـــديَّ في لهـــف إليـــه
أشـــاكيه بمحتـــسب الـــدموع
فيـــسبقني إلى لقيـــاه قلـــبي
وُثوبـــاً يـــبرُدُ في ضـــلوعي
فتصطخب العواطفُ ســاخراتٍ
وتطعـــنُني بـــأطراف الحـــرابِ
وتشفق بعدما تقـــسو فتمـــضي
لتقـــرعَ كـــلَّ نافـــذةٍ وبـــابِ

صلاة الحب

أحقـــا كنـــت في قـــربي   لعلـــي واهـــمٌ وهمـــا
تكلّـــمْ ســـيدَ القلـــبِ   وقـــل لي: لَـــمْ يكـــن حُلمـــا

* * *

دنـــوتَ إليَّ مـــستمعا   فُبحْـــتُ، وفـــرطَ مـــا بحْـــتُ
بعـــادك والّـــذي صـــنعا   وهجـــرُك والـــذي ذقـــتُ
وحبِّـــي! ويحـــه حبِّـــي   تَبيعـــك حيثمـــا كنـــتَ
تكَلَّـــمْ ســـيدَ القلـــبِ   وقـــل بـــالله مـــا أنـــتَ ؟!

* * *

أرى في عمـــق خـــاطركَ   جـــلالاً يـــشبه البحـــرا
وألمـــحُ في نـــواظركَ   صـــفاء الرحمـــة الكـــبرى

* * *

وأنـــت رضـــيً وتقبيـــلُ   وأنـــت ضـــنيً وحرمـــانُ
وفي عينيـــك تقتيـــلُ   وفي البـــسمات غفـــرانُ

* * *

وأنـــت تَهَلّـــلُ الفجـــر   وبـــسمتُه علـــى الأفـــق
وحينـــاً أنَّـــةُ النـــهر   وحـــزن الـــشمس في الغَـــسقِ

* * *

وأنـــت حـــرارةُ الـــشمسِ وأنـــت هنـــاءةُ الظِـــلّ
وأنـــت تجـــاربُ الأمـــسِ وأنـــت بـــراءةُ الطفـــل

* * *

وأنـــت الحـــسنُ ممتنعـــاً تحـــدَّى حـــصنه النجمـــا
وأنـــت الخـــيرُ مجتمعـــاً وعنـــدك عرشـــةُ الأسمـــى

* * *

وعنـــدك كـــل مـــا أظمـــا وردّ القلـــبُ لهفانـــا
وعنـــدك كـــل مـــا أدمـــى وزاد الجـــرح إثخانـــا

* * *

وعنـــدك كـــل مـــا أحيـــا وشـــدَّد عزمـــه الـــواهي
حنانُـــكَ نـــضرة الـــدنيا وقربُـــكَ نعمـــةُ اللهِ!

* * *

وفـــيم هـــواجس القلـــب وفـــيم أطيـــلُ تـــسآلي
أحبـــك أقـــدسَ الحـــبِّ وحبـــك كنـــزيَ الغـــالي

* * *

ســـناكَ صـــلاة أحلامـــي وهـــذا الـــركنُ محـــرابي
بـــهِ ألقيـــت آلامـــي وفيـــه طرحـــت أوصـــابي

* * *

هـــوىً كالـــسحر صـــيّرني		أرى بقريحـــــة الـــــشهبِ
وطهَّـــــرني وبـــــصَّرني		ومـــزَّق مغلـــقَ الحجـــبِ!

* * *

سمـــــوت كأنمـــــا أمـــــضي		إلى ربٍّ ينـــــــــــــــاديني
فـــلا قلـــبي مـــن الأرض		ولا جـــسدي مـــن الطـــين!

* * *

سمـــــوت ودق إِحـــــساسي		وجُـــزتُ عـــوالم البـــشر
نـــسيت صـــغائر النـــاسِ		غفـــرت إِســـاءَة القـــدرِ!

مصافحة اللقاء

أهـــــاب بنـــا فلبّينـــــا		منـــادٍ ضـــــمّ روحينـــا
كأنـــــا إِذ تصافحنـــــا		تعانقنـــــا بكفينـــــا
كـــأن الحــــبَّ تيـــــار		ســـــرى مــــا بين جسمينا
يــــؤجــج فـــي نــواظرنا		ويشعــــل فـــي دماءيــــنا

مصافحة الوداع

يـــا أمـــيري! أزف الـــبين ... ومــــا زلـــت ضـــنينا
أصغ لي! وانظـــرْ ودع كفـــك ... في كفـــــيَ حينـــــا
آهِ مـــن يمنـــاك هـــذي ... والـــذي منـــها ســـقينا
عللتنـــــا بالأمـــــاني ... فـــــشربنا ظامئينـــــا
ثم دارت بالمنايـــــــا ... فوردنـــــا طائعينـــــا
آه مـــــن قاســـــية ... ريانـــــة ضـــــعفاً ولينـــــا
يـــا بنانـــاً ســـاحراً قـــد ... حكّـــم الأقـــدار فينـــا
شـــفتي موتـــورة ... ظمآنـــة جنـــت جنونـــا
وكـــأن الآن كفـــي ... حملـــت ثـــأراً دفينـــا
تتمنـــاك حبيـــساً ... عنـــدها العمـــرَ ســـجينا
طـــائراً ألفـــى علـــى ... راحتـــها وكـــراً أمينـــا
وشـــعاعاً قدســـيا ... هـــاديَ النـــور مبينـــا!

أُغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا ... ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب ... لَم نذقْ فيها أمانا
وإِذا حلَّ الهوى هيهات ... تدري كيف كانا
فإِذا ما ملك الأنفس ... أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ ... ولهيب لا يداني !
يا حبيبي هدأ الليل ... ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحينا ... ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقّ على الشاكي ... ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض الرامي ... كما شاء رمانا
وافِنيْ بالله نطرقْ ... هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأس ... ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية ... من أغاني هينه

(قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الـــذي
يحنو عليك. أنا الحبيبُ الراعـــي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى
والهولُ منتشرٌ علـــى الأصـــقاع
أغفيت في كنفي وفي ظلِّ الكرى
كالطفلِ في أمنٍ مِـــنَ الأوجـــاعِ
ياربِّ! قد وهت العصا واستأثرتْ
غيرُ الليـــالي بـــالقويِّ البـــاعِ
يا ربِّ إِن تك قد حكمتَ بفرْقةٍ
وإذنتَ للراعي بوشـــك زمـــاعِ
فانظر إلى الحملِ الوديع ووقِّـــه
شرَّ النفوسِ وفتنـــةَ الأطمـــاعِ

نضِّر له الــدنيا ومــد ربيعَهــا
وانشرهُ مؤتلقــاً بكــل شــعاع
واجعلْ له الأيامَ ظــلاًّ وارِفــاً
وخريرَ أنهارٍ وخصبَ مراعــي!

التذكار

معرّبة عن "الفرد دي موسيه"

بي نزوع إلى الـــدموع الهـــوامي
غير أني أخـــافُ مـــن آلامـــي
أيهذا المكان! يا غالي التـــرب!
ومثـــوى عبـــادتي واحترامـــي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنُها الغالى
القـــصيُّ المجهـــولُ في الأيـــام

*   *   *

هـــذه خلـــوتي فـــلا تمنعـــوني
ما الذي تحـــذرون يـــا خـــلاني
إنها عادتي التي كنـــت أعتـــادُ
وأهـــوى في ســـالفِ الأزمـــانِ
أخذتني لذِي الرحاب وقـــادت
قدمي في سبيلِ هـــذا المكـــان!

*   *   *

أنظروا هذه السفوحَ وهذا النبتَ

إذ قــــام مزهــــراً تيّاهـــــا

لكأني مـــا زلـــتُ تـــسمع أذني

في صموتِ الرمالِ وقع خطاهـــا

وكــأن النجـــوى بكـــل ممـــرٍّ

طـــوقتني في ســـترهِ يمناهـــا!

* * *

قد تراءى الـــصنوبر النـــضر إذ

أينــع في قـــاتمٍ مـــن الألـــوانِ

وتـــراءَى ليَ المـــضيقُ البعيـــدُ

الغور يمتـــدُّ في رخـــيّ المجـــاني

موحـــشات لكنمـــا كـــن أُلا

في ومهد الهـــنيء مـــن أزمـــاني

* * *

أنا ما جئتَ ها هنا أذكر الأشـــ

ـــجانَ في موطنٍ عرفت فيه هنائي

ذلك الغـــاب رائـــع الحـــسن

والصمت مثال الجلال والكبرياءِ

وفؤادي عاتٍ كرائعِ هذا الغابِ

مــــستكبرٌ علـــى البرحـــاءِ!

*   *   *

من يشأ أن يفيضَ يوماً بشكواه

فما هـــذا موضـــع الأحـــزان

قل لشاكٍ هلاّ مـــضيت لتجثـــو

عند مثوى ميت مـــن الخـــلان!

كل شيء حيٌّ هنا وباتُ القـــبرِ

ينمو في غـــيرِ هـــذا المكـــان!

*   *   *

طلع البدرُ يرتقي ذروةَ الأُفـــقِ

ويجتـــازُ حالـــكَ الأســـدادِ

يا أمير الظـــلام إِنـــك تبـــدو

حائرَ الرأي، واضـــحَ التـــردادِ

ثم تمضي مجاوزاً حجـــبَ الليـــلِ

وترمـــــي بنـــورِك الوقّـــادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نـــورٍ

مرسلٍ من جبينِـــك الوضّـــاحِ

وإذا الأرض قد تـــضوّعَ منـــها

عن ثراها النديِّ عطرُ الـــصباحِ

استشرت عطرَ القديمِ من الحبِّ

دفـــــين العـــــبيرِ في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المجبب ما زرتـــك

حـــتى ســـألت عـــن أوصـــابي

إيْن راحت لواعجي أيْن آلامـــي

اللواتي أهزمنَنِـــي في الـــشباب

عاودتني طفولتي فيـــك حـــتى

خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهرِ
قويـــا مثـــل الجبـــابرِ عـــاتِ
كل ماضي صبابة قـــد أخـــذتن
فمن مـــدمعٍ ومـــن حـــسراتِ
ورحمـــتنَّ لي أزاهـــر ذكـــرى
علقـــتْ في ذبولهـــا بالحيـــاةِ

* * *

فـــسلام مـــني علـــى الأيـــامِ
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكـــن أدرِي أن جرحـــاً بمـــا
كابدتُ منه مـــن فاتـــك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفـــسي وإحـــساسَ
هنـــاءٍ لـــديَّ بعـــد التئـــامِ

* * *

فليبْن عنيَ السخيفُ من الـــرأيِ
وتنـــأى سفاســـفُ الأقـــوالِ

وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثْوابُهـــا
حُـــــبٌّ عاشــــقين ضـــآلِ
جعلوهـــا مظـــاهراً لهـــواهم
والهوى الحقُّ ليس منـــهم ببـــالِ

* * *

إيه دانتي! أأنت ذاك الذي قـــال
قديماً عـــن ذكريـــاتِ الهنـــاء:
إنها إن مرّت علـــى ذاكريهـــا
زمن الحزن فهي أشقى الـــشقاء!
أي بؤسى أملت عليـــك مريـــر
القولِ حقـــا أســـأت للبأســـاءِ

* * *

أو إنْ أقبل الدجى بعـــد إدبـــارِ
نهـــارٍ صـــافي الـــضياء قـــضيتَهْ
تنكرُ النورَ في الوجـــودِ فيغـــدو
محضَ وهـــمٍ كأنـــه مـــا رأيتَـــهْ

ذلك القول وهو جدّ عجيــب

أيها الخالد الأسى كيــف قلتَــهْ

*   *   *

قسماً بالطهورِ من لهب الحــبِ

مضيئاً في القلــب شــبه المنــارِ

ما عهِدْنا في قلبك الوافر الإيمــ

ــانِ هذا الظــلال في الأفكــارِ

لا أرى للــهناءِ والله صــدقاً

مثل صــدقِ الهنــاءِ بالتــذكارِ

*   *   *

أو إنْ أبصرَ الــشقيُّ وميــضاً

في رمــادِ الهــوى فقــام إليــهِ

باســطاً نحــوَه يديــهِ بلــهفٍ

حارصــاً أن يمــرَّ مــن كفَّيــهِ

وبه من إشــعاعهِ أثــرُ الــبرقِ

إذا مــرّ خاطفــاً ناظريــه

*   *   *

أو إن غاصت روحةُ في عبـــابِ

الذكرياتُ التي طوها الـــسنينْ!

وعلـــى مـــرآة مجرحـــة منـــها

جرى دمعه الـــسخى الهتـــون !

أو هذا السرور من ذِكرِ الماضيِ

تـــسميه بالعـــذابِ المـــبين!

* * *

إن تروى أدمعي فلا تزجـــروني

ودعـــوني إني أحـــب الـــدموعَا

لا تجفف أيديكمُ أدمعـــاً تنفـــعُ

قلبـــاً لّمـــا يـــزلْ موجوعـــا

أدمعي سترٌ مسبلٌ فوق مـــاضٍ

قد تولى ما يـــستطيع رجوعـــا!

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شـــاطئٍ لـــشواطئٍ جُـــددِ
يرمي بنـــا ليـــلٌ مـــن الأبـــدِ
ما مَرّ منه مـــضى فلـــم يعـــدِ
هيهات مرســـى يومِـــه لغـــدِ!
* * *
سنةٌ مـــضت! وختامُهـــا حانـــا
والـــدهرُ فـــرّق شملَنـــا أبـــدا
ناجِ الـــبحيرةَ وحـــدك الآنـــا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفـــردا !
* * *
قل للـــبحيرةِ تـــذكرين وقـــد
سكن المـــساءُ ونحـــن بـــاللجِّ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ
إلا صـــدى المجـــدافِ والمـــوجِ
* * *

فــإذا بــصوتٍ غــير معتــادِ
هزَّ الــسكونَ هتافــةُ العــذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الــوادي
أصــداءَه وتناجــتِ الــسحبُ

* * *

يا دهــر في رفــق ولا تــدرِ :
ســاعاته في هينــة وقفــى
حــتى تتــاح هنــاءةُ العمــرِ
وتطــول لــذتُها لمقتطــفِ

* * *

هلا التفــتَّ لــذلك الكــونِ
وعلمت كم في الناس من باكي
يدعوك خذني والأسى المــضنيْ
خلِّ المتِّعِ وامــضِ بالــشاكي

* * *

هـــذا النعـــيم وهاتـــه المحـــنُ
يتنافـــسان الـــدهر إقلاعـــا
فبـــأي عـــدلٍ أيهـــا الـــزمنُ
تتـــشابهُ الحـــالان إســـراعا

*   *   *

يا أيها الأبد الـــسحيق أجـــبْ
وتكلمـــي يـــا هـــوة الماضـــي
ما تـــصنعان بأشـــهرٍ وحقـــبْ
ونعـــيم عمـــرٍ غـــير معتـــاض

*   *   *

ناج البحيرةَ والـــصخورِ وعُـــدْ
فاســـتحلِف الأغـــوارَ والغابـــا
قل صُنَّ ذكـــر غرامنـــا فلقـــدْ
صين الشبابُ عليـــك أحقابـــا

*   *   *

وليبق يـــا هـــذي الـــبحيرة في
حاليـــك ثـــائرة وهادئـــةً

في باســـق للمـــاء منعطـــفٍ

في رائعـــات الـــصخر نائتـــةً

* * *

في عـــابر النـــسماتِ مرتجفَـــا

في النجم فضض صـــفحةَ المـــاءِ

في الـــريح أنّ أنينـــه وهفـــا

في الغصن نفّسَ حـــر أحـــشاءِ

* * *

في الجـــو معتبقـــاً بريّـــاكِ

خطرت ملاعبـــة رقيـــق صـــبا

في كـــل هـــذا هـــاتفٌ بـــاكي

سيقول : يا أسفا لقـــد ذهبـــا!

وداع المريض

(مهداة إلى س ...)

"مريض عزيز سهر الشاعر عند سريره يعنى به."

"وكان وداعه فى الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية"

فيم الغدو غداً وأيــن رواحــي
ويح الصباح ! لقد مضى بصباحي
عصفت علينا غير راحمــة لنــا
ياصفوة الأحباب ، أي ريــاحِ!
عبثت بمعبود العيون وصــيّرت
كالورس لونــاً تــوأم التفــاح
ذهبوا به كالورد جافاه النــدى
ومضوا به شبحاً من الأشــباح
يا هاتفاً باسمي فــديت مناديــاً
رد النداء عليه حــر نــواحي!
يا آسي الآسي لمت جــراحتي
وأسلت يوم نواك أي جــراحِ!

طأطأت للبين المشتت هامتي

وخفضت للقدر المغير جناحي

أي الليالي العاتيات سهرتها

في أي آلام وأيّ كفاح!

هدم الضنى العاتي قوي شكيمتي

وثنى معاندتي ورد جماحي!

وطغى على الملك الموسد بيننا

في لطف زنبقة وضعف أقاح!

كيف المآب إلى مكان موحش

متجهم العرصات قفر الساح!

في كل ناحية خيال هاتف

ومذكر بجبينك الوضاح

وموسد كالطيف صاح ليله

أمسيت أرعاه بجفنٍ صاح

* * *

عاد الشقي إلى قديم شقائه

ومحا من الدنيا السعادة ماحي

ويح الحياة اليــوم أيــن جمالهــا

وعلام إخفــاقي بهــا ونجــاحي

أنت الذي وهب الحيــاة لميــت

في الأرض منفرد بغــير طمــاح

أشرقت في ظلمائهــا وغمامهــا

وطلعت مثل البــارق اللمــاح!

فرحـــــة جديـــدة

أدركت عندك يوميَ الموعـــودا
ولقيت فيك مثـــاليَ المنـــشودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلق كــل يــوم عيـــدا
وا فرحتي بك فرحة الطير الذي
ملأ الروابي المـــصغيات نـــشيدا
طربتْ لصدحتِه وصفق ظـــافراً
جذلانَ في عرض الفضاءِ سعيدا
في موكبٍ من قلبِـــه وحبيبِـــهِ
من راح تحسبه العيون وحيـــدا
وا فرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفارَ اللافحاتِ شريدا:
لاحت له بعد الهـــواجر أيكـــةٌ
غنّاء تبـــسط ظلـــها الممـــدودا

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى
وأحالها روضــاً أغــر جديــدا
شتى غرائبــها وأعجبــها فــتى
يغدو لمهجته عليــك حــسودا
يتهالكان على جمالــك صــبوة
يتنافــسان ضــراعة وســجودا
يتنازعانــك غــيرة وتغــضبا
كــل يــراك حبيبــه المعبــودا
ما أعجب الإِيمان يغمر خاطري
كالفجر قد غمر السماء وئيــدا
مزقتِ شكي فاسترحتُ لأعــين
علمــني الإِيمــان والتوحيــدا

استقبــــال القمـــــر

أَقبِـــلْ بموكبـــك الأغَـــرْ
مـــا أظمـــأَ الأبـــصارَ لـــكْ!

العـــين بعـــدك يـــا قمـــرْ
عميـــاءُ! والـــدنيا حَلـــكْ!

تمـــــضى وراءَ ســــحابةٍ
تحنـــو عليـــك وتلثمُـــكْ

وأنـــا رهـــينُ كآبـــةٍ
بخـــواطرى أتوهّمُـــكْ!

كن حيث شـئتَ فمـا أنـا
إلاّ معنَّـــــى بالمحــــال

أغـــدو لقدســـك بـــالمنى
وأزور عرشـــك بالخيـــال!

وأقـــول صـــبراً كلّمـــا
عـــزَّ الفكـــاك علـــى الأســيرْ

روحـــى وروحـــك ربمـــا
طابـــا عناقًـــا فى الأثـــيرْ!

مهمـــا تـــسامى موضـــعُكْ
وعـــلا مكانُـــك في الوجـــودْ

فأنـــا خيالُـــك أتبعُـــكْ
ظمـــآن أرشـــفُ مـــا تجـــودْ

قمـــرَ الأمـــاني يـــا قمـــر
إني بهـــــمٌّ مـــــسقمِ

أنـــت الـــشفاءُ المـــدَّخرْ
فاســـكب ضـــياءك في دمـــي

أفـــرِغ خلـــودَكَ في الـــشبابْ
واخلعْ علـــى قلـــبي الـــصفاءْ

أســـفاً لعمـــرٍ كالحبـــابْ
والكـــأسُ فائـــضة شـــقاءْ

*　　*　　*

خــــذني اليـــــك ونجّـــــني		ممـــــا أعـــــاني في الثـــــرى
قـــــدحي ترنّـــــق فاســـــقني		قـــــدح الـــــشعاع مطهّـــــرا!
واهـــــاً لأحـــــلامٍ طـــــوالْ		وأنـــــا وأنـــــتَ بمعـــــزلِ
نَعْلـــــو علـــــى قمـــــم الجبـــــالْ		ونـــــرى العـــــوالم مـــــن عَـــــلِ

نفرتيـــــــتي الجديـــــــدة

(إلى مـــمثلـــــة فنانـــــة)

لمـــن هاتـــه الفتنــــة النــــادرة
وما هاتـــه الأعـــين الـــساحرة؟
ومـــا ذلـــك المـــرح القدســـي
وما هاته الـــضحكة الطـــاهرة؟
تطوف مطاف الحنـــان العمـــيم
وتـــــسقط كالنعمـــــة الـــوافرة
وتمتد مثـــل امتـــداد العبـــاب
وترجـــع كالموجـــة الــــساخرة
وتنقش أصـــــداءها في القلـــوب
وتبقي مدي العمر في الـــذاكرة
فيا رقـــةً ســـكبت في النفـــوس
كما تسكب الخمـــرة القـــاهرة
نـــسينا بـــك العـــالم الـــدنيوي
وأسمعتنـــــا نغـــــم الآخــــــرة

ويارِبةً مــن نــواحي الألمــب

أطلت علــي مهــج شــاعرة

حنينا الــرؤوس لمجــد الجمــال

ولــذنا بعرشــك يــا آســرة

(....) مثلــت هــذي الحيــاة

وصــورت أدوارهــا الزاخــرة

وحملــت روحــك أثقالهــا

وروحــك كالريــشة الطــائرة

وكلفت قلبك خوض الجحــيم

وقلبــك كالجنــة الناضــرة

دفعت به فى اللظــى كالخليــل

وعــدت مباركــة ظــافرهْ

رجعت مــن النــار يــا قوتــةً

مطهــرةً حــرَّةً بــاهرهْ

(....) إن كرمثــك الــبلادُ

ودانــت لمعبــودة قــادرةْ

فـــو الله مافهمتـــك العقـــولُ

ولاقدرتْ قـــدركِ "القـــاهرهْ"

فللـــشعر عـــينٌ يـــراكِ بهـــا

بغير عيـــون الـــورى النـــاظرهْ

يرى لك حُسْنَ الشعاع الجميل

أغار علـــى الظلمـــة الغـــامرهْ

فجلل بالـــسحر هـــذي الـــدُّني

وصـــيَّرها جنـــة زاهـــرهْ

فنـــوَّر أكواخهـــا الباليـــات

وهلَّـــلَ فى دورهـــا العـــامرهْ

رسولٌ يجـــوسُ خـــلال الـــديار

ويـــترل كالرحمـــة الزائـــرهْ

بعـــين قـــد اغرورقـــتْ

لهـــا مُقلـــةُ الغيمـــة المـــاطرهْ

يطوف علـــى النـــاس إنـــسانها

ومهجتـــه للـــورى غـــافرهْ

الفــــراشـــــــة

أجلْ! يعلــم الحـــبُّ أني لظـــاهُ
وتدري الفراشة أنِّـــي اللـــهبْ
وأني بـــدوتُ لهـــا فى الظـــلام
فرفـــتُ بأجنحـــةٍ تـــضطربْ
وبـــين ذراعـــيَّ ســـرُّ الحيـــاةِ
وفي نـــاظريَّ بريـــقُ الـــشُّهُبْ
دانـــت خطـــوة ثم عـــادت إلى
مجاهلها مـــن خفـــيّ الحجُـــبْ!
وشتّان بـــين الـــسنا والظـــلام
لعابـــدةٍ للـــسنا عـــن كثـــبْ!
وفي صـــدرها لهفـــة للعنـــاقِ
وفي قلبـــها جنـــةُ المغتـــربْ
يلـــوح لهـــا شـــبحٌ لِلعـــذاب
ويبـــدو لهـــا الأبـــدُ المقتـــربْ

كأن اللظى قدَحٌ مـن سـلافٍ
لهـا فوقـه وثبـاتُ الحبـبْ
فراشة روحـي تعـاليْ وُثوبـاً
سـتلقين قلبـاً إليـكِ يثـبْ
إذا ما امتزجنـا احترقْنـا معـاً
ونلنا الخلود بهـذا العطَـبْ!!

إلى س ...

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها
وردت ظمأى وعادت بصداها
آه من عينكِ! ماذا صنعتْ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
تبعته تقتفي أحلامَهُ
كلّما أغفى أطلّت فرآها
يا سقى اللهُ "لليلى" أيكةً
وجزاها الخيرَ عنّا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومِن
حبنا الشهدَ المصفى وسقاها
قرِّبي عينكِ مني قرّبي!
ظلليني واغمريني بصفاها
وأريني هدأة البحرِ إذا
انبسط البحرُ جلالاً وتناهى

وأريـــني لجـــةَ الـــسحرِ الـــتي

ضلَّ في أعماقها الفكـــرُ وتاهَـــا

ألمـــحُ اللؤلـــؤ في أغوارهـــا

وأرى الطيبةَ تطفـــو في ســـناهَا

وأراهـــا تُخبِّـــئُ الخلـــدَ لمـــن

باع دنياه وبـــالروح اشـــتراهَا!

* * *

نحن أرواحٌ حيـــارى افترقـــتْ

ثم عادت فتلاقـــت في شـــجَاهَا

سوف ينسى القلبُ إلاَّ ســـاعةً

مِنْ رضاً في وكرِك الحاني قضاهَا

هتف القلـــب وقـــد حـــدثتني

أيَ ماضٍ كـــشفت لي شـــفتاهَا

هَمَسَتْ في خاطري فاســـتيقظتْ

روحيَ الحيْرى وأصغت لنـــداهَا

فأنـــا إنْ لَـــمْ أَكُـــنْ توأمَهـــا

فكأني كنت في الغيـــبِ أخاهـــا

نحـــن أرواحٌ حيـــارَى ثملـــتْ

وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا

وتعـــاليْ حـــدّثيني ! حـــدّثي!

أنت مرآة شـــجوني وَصَـــدَاهَا

فهبيني ســـاعة الـــصفو الـــتي

تقسمُ الأيامُ مـــا فيهـــا ســـواها

ثم أمـــــضي لحيـــــاةٍ مـــــرَّةٍ

صبْحُها عندي سواءٌ ومَـــساهَا!

نـــــداء للشبـــــاب

وطـــنٌ دعـــا وفـــتىً أجـــابْ بوركت يـــا عـــزم الـــشبابْ!

يـــا فتيـــة النيـــل المـــسا لم والكـــريم بـــلا حـــسابْ

جناتـــــــه مـــــــرآتكمْ ولكـــم خلائقهـــا العِـــذابْ

ولكـــمْ جمـــال الزهـــرِ رفَّ علـــى الأماليـــدِ الرطـــابْ

ولكـــم فـــؤاد النـــهر رق علـــى المحـــاني والـــشعابْ!

يمـــضي فيـــضحك للـــسهول ولا يـــضن علـــى الهـــضابْ

حـــتى إذا طغـــت الكـــوارث واســـــتفزكم العـــــذابْ

أصـــبحتم كالغيـــل تحميـــه الليـــوثُ بـــألف نـــابْ

قـــل للـــشباب اليـــوم يـــومكم الأغـــر المـــستطابْ

اليـــوم يبـــدو حـــبّ مـــصر فـــلا خفـــاءَ ولا حجـــابْ!

إن كـــان إثمـــاً يـــا شـــبابُ فـــلا رجـــوع ولا متـــابْ!

الله ينظـــــرُ والليـــــالي عنـــــدها لكـــــم الحـــسابْ

والعهـــدُ في القلـــبِ المـــصابرِ والأمانـــــةُ في الرقـــــابْ!

هـــاتوا الفـــدا الغـــالي لمـــصر وأرخـــــصوه كـــــالترابْ

المـــال ، والأرواح كـــل ضـــــحيةٍ ولهـــا ثـــوابْ

فـــي يـــوم الشبـــاب

اليوم يومُك في الــشباب فنــادِ
لا نوم بعدُ. ولا شـــهيَّ رقـــادِ
قل للذي يبغي الصلاحَ لقومـــهِ
بنبيل صنعٍ أو شـــريفِ جهـــادِ
بالطبِّ أو بالشعر أو بكليهمـــا
كل الجهودِ فداءُ هذا الـــوادي!
لا خير في قلمٍ إذا هو لَمْ يكـــنْ
حرا طهوراً كالـــشعاعِ الهـــادي
لا خير في طبٍّ إذا هو لم يـــزُرْ
ظلم الحيـــاة كفرحـــةِ الأعيـــادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحـــه
بصميم كل حـــشاشة وفـــؤادِ
صبراً فنحن أساتك الرحمـــاء في
الـــبأساءِ قد جئنا بكل ضـــمادِ

قل للبناةِ المصلحين ألا اخلقـــوا
شم الذرى ورواسخَ الأطـــوادِ
جيلاً من النشء القوِي إذا مشوا
رفعوا الرؤوسَ بعـــزةٍ وعنـــادِ
لا خير في الأرواحِ تسكن مترلاً
متهـــدماً رثـــا مـــن الأجـــسادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطناً
متخــــاذلاً لا يرتجــــى لجــــلادِ
أبَكَتْ عيونُكم الضعيفَ يصير في
ناب القويِّ فريـــسةَ اســـتعبادِ
فتبينوا إذنِ الحقيقَـــةَ واعلمـــوا
أن الطبيعةَ هكـــذا مـــن عـــادِ
الجوُّ ملكُ النسر يغـــشاه علـــى
ما يـــشتهي والغـــابُ للآســـادِ
مهلاً بني قومي أتيـــت مـــذكراً
في ســـاحةٍ مجموعـــة الأشـــهادِ

واخجلتـــا ممـــا نقدمـــه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معـــادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم
في ذمـــةِ الأبنـــاءِ والأحفـــادِ
أيّ البلاد هو الــسعيد وأهلـــه
يتنابـــذون تنابـــذ الأضـــدادِ
كـــل يعـــيش لنفـــسِه في أمـــةٍ
شقيتْ بطولِ تفـــرقِ الأفـــرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفـــاً
وتكاتفـــــاً في رغبـــــةٍ ووداد
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفـــاح الحـــر لا بمـــدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلأَحَكم
كاد الحمى يغدو بغـــير عمـــادِ
حيران من مرضٍ إلى بـــؤسٍ إلى
كربٍ تمـــر بـــه بـــلا تعـــدادِ
هذي ديارُكمْ وهذي شمـــسُكم
طمعُ الغريب وحرقـــةُ الحـــسادِ

ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلــداً كــثير مناهــل الــروادِ
والخــيرُ مــدرارٌ عليــه وربــه
جوعان محروم الرعايــة صــادِ!
والزرع نضر في الحقول وأهلــه
يتهيأون لمنجــل الحــصادِ ....!
هــذا زمــانكم وذا ميــدانكم
ماذا بكم من عــدة وعتــادِ؟..
نبغي شداد القوم قد شــحذوا
القوى في ليل أحداث نزلن شدادِ
ونريد شباناً بمصر استعــصموا
ومضوا يصدون الغريبَ العادي
ونريد أطفالاً إذا مــا أُرضــعوا
فرضــاعهم وطنيــة بــسهادِ
الطفل منهم مثــل أمــي أو أبي
شفتاه أول ما تقول بــلادي..!
يُغذون في الأرحامِ حب بلادهم
لتكَون مصراً صــرخة المــيلادِ

إلى روح الشاعر

ألقيت فى حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده

بمعهد الموسيقى الشرقى يوم الثلاثاء

٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقــفٌ حــانَ فــاغتنِمْ ... وتخــيرْ مِــن الكلــمْ

كــلَّ لفــظٍ أرقَّ مِــن ... ضــحكةِ الزهــر للــدِّيَمْ

مــستَمَدٍّ مــن الــرُّبى ... مُــستعارٍ مــن النّــسمْ

اجمــعِ الآنَ طاقــةً ... غــضَّةَ النــور تبتــسمْ

أهــدِها روحَ شــاعرٍ ... خالــدٍ بالــذي نَظــمْ

* * *

قلمــي! مــا الــذي لــديكَ ... مــن الخــيرِ يــا قلــمْ؟!

قــمْ فــذكِّر ونــاج قومَــكَ ... واخطُــب وقــل لهُــمْ:

قل لأهــل الغنــاءِ في كنــف ... المعهــد الأَشــمّ

ذلــك الــشاعرُ الــذي ... بــات في خــاطر الظُلــمْ

هــو مــنكم وفنُّــهُ ... علــمَ اللهُ فــنكمْ

* * *

كــان لحنــاً فــصار ذكــراً　　كمـــا يُـــذكَرُ الحُلــــمْ
إنمـــا الـــشعر مزهـــرٌ　　قـــد حكـــى قـــصةَ الأمـــمْ
وبأوتـــــاره المـــــنى　　تتلاقـــــى وتـــــزدحمْ
هـــو نـــايٌ مُرجَّـــعٌ　　لـــشجيٍّ ومـــا كـــتمْ
هـــو قيثـــارةُ الزمـــان　　ونجـــواه مِـــنْ قِـــدَمْ
هـــو أنـــشودة الحيـــاةِ　　وفـــيضٌ مـــن الـــنغمْ
أيهـــا المعهـــد الـــذي　　بلـــغ المجـــدَ واســـتتمّ
كـــلُّ لحـــنٍ مـــذكرٍ　　أشـــعل القلـــب فاضـــطرمْ
نظمتـــه يـــدُ الأســـى　　وقعتـــه يـــدُ الـــسقمْ

* * *

وأناشـــيدكم ومـــا　　صـــاغه الفـــنُّ مـــن عِظـــمْ
هـــي أنّـــاتُ أنفـــسٍ　　بالمقـــاديرِ تـــرتَطِمْ
وصـــباباتُ أعـــينٍ　　يـــشهدُ الليـــل لَـــم تـــنمْ
وأغـــانيكمْ الـــتي　　هـــي في قمـــةِ القمَـــمْ
هـــي آهـــاتُ شـــاعر　　عـــرف الحـــبَّ والألَمْ!

* * *

ذلـــك الـــشاعرُ الـــذي　　روحـــهُ الآن بيـــنكمْ

لكـــــأني أراه حَيــــــا وألقــــاهُ عـــــن أمَــــمْ
وهـــــو في ذروة الــــشباب وفي خفــــــةِ القَــــــدَمْ
غاشـــــياً كـــــلَّ منتـــــدىً عــــاليَ الــــرأسِ محتــــرمْ
كلمـــــا قــــال شـــــعرَه غمــــر الــــسهلَ والعلــــمْ
دافقــــاً لــــيس ينتــــهي أبــــداً ســــيلُه العــــرمْ
بـــــاذلاً للــــــصديق والأ هــــلِ كـــلّ الـــذي غــــنَمْ

*   *   *

زوجــــه والبنـــــون هُـــــم مجــــدهُ والرجــــاءُ هُــــمْ
درجــــوا في ذُرَا العــــلا نـــــوَّروا في رُبى الــــنعمْ
نـــشأوا في حِمـــى العفــافِ وجلُّـــوا عـــن الـــتُّهمْ

*   *   *

حـــين ظنـــوا بـــأنَّ مـــا أمَّلـــــوا في الزمـــــانِ تمْ
إذ شـــكا الـــضعفَ ســـيد البيـــتِ خـــارت بـــه الهمـــمْ
نـــام في حـــصنهِ الـــضَّنى وعلـــــى صـــدره جَـــثمْ
وإذَا بـــــالطيور قــــــد دخـــل المـــوتُ وكـــرهُمْ
شِـــبْهَ لـــصٍّ مخـــادعٍ غـــشيَ البيـــت فالتـــهَمْ
وإذا الفاقـــــةُ الجريئـــــةُ تَطْغَـــــــى وتَنْـــــــتَقِمْ

صـــــنعتْ في رجــــــائهمْ		فعلَـــــة الـــــذئبِ بـــــالغنمْ
كـــــــأتونٍ مـــــــستعر		غاضـــــبٍ ينشـــــرُ الحُمَـــــمْ!
مَـــن رأى البـــؤسَ إن عــــدا!		مَنْ رأى الـــضنك إن هَجَــمْ؟
مَـــن رأى العفـــةَ العريقـــةَ		بالـــــــدهر تـــــــصطدمْ؟!

* * *

أُمَّـــتي! لـــيس يُهـــزَمُ الفـــنُّ		في أمَّـــــــــة الــــــــشَّمَمْ
أُمَّتي! لـــيس يخـــذلُ الجُـــودُ		في أمَّـــــــة الكـــــــرَمْ
أُمَّـــــتي! أُمَّـــــةُ العـــــلا		وأبي الهـــــــول والهـــــــرَمْ

ساعة التذكار

ألقيت فى حفلة الذكرى التى أقامتها جماعة الادب المصرى
بالأسكندرية لمرور عام على
وفاة المرحوم أحمد شوقى بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقـــةُ نـــارِ
مَنْ مُسعدِي في ساعةِ التـــذكارِ
قُمْ يا أميرُ! أفِضْ عليَّ خـــواطراً
وابعث خيالَك في النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشـــةً
غراءَ حائمـــةً علـــى الأنـــوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلـــى أفِـــقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الـــدارِ
يا مَنْ دعا للحـــق في أوطانـــهِ
ومضى ليهتفَ في ديـــار الجـــارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهـــدها
نهبُ الخطوبِ قليلـــةُ الأنـــصارِ

والحظُّ أطمارٌ كما شـاءَ البِلَى
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!
عامٌ مضى وكأنّ أمس نعيه
يا ما أقلَّ العامَ في الأعمار!
أيْنَ الإمارة والأميرُ ودولة
مبسوطةُ السلطان في الأمصار
خمسون عاماً وهي وارفة الجَنى
تحت الربيعِ دؤوبة الأثمارِ!
مَدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ
ومضى الربيعُ الضاحكُ النّوارِ!

* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً
جمعتْ صحابَك في غروب نهار

والشمس في سقم الغروب وأنت فى

لونِ الشحوب معــصفرٌ ببــهارِ

منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارباً

كسناكَ طوّافاً علــى الــسُّمارِ

تشكو ليَ الضعفَ الملمَّ لعــلَّ في

طبي مقيلاً مِن وشــيكِ عثــارِ

وكشفتَ عن متهدِّمٍ جال الردى

متــهجماً في صَــرحه المنــهارِ

فرأيتْ ما صنع الضنى في صورةٍ

حالتْ، وخلى هــيكلاً كإطــارِ

ووجمتُ! ألمحُ في الغيــوب نهايــةً

وأرى بعــينيَ غايــةَ المــضمارِ

وأرى النبوغَ وقد تهاوى نجمُــه

والعبقريــةَ وهــي في الإِدبــارِ!

أوَلم يكن لك من زمانِك ذائــداً

وثباتُ ذهــن مــاردٍ جبــارِ؟

أوَلَمْ يكن لكَ من حِمامِك عاصماً
ذاك الجـبينُ مكـلـلاً بالغـارِ؟
ولّيتَ في إثـر الـذين رثيتـهُم
واقمتَ فـيهم مـأتمَ الأشـعار
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ
محتومـةُ الاقـداح والأدوارِ
والدهرُ يقـذف بالمنايـا دفّقـاً
فمـضيتَ في متـدفق التيـارِ

* * *

في ذمة الأجيالِ ما غنّـت بـه
قيثـارةٌ سـحريةُ الأوتـارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقّعتْ
أنغامَهـا المحجوبـة الأسـرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخـذاً
منها ومـن إعجازهـا بغـرارِ
مسترسلاً رحبـاً كعـينِ ثـرّةٍ
شتى السيولِ سـحيقةِ الأغـوارِ

متعالياً حـــتى الأشـــعةِ مـــشرقاً

متألقـــاً كالكوكـــبِ الـــسيَّارِ

*　　*　　*

شوقي! نظمتَ فكنت برًّا خيِّـــراً

في أمـــة ظمـــأى إلى الأخيـــارِ!

أرسلتَ شعرَك في المدائن هاديا

شبهَ المنـــارِ يطـــوف بالأقطـــارِ

تدعو إلى المجد القـــديمِ وغـــابرٍ

طـــيّ القـــرون مجلَّـــلٍ بوقـــارِ!

تدعو لمجدِ الشرق: تجعـــل حبَّـــهُ

نصبَ القلوبِ وقبلةَ الأنظـــارِ!

تبكي العراقَ إذا استُبيحَ ولا تضنّ

على الـــشآم بمـــدمعٍ مـــدرارِ

وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم

خرجوا لصون كرامـــةٍ وذمـــارِ

فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم

كفًّا مـــضرجةً مـــع الأحـــرارِ

*　　*　　*

ما زلتَ تُبعثُ في قريضِكَ ثاوياً
أوِ ماضياً حَفِــلاً بكــلِّ فخــارِ
حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ : شاعرٌ
ناجى الطلولَ وطاف بالآثــارِ!
فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما
لَم يعهدوا من معجز الأفكــار!
شيخٌ يدبُّ إلى الأصــيل وقلبُـــهُ
وجنانُـــهُ في نـــضرة الأســـحارِ
ويحسُّ تــبريحَ الــصبابَةِ واصــفاً
مجنونَ ليلـــى في ســـحيقِ قفــارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشــراً
تلك العصور وطيفَها المتــواري!
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحياة!
هما شــعارُ العــيش أيُّ شــعارٍ

ديـــــن الأحيـــــــــــاء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة

لذكرى العام الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دينٌ ... وهذا اليومُ يومُ وفـــاءِ
كمْ منَّةٍ للمَيْـــتِ في الأحيـــاءِ!
إن لَم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعه
فلعلّ فى التذكار بعـــضَ جـــزاءِ
يا ساكنَ الصحراء منفرداً بهـــا
مستوحـــشاً في غربـــةٍ وتنـــائى
هل كنتَ قبلاً تستشفّ سكونها
وترى مقامك في العراء النـــائى
فأتيتَ ... والدنيا سرابٌ كلها ..
تروى حديثَ الحبّ في الصحراءِ
ووصفت قيساً في شديد بلائـــه
ظمآن يطلب قطرةً مـــن مـــاءِ
ظمآن حين الماء ليلـــي وحـــدها
عزت عليه ولَم تُـــتح لظمـــاءِ!

هيمان يضرب في الهواجر حالمـاً
بظلالِ تلك الجنـة الفيحـاءِ!
فإذا غفا فلطيفهـا، وإذا هفـا
فلوجهها المـستعذبِ الوضّـاءِ
يا للقلوب لقـصةٍ بقيـتْ علـى
قِدم الـدهور جديـدةَ الأنبـاءِ
هي قصة الطيف الحزين، وصورة
القلب الطعين، مجلـلاً بـدماءِ
هي قصة الدنيا، وكم مـن آدمٍ
منّا لـه دمـعٌ علـى حـواءِ
كل به قيس إذا جـنَّ الـدجى
نزع الإبـاءَ وبـاح بالبرحـاءِ
فإذا تداركه النهارُ طوى المـدا
معَ في الفؤاد وظُنَّ في الـسعداءِ
لا تعلـم الـدنيا بمـا في قلبـه
مـن لوعـةٍ ومـرارةٍ وشـقاءِ

كلٌّ له «ليلى» ومن لَم يَلقهـــا
فحياتُه عبـــثٌ ومحـــضُ هبـــاءِ
كلٌّ له «ليلى» يـــرى في حبـــها
سرَّ الـــدُّنى وحقيقـــةَ الأَشـــياءِ
ويرى الأمانى في سعير غرامهـــا
ويرى الـــسعادةَ في أتمِّ شـــقاءِ
الكونُ ف إحساها، والعمرُ عند
حناهـــا، والخلـــدُ يـــومُ لقـــاءِ
يـــا لَلقلـــوب لقـــصةٍ محزونـــة
لم تُـــروَ إلاَّ رُوِّحَـــتْ ببكـــاءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً
ممـــا كـــساها ســـيدُ الـــشعراءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعـــةً
من جـــودة التمثيـــل والإلقـــاءِ
من فنِّ (زينبها) ومن (علاّمهـــا)
زينِ الشبابِ وقـــدوةِ النبغـــاءِ

الأجنحـــة الـمحـترقـــة

يا أمتي كم من دموع في مآقينـــا
نبكي شهيدَيْكِ أم نبكي أمانينا؟!
يا أمتي إن بكينا اليـــوم معـــذرةً
في الضعف بعض الماسي فوق أيدينا
واهاً على السرب مختالاً بموكبـــه
وللنسور على الأوكارِ غادينـــا
قالوا الضباب فلم يعبأ جبـــابرةٌ
لا يدركون العلا إلاّ مـــضحِّينا
والمانش يعجب منهم حينما طلعوا
على غواربه الحـــيرى مطلِّينـــا
فاستقبلتْهم فرنسا في بـــشاشتِهَا
تجزى البسالة ورداً أو رياحينـــا
قالوا النسور فهبَّ القوم وادَّ كروا
نسراً لهم مـــلأ الـــدنيا ميادينـــا

وهلّل السين إذ هلّت طلائعنـــا

طلائعُ المجد من أبنـــاء وادينـــا

حان الأمان ووافَي السربُ فافتقدوا

نسرَينِ ظنوهما قد أبطـــآ حينـــا

لكنه كان إبطاءَ الـــردَى فهمـــا

لَمَّا دعا المجدُ قد خَفَّـــا ملبينـــا

فليبك من شاء وليُشبع محـــاجره

ولينتحبْ ما يشاءَ الحزن باكينـــا

يبكى الحبيب وتبكى فقد واحدها

من لا ترى بعده دنيا ولا دينـــا

هُنيهة ثم يسلو الـــدمعَ ســـاكبُه

لا يدفعُ الدمعُ شيئاً من عوادينا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صـــائحنا:

فداك يا مصر لازلنـــا قرابينـــا

فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً

والنسر محترقاً والليث مطعونـــا!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلاً يقينا
أحُلْماً كان عطفُكِ أم يقينا؟
أهجراً في الصبابة بعد هجرٍ
أري أيامَهُ لا ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى
على الرَّمَقِ الذى أبقيتِ فينا
كأنّ قُلوبَنا خُلِقَتْ لأمرٍ
فمذْ أبصرنَ مَنْ هُوَى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ ونِمْنَ عنها
وبِتن بمَنْ نحبُّ موكلينا
فإن مُلِئت عروقٌ مِنْ دماءٍ
فإنَّا قد مْلأناها حنينَا!

أصـــوات الـــوحـــدة

يا وحدتي جئت كي أنسَى وها أنـــذا
مازلـــت أسمـــع أصـــداءً وأصـــواتا
مهمَا تـــصامتُ عنـــها فهـــي هاتفـــةٌ
يا أيهـــا الهـــاربُ المـــسكينُ هيهاتـــا!
جرَّتْ علـــيَّ الأمـــاني مِـــنْ مجاهلـــها
وجمَّعـــتْ ذكـــراً قـــد كُـــنَّ أشـــتاتا
ما أسخفَ الوحدةَ الكبرى وضـــيعَها
إذا الهواتف قـــد أرجعـــنَ مـــا فاتـــا
بعـــثنَ مـــا كـــان مطويّـــا بمرقـــدهِ
ولم يـــزَلْنَ إلى أن هـــبَّ مـــا ماتـــا
تلفـــتَ القلـــبُ مطعونـــا لوحدتـــه
وأين وحدتـــه؟ باتـــتْ كمـــا باتـــا!
حـــتى إذا لم يجـــدْ ريّـــا ولا شـــبعا
أفضى إلى الأمل المعطـــوبِ فاقتاتـــا!

الـخـتـام

(مـن شـعـر الصـبا)

عجبا لقلبٍ هـيض منـكَ جناحُـهُ
وجرى بـه نـصلُ الندامـة يـذبحُ
مضى الحِمامُ يدبٌّ فيه فـإن جـرتْ
ذكراك طـار إليـك وهـو مجـنَّح
لهفى على النـاقوس بـين جـوانحي
وعلـى بقيـة هيكـلٍ لا تـصلحُ
لا فـرق بـين أنينـه ورنينـه
وصـداه في وادي المنيـة أوضـحُ
يا قلب! صـهباء الهـوى وبـساطه
وكؤوسـه المتجاوبـات الـصُّدَّح
وقفٌ علـى متـنقلين علـى الهـوى
يبغـونَ مـن لذاتـه مـا يـسنحُ

متبـــــدِّلين موائــــــداً وأحبــــــةً

ما خاب مـــن حـــبٍّ فـــآخرُ يفلـــح

فالحــــــبُّ آســــيه وراء عليلـــــه

فيهم، وبلـــسمه علـــى مـــا يجـــرح

يا قلبُ! ويـــح ثباتنـــا مـــاذا جـــنى

أتـــرى شــــعاعاً في البقيـــة يُلمـــحُ!

* * *

يـــا أيهـــا الحـــبُّ المقـــدَّسُ هـــيكلاً

ذاق الردى مـــن عابـــديك مـــسبِّحُ

كثـــرتْ ضــــحاياه وطـــال قيامــــه

وصــــيامه فمــــتى رضـــاءَك َمـــنحُ

يا دوحـــة الأرواح يُحمـــد عنـــدها

فيءٌ ويُعبـــــد زهرهـــــا المتفـــــتح

أينـــال ظلـــكِ والرعايـــةَ عابـــثٌ

بجلالـــك البـــادي وآخـــر يمـــزحُ

ويبيـــت يحرمـــه قتيـــلُ صـــبابةٍ

قـــضّى الحيـــاةَ إلى ظلالـــك يطمـــحُ

ليلى! حبيبــك كالحيــاة وذقــتُ في

ناديــك كأســاً بالأمــاني تطفــحُ

فتكسرتْ قدح المنى ورجعــتُ مــن

ســقم الهــوى وهزالــه أتــرنحُ

نزلَ الستار على الروايــة وانقــضتْ

تلك الفصولُ وفُــضَّ ذاك المــسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس

(ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

تحت عينِ الصباح والأنوارِ
ورقيق الأنداء والأسحارِ

في حمى سنتريس شبَّ غلامٌ
شاعريٌّ الكلام والأنظارِ

أزرق العين هادئ هدأةَ البحر
بعيد الرضى! بعيد القرارِ!

ساهمٌ يلمح السحائب في الأفق
بعينٍ عميقةِ الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائمِ والزهرِ
وفي صحبة الغديرِ الجاري

ونضيرِ الحقول والعشب المخضلِّ
يكسو شواطئ الأنهارِ

ومـــصيخاً إلى غنـــاء الــــسواقي

شـــاكيات ســـواخرَ اَلأقـــدارِ

باكيـــاتٍ علـــى الـــصبا واَلأمـــانى

والهـــوى والنـــوى وبُعـــدِ المـــزارِ

غير أن الذي شكا خطبه اَلأهــــــــ

ــــــلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجـــار

إنَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الــــــ

ــــــقلبِ في رقة النسيم السارى

مغرمٌ بالعــصا! فلــو خلــف ســورٍ

لتخطـــي شـــواهق الأســـوارِ

وَلأجل العصا ســطا علـى الأفــرع

الخضـــــــراء زانتْ بواسقَ اَلأشجارِ

وَلأجل العصا ســطا عَلـى خـــشب

البيـــــتِ، طموحاً حتى لباب الدارِ

ولـــو انَّ العـــصيَّ عـــزَّتْ عليـــه

لـــتمنى حـــتى عـــصا التـــسيارِ

* * *

إن تلك العصا لَرمــزٌ علــى القــوة

في قلــــب مــــاردٍ جبَّــــارِ

لا يــرى القريــةَ الــصغيرةَ كفــؤاً

لكبــــار الآمــــالِ والأوطــــارِ

ســـاخراً مـــن هـــدوئها مـــستعدًّا

لـــصراع الخطـــوبِ والأَخطـــارِ

أيْـــن يمـــضي؟! للأزهـــر الـــشامخ

الرأْس، القويّ الباقي علـــى الَأدهـــارِ

مطلـــع عبـــده وســـعداً ورهـــط

الـــمجـــدِ والبأسِ والعلا والفخارِ

* * *

فرح الأهـــلُ بـــالغلام الـــذي صـــار

حـــــديثاً في نـــــدوة الــــسُّمارِ

عمَّمـــــوه وقفطنـــــوه فأمـــــسى

أمـــلَ القـــومِ، فـــارسَ المـــضمارِ

ومـــضى يطلـــب العلـــوم وحيـــداً

موحـــشاً قلبـــهُ، غريـــبَ الـــدارِ

ناظراً في هوامشٍ تأكلُ العقـــــــــ

ـــــــــلَ وتُبلى نواضرَ ٱلأبــصارِ

لا يبالي الطــوى ولا يحفــل الأقــدار

جــــاءت بكـــل أمـــرٍ ضـــاري

لا يبالي غداةَ يصغى إلى الشيـــــــ

ــــــخ وللشسخِ هالةٌ من وقارِ:

حـــــصيرٌ ممـــــزقٌ أم حَريـــرٌ

مقعـــــد للمجاهــــدِ الــــصبَّارِ

آهِ من هاتِه الشدائد فهي النـــــــ

ــــــار تبلو القلوبِ في الأخيــارِ

إنَّ قلب العظيم يا قوتةٌ تــســـــــ

ـــــــمو سموا وتزدهى بالنــارِ!

أي شيء في الـــدهر كــالألمِ الجبَّــارِ

يجلـــــو ضـــــمائَر الأحـــــرارِ؟!

* * *

عجبي من «مجــاورٍ» ضــاق بــالأز

هـــر واحـــيرةَ النفـــوسِ الكبـــارِ!

ثم أمسى مطربـــشاً واكتـــسى البـــذ
ـــــــــــــــلةَ ما بين ليلةٍ ونهـــارِ
ثم ضـــاقت بهمــه مـــصر فاشـــتا
ق لغـــير الأوطـــانِ في الأمـــصارِ
ضـــمَّ أشـــياءه إليـــه، وأضـــحى
في ســـفينٍ تجـــوب عـــرض البحـــار
ثم أمسى مبرنطا يقصد السيـــــــــــ
ـــــــــــــــن ويغزو مدينة الأنوار

* * *

والـــذي يبعـــث الـــسرورَ ويـــدعو
كـــلَّ نفـــسٍ للزهـــوِ والإكبـــارِ
رجلٌ ما ازدهته فتنةُ باريـــــــــــــ
ـــــــــس وما في باريس من أسرارِ
ظـــلَّ في ذلـــك الحمـــى مـــصريا
عـــربيَّ الحيـــاةِ والأفكـــارِ
كلمـــا هبَّـــت الغـــواني عليـــه
ضـــاق ذرعـــاً بالغـــادة المعطـــارِ

يزفـــر الزفـــرةَ العتيقَـــة ترمـــى
من لظاهـــا فحـــمَ الـــدُّجى بـــشرار
يذكر النيلَ، والأحبةَ بالنيـــــــــــــ
ـــــــــلِ ويشدو بروائـــعِ الأشـــعارِ!

* * *

كرِّمـــوا نـــابغيكمو واعرفـــوهم
فـــضياعُ النبـــوغِ في الإنكـــارِ
فزكـــى مبـــارك شـــعلةٌ فـــي
مـــصر تهـــدى شـــبابها كالمنـــارِ
قسماً يتاح ليَ الغارُ كَلَّلْـــــــــــــ
ـــــــــتُ بكفِّي جبينَه بالغـــارِ!

علـــــــــى البحـــــــــر

(من شعر الصِّبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

هـــل أنــت ســامعة أنــيني … يــا غايــة القلـــب الحـــزين
يــا قبلــة الحـــب الخفـــيِّ … وكعبـــــة الألم الـــــدفين
إني ذكرتـــــك باكيًـــــا … والأفـــق مغـــبرٌّ الجـــبينِ
والـــشمس تبـــدو وهـــي … تغرب شــبه دامعــة العيــونِ
أمسيت أرقبها علـــى صـــخر … ومـــــوج البحــــر دوني
والبحـــر مجنـــون العبـــاب … يهـــيج ثـــائره جنـــوني
ورضـــاكِ أنـــت وقـــايتي … فإذا غضبت .. فمــن يقــيني؟!

كـــــــلانـــــــا

(من شعر الصبا)

كلانـــــا عليـــــلٌ فـــــلا تجزعـــــى
ودمعُـــــكِ تـــــسبقه أدمعـــــى
وإن كـــــانَ بـــــين ضـــــلوعك نـــــارٌ
فنـــــار الـــــصبابةِ في أضـــــلعى
وإن كـــــان نجـــــمُ هنائـــــك غـــــابَ
فـــــنجمُ هنـــــائىَ لم يطلـــــعِ ..

ليالى القاهـــرة

الديوان الثانى للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ كما سبق أن أوضحت.

الإهــــــــداء

«إلى صديقى ع.م.

الذى نَدَّى الزهر الذابل من خمائل

الماضى، وأنبتَ فى روض الحاضر زهوراً

ندية مخضلة بالأمل والحياة ..

إليه أقدم ما أوحى به إلىّ» ..

إبراهيم ناجى

كلمـــــــــــة

الشعر عندى هو النافذة التى أطل منها على الحياة،
وأشرف منها على الأبد
وما وراء الأبد
هو الهواء الذى أتنفسه
وهو البلسم داويت به جراح نفسى عندما
عز الأساة
هذا هو شعرى.

أ. ن

تقـــــديـــم

بقلم حضرة صاحب المعالي

إبراهيم دسوقى أباظه باشا

يَسْمون بالأدب الجديد وتارةً

يبنون للأدب القديم رواقا

هؤلاء هم أصحاب المدرسة الحديثة، تتسم بطابع الجدة والطرافة، وبالأسلوب الأنيق والعبارة السهلة، وهى تحتفل بالفكرة أكثر مما تحتفل باللفظ، وتعنى بالموسيقى والرنين، قبل عنايتها بالصياغة والصنعة.

ولقد طلعت هذه المدرسة بمآثرها الفنية القيمة، التى تهز النفوس هزا، وتخاطب العاطفة والعقل في آن، ولقد استطاعت أن تتجه بجمهرة القراء إلى أهدافها في ميادين الخلق والابتداع. وصاحب هذا الديوان من أقطاب هذه المدرسة وكبار أساتذها. استمع إليه وهويقول:

إن خاننى اليوم فيك قلت غـــداً

وأيـــنَ مـــنى ومـــن لقـــاك غـــدُ

إن غـــــداً هــــوة لناظرهـــــا

تكـــاد فيهـــا الظنـــونُ ترتعـــدُ

أطـــــل في عمقهــــا أســــائلها

أفيـــكِ أخفـــي خيالَـــه الأبـــدُ

يالامسَ الجرحِ ما الذى صـــنعتْ

بـــــه شـــفاه رحيمـــــة ويـــدُ

ملء ضـــلوعى لظـــى وأعجبـــه

أنى بهـــــذا اللـــــهيب أبتـــــردُ

فالتعبير عن الغد المجهول بالهوة العميقة، وعن اضطراب الشاعر في أوهام الغد بالظنون المرتعدة، مع سهولة القافية واستقرارها، هذا هو نهج المدرسة الحديثة وسنتها المرسومة، وإلى القارئ هذه الأبيات أيضاً تنهض دليلا قاطعاً لا يشوبه شك، يؤكد ما أريد أن يرسخ في الأذهان، من أن المدرسة أكسبت الشعر المعاصر ثروة فكرية جديدة.

ألمى محا ذنـــبي إليـــك وكفّـــرا

هـــبنى أســـأت ألم يَحِـــنْ أن تغفـــرا

ظمآن لو بـــاع الأحبـــة قطـــرة

بـــالعمر والـــدنيا جميعـــا لا شـــترى

أخفى جراحك واستعز بفتكهـــا

غريدك الـــشادى المحلـــق في الـــذري

يرنو إليك على البعـــاد ويعتلـــي

ويجره الجـــرح المميـــت إلى الثـــرى

حتام كتمــانى وطــول تجلــدى

يــا أيهــا الجــانى علــىَّ ومــا درى

ومتى المآب إلى رحابــك مــرة

لأريك جرحـــى والـــدِّمَا والخنجـــرا

وللشاعر أيضاً في ملحمة السراب:

لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا

ولا لقلبـــك عـــن لـــيلاك أنبـــاء

جفا الربيـــع ليالينـــا وغادرهـــا

وأقفـــر الـــروض لاظـــل ولا مـــاء

يا شافىَ الداء قد أودى بِىَ الـــداء

أمـــا لـــذا الظمـــأ القتـــال إرواء

ولا لطـــائر قلـــب أن يقـــر ولا

لمركـــب فـــزع في الـــشط إرســـاء

عندى سماءُ شتاءٍ غـــير ممطـــرة

سوداء في جنبـــات الـــنفس جـــرداء

خرساء آونـــة، جـــرداء آونـــة
وليس تخدع ظـــنى وهـــى خرســـاء
وكيف تخدعنى البيـــداء غافيـــة
وللـــسوافى علـــى البيـــداء إغفـــاء
أأنتِ ناديت أم صـــوت يخيل لى
فلى إليـــك بـــأُذْن الـــوهم إصـــغاء

هذه نماذج لم أعمد إلى اختيارها، وإنما صادفتنى وأنا أقلب صفحات الديوان، وسأشفعها بنماذج أخرى أبرز فيها أهداف المدرسة الحديثة في الشعر، وأظهر ما يصور هذه الأهداف، تلك النـــزعة الاستقلالية في التعبير والمعنى، مما أثار حولها اللغط الكثير، لأنها كما قلت خرجت بأجواء من المعانى لا عهد لقارئ الشعر القديم بها، فالتعبير عن معانى القطيعة بالطائر الذى لا يقر، وبالمركب الفزع الذى تتناوشه الأعاصير.. إلخ. خروج على المألوف في أسلوب النظم، ولقد لقيت المدرسة الحديثة على هذه المحاولات الموفقة جزاء سنمار، فكان عجيباً حينما احتدمت المعركة بين القديم والجديد، في مطالع النهضة الادبية الحديثة، أن تجد الداعين إلى هذه النهضة يحطون في غير هوادة أو رفق، على أولئك الذين أخذوا بأسبابها، وساروا في طريقهم قدما، يحثون خطاهم، ويستثيرون من حولهم، بما ينشرونه في الصحف أو يلقونه في

المجتمعات، من نتائج المواهب والملكات .. ظل أبناء المدرسة الحديثة في طريقهم لا يلوون على شيء ناسين أو متناسين الضجة الهائلة التي انبعثت بها أقلام هؤلاء السادة الكاتبين، وأخذت تعربد على آثارهم الفنية في الشعر، في نقد يتجافى عن أسلوب النقد الصحيح.

من هؤلاء الشعراء الذين استهدفوا شعر هؤلاء الكاتبين، شاعرنا الكبير الدكتور إبراهيم ناجى، صاحب الشعر الذى قدمت، وصاحب هذا الديوان الفخم (ليالى القاهرة) الذى أقدمه إلى قرائه المعجبين العديدين في سائر أقطار الضاد.

ويبدو لى أن البواعث التي دفعت إلى الهجوم على أساتذة هذه المدرسة، تتجمع في نطاق الحرية التى انطلقت بمواهبهم إلى الآفاق الرحيبة، التى أطلوا منها على الأجواء البعيدة عن المعانى والأخيلة مع خلق بعض الأوزان التي لم يسبق أن نظم غيرهم منها ... فمن هذا قصيدة «عاصفة روح» التى استهلها الدكتور ناجى:

أيـــــن شـــــط الرجـــــاء   يـــــا عبـــــاب الهمـــــوم
لـــــيلتي أنـــــــــواء   ونهـــــاري غيـــــــوم

* * *

أعـــــولي يـــــا جـــــراح   اسمعـــــي الـــــديان
لا يهـــــم الريـــــاح   زورق غـــــــضبان

* * *

اســـــخري يـــا حيـــاة قهقهـــي يـــا رعـــود

الـــــصبا لـــــن أراه والهـــوى لـــن يعـــود

فهذا الوزن لا يوجد له نظير في أوزان البحور المعروفة، وربما كان اعتماد الشاعر فيه على السماع والإيقاع.

والدكتور ناجى، بحق في طليعة أساتذة هذه المدرسة، فحظه من الثقافة الغربية حظ موفور، وإنك لتلمح في قصائده ومقطوعاته أثراً ملحوظاً جاء وليد القراءات الواسعة التى بصرته بمذاهب التجديد والابتكار، فهو حين يكتب، يتطلع إلى الأجواء العالية، التى حلق فيها مع شعراء الغرب محتفظاً بذاتيته ولونه الخاص وطبيعة الشرقى المصرى، فقد وصف الحياة كما هى في الشارع والمرقص، ومشاهد الطبيعة ومجاليها. وفي هذا خروج بالشعر عن دائرة الكلاسيكية المتحفظة إلى الشعب.

وإن الخصائص والسمات التى يتميز بها هذا الديوان من الإيماء عن المعنى بالصورة والإيماء عن الصورة بالرمز، ووحدة القصيدة واعتمادها على الجرس والموسيقى لتبدو فوق المعانى الخلابة العميقة،واضحة جلية في قصائده (ليالى القاهرة) و(الأطلال) و(السراب) ففيها خوالج نفسية صادقة، وانطباعات ذهنية، ولمحات فنية، ومعرفة دقيقة بأسرار النفس، ومكونات الوجدان.

يقول في قصيدته (ليالى القاهرة) التى بدأها بالحديث عن ظلام مصر في سنوات الحرب وما أفاضه على نفس الشاعر من ظلال سجلها في ملحمته هذه المختلفة الضروب والإيقاع:

لقد أقفـــر المحـــراب مـــن صـــلواته
فلـــيس بـــه شـــاعر ســـاهر بعـــدي
وقفنا وقد حان النـــوى أى موقـــف
نحاول فيه الصبر والـــصبر لا يجـــدى
كأن طيوف الرعب والـــبين موشـــك
ومزدحم الآلام والوجـــد في حـــشد
ومضطرم الأنفـــاس والـــضيق جـــاثم
ومشتبك النجوى ومعتنـــق الأيـــدى
مواكـــب خـــرس في جحـــيم مؤبـــد
بغـــير رجـــاء في ســـلام بَـــرد
فيا أيكةً مـــدَّ الهـــوى مـــن ظلالهـــا
ربيعا على قلبى وروضا مـــن الـــسعد

تقلصتِ إلا طيفَ حب محير

على درج خابي الجوانب مسود

تردد واستأنى لوعد وموثق

وأدبر مخنوقاً وقد غص بالوعد

وأسلمنى لليل كالقبر بارداً

يهب على وجهى به نَفَس اللحد

كأن على مصر ظلاما معلقا

بآخر من خابي المقادير مربد

قصدت من إيراد هذه الأبيات، والأبيات التى أسلفت، أن أشير إلى ما أجملته آنفاً من خصائص هذا الشعر،فالحركة النفسية،والصورة،والانطباعات الذهنية،ورسم المشاهد التى تتجاوب معها نفس الشاعر تجاوباً صادقاً عميقاً. كل أولئك يتجلى للقارئ في وضوح وبروز. وهو حينما يتداعى من معانى الظلمة إلى معانى النور، يشرق في نفسه الأمل ويضطرب بين جوانحه الرجاء، وقد ودع كآبة الليل ووحشته، واستقبل النور في أحلامه ومباهجه.

طابت بك الأيام وافرحتاه

أنت الأماني والغنى والحياة

فليـــذهب الليـــل غفرنـــا لـــه

ما دام هـــذا الـصبح عقـــبى دجـــاه

وهناك ظاهرة تسيطر علي هذا الشعر من ألفه إلى يائه، تلك هى أنك لا تستطيع أن تلمح فيه ظلا لشاعر غير الدكتور ناجى، فهو بذاتيته وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته، ونوازع شعوره، لافى شعر الحب فحسب، بل أيضاً في المناسبات والمداعبات، ومن ذلك هذه الأبيات الطريفة التى يهجو فيها شاعراً:

أيها الحى وماضَـــرَّ الـــورى لـــو كنـــت متـــا

أو شـــعر ذاك لا بـــل حجـــر نحـــت نحتـــا

تلقـــم النـــاس وتـــرميهم بـــه فوقـــاً وتحتـــا

صحت من يأسى لما بركيـــك الـــشعر صـــحتا

آه يا قاتـــل يـــا ســـفاك حـــتى أنـــت حـــتى

وقد بلغ صاحب الديوان القمة في ملحمته (الأطلال) وهى كما يقول، قصة حب لاثنين صار أحدهما أطلال جسد والثانى أطلال روح.

يـــا غرامـــا كـــان مـــنى في دمـــى

قـــدراً كـــالموت أو في طعمـــه

ماقـــضينا ســـاعة في عرســـه

وقـــضينا العمـــر في مأتمـــه

مــا انتزاعـــى دمعـــة مــــن عينــــه
واغتـــــصابى بــــسمة مــــن فمــــه
ليـــت شـــعرى أيـــن منــــه مهــــربى
أيـــن يمــــضى هــــارب مــــن دمــــه

هذه العاطفة المحتدمة المتأججة تنبض في كل ما يصادف قارئ الديوان من قصائده ومقطوعاته، بغض النظر عن الموضوع، فهو شاعر لايكتب إلا ما يتحرك له حسه، ويفيض به خاطره، فالشعر عنده عاطفة نارية، تتشكل في الأسلوب الذى يلائمها، والقالب الذى يتساوق معها .. ومن هنا أخذ بعضهم على الدكتور ناجى، أنه ينحرف في أسلوبه عن جادة الأسلوب العربى الصحيح، من حيث إحلال الألفاظ في غير معانيها.

وهو مأخذ مردود. فاللفظ الواحد عند الشاعر، يدور على أكثر من معنى .. والشاعر مسوق بعاطفته نحو موضوعه، وهى التى تلون أساليبه، ولها من قوتها الحارقة ما تستطيع بها أن تسم الألفاظ بأبعد معانيها. ولغة الشعر، غير لغة القاموس والشاعر يتأثر وينفعل، ثم يعمد إلى تصوير مرئياته في حرية لا تتاح لغيره، لأنه ينقل عن ذات نفسه ما يتخلق فيها من معان مجنحة، بعيدة على حد تصوير الشعر، فيختار لها ألفاظاً لا يقرها القاموس، ولا يستسيغها قلم الكاتب، وذلك هو مفترق الطريق بين الشاعر الذى يستشرف إلى الآفاق الجديدة، وبين الشاعر الذى لا يجرى إلا في غبار القدامى ...

وهكذا كانت المدرسة الحديثة في الشعر، جديرة بأن تثير حولها هذه الصيحات العالية التى أشفقنا على شعرائنا المجددين منها، ثم تخففنا من هذا الإشفاق شيئاً فشيئاً حينما وجدناهم يواصلون الزحف نحو أهدافهم، حتى بلغوها، وأخذوا يوقعون على قيثاراتهم أجمل الألحان وأبدعها ...

وإننى لأحب هذا الشاعر كل الحب، ولا أعتقد أن حبى طغى على تقديرى، فهو شاعر رقيق، رشيق، أنيق، تصل معانيه إلى قلبك، قبل أن تصل ألفاظه في طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وجودة المقطع، وطالما سمعته شاعراً في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة إلى الجزالة، والطلاوة إلى الفحولة والضخامة، فهو لا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول إلى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتقعر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتدم به، لكانت قصائده نعم الإدام لطالبى الأدب، والثقافة، والذوق العربى السليم، ولقد وضعت ديوانه بين يدى دهرا، لأتمثل ببعض قصائده، فكنت أقرؤها معجباً (مترنماً)، وقد أكبر بعضها، فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التى أراها تتخلل شعره، وتأخذ بلب القارئ وتفتنه، وتسحر فكره سحراً. فكان يقع اختيارى على إحدى قصائده معتقداً

أنها أجمل ما في الديوان، ثم أتلو غيرها، فأقول «بل هذه» ثم أمضى في القراءة فأقول «بل هذه»، وهكذا مررت بالديوان بل مر بي و لم أنته.

والشعر، سحر وفتنة، وقد افتتنت به، وفيه خيال، وفي الخيال تسلية ولذة، وهو موسيقي، وفي الموسيقى طرب، وترويح وبهجة، وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولي على الشعور، وتمتلك الوجدان.

وأعتقد أن الذى لا يهتز لجيد الشعر، جاهل أو بليد،أما الجاهل، فلا شأن لنا به، وأما البليد فله عذره، لأنه لم يخلق نفسه على ألا يلوم غيره، وويل للشجى من الخلى.

وقديماً كان الشاعر، يضرم حربا عواناً، يثير عجاجها، ويروى لهيبها، ومن أجل بيت من الشعر، كانت تدق الأعناق، أو تتصل الأرزاق، أو يزول الجرح ويقضى بالموت أو يؤذن بالفرح، وترى أثر الشعر في كتاب الأدب وتاريخ العرب، وقد رأيناه يزدهر ثم يخبو نوره، ويسمو ويروج، ثم تنفق سوقه، ولكن تألقه كان يصاحب دائماً يقظة العرب، وتساير نهضته نهضتهم، فتسيران دائماً جنباً إلي جنب، وقد آن لمصر أن تصغى لشعرائها وتشجعهم فيشجعوها، وتنصفهم فينصفوها، ويشحذوا همتها، ويقووا عزيمتها فتسرع خطاها إلي المجد، وتثبت إلى المكان اللائق بها تحت شمس الله المشرقة.

ولا يفوتنى قبل أن أختتم هذه الكلمة العاجلة، أن أشير إلى ما يؤكد ما ذهبت اليه من أن هذا الديوان الضخم الفخم (ليالى القاهرة) الذى يمثل

نهضة الشعر المعاصر وتطوره جديد في أخيلته ومعانيه وأساليبه، ذلك أن سمة الشاعر الجديد عندى، هو ما يثير في نفسى عند قراءته إحساساً خاصاً، يجعلنى أجول معه في أودية سحيقة من صنع مواهبه وحدها ثم يظل معى، يسمعنى همهمة قلبه، وحديث عقله في موضوعات النفس والحياة، حتى يخيل إلى أن كل صلة لى، بأى شاعر سواه قد انقطعت.

وقد كان هذا شأنى مع صاحب (ليالى القاهرة) فهو شاعر نسيج وحده، في معارضه الفنية ولوحاته الملهمة، التى يطالعها القارئ في (ليالى القاهرة) و (الأطلال) و (السراب) وغيرها من دعاباته ووطنياته ومراثيه.

وسيقتنع القارئ بما اقتنعت به من أن هذا الديوان، نبت طيب، أخرج عطاءه واستوى على سوقه، وقد كانت أزهاره ورياحينه تنقص روضة الشعر الحديث لتنفحها بأريجها الفريد، ولونها الزاهى الجديد.

ليـــــالـــــي القـــــاهـــرة

"كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع قتام في النفوس وحلوكة تجثم على الصدور، وقد مرت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والإيقاع"

١

فـــــــي الظـــــــلام

أليلاىَ ما أبقى الهوى فيَّ من رشدِ
فردِّي على المشتاق مهجتَـه ردّي
أيُنسى تلاقينـا وأنـت حزينـةٌ
ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ
أقول وقد وسّدتُه راحـتي كمـا
توسَّدَ طفلٌ متعب راحةَ المهـدِ ..
تعاليْ إلى صدرٍ رحيـب وسـاعدٍ
حبيب وركنٍ في الهوىِ غير منهـد
بنفسيَ هذا الشعر والخُصَل الـتي
تهاوت على نحرٍ من العاج مُنقـدِّ

ترامتْ كما شاءت وشاء لها الهوى

تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خــــد

وتلك الكروم الدانيات لقــــاطفٍ

بياضُ الأماني من عناقيدها الرّبْــــدِ

فيالك عندي مـــن ظـــلامٍ محبــــب

تألق فيه الفرق كـــالزمنِ الرغــــدِ

ألا كلُّ حسن في البريـــةِ خـــادمٌ

لسلطانة العينين والجيــــدِ والقــــدِّ

وكلُّ جمـــالٍ في الوجـــود حيالَــــه

به ذلةُ الـــشاكي ومرحمـــةُ العبــــدِ

وما راع قلبي منـــكِ إلا فراشـــة

من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوردِ

مجنحةٌ صيغتْ من النور والنـــدى

ترفُّ على روضٍ وتهفـــو إلى وردِ

بها مثل مـــابي يـــاحبيبي وســـيدي

من الشجن القتّال والظمأ المـــردي

لقد أَقفر المحـــرابُ مـــن صـــلواته

فليس به من شاعرٍ ساهرٍ بعــــدي

وقفنا وقد حانَ النوى أيَّ موقـــفٍ
نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجـــدي
كأن طيوف الرعبِ والبينُ موشكٌ
ومزدحَم الآلامِ والوجدِ في حـــشدِ
ومضطرمَ الأنفاسِ والضيقُ جـــاثمٌ
ومشتبكَ النجوى ومعتنقَ الأيدي:
مواكب خُرس في جحـــيم مؤبـــدٍ
بغير رجـــاء في ســـلام ولا بَـــرد
فيا أيكةً مدَّ الهـــوى مـــن ظلالهـــا
ربيعاً على قلبي وروضاً من السعدِ
تقلصتِ إلا طيـــفَ حـــب محيَّـــرٍ
على درجٍ خابي الجوانب مـــسودِّ
تردد واســـتأني لوعـــد وموثـــقٍ
وأدبر مخنوقًا وقد غُـــصَّ بالوعـــدِ
وأسلمني للَّيـــل كـــالقبر بـــاردا
يهب على وجهي به نَفَس اللحـــد
وأسلمني للكون كالوحش راقـــدا
تمزقني أنيابُه في الـــدجى وحـــدي

كأنَّ على مــصرٍ ظلامــاً معلقــاً
بآخَرَ من خــابي المقــاديرِ مربــدِّ
ركود وإبهام وصــمتٌ ووحــشة
وقد لفّها الغيبُ المحجَّبُ في بُــرد
أهذا الربيعُ الفخم والجنــة الــتي
أكاد بها أســتافُ رائحــةَ الخلــدِ
تصير إذا جــنَّ الظــلامُ ولفهــا
بجنحٍ من الأحلام والصمت ممتــدِّ
مبــاءةَ خمّــارٍ وحــانوتَ بــائعٍ
شقى الأماني يشتري الرزقَ بالسهدِ
وقدْ وقفَ المصباح وقفةَ حــارس
رقيب على الأسرارِ داعٍ إلى الجــدِّ
كــأن تقيــا غارقــاً في عبــادةٍ
يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فياحارَس الأخلاق في الحيّ نــائمٌ
قضى يومه في حومة البؤسِ يستجدي
وسادَتُه الأحجارُ والمضجعُ الثــري
ويفترش الإفريزَ في الحــرِّ والــبردِ

وســـيارة تمــضي لأمـــر محجـــب

محجبة الأســـتار خافيـــة القـــصدِ

إلى الهدفِ المجهول تنتهبُ الـــدجى

وتومضُ ومضَ البرقِ يلمع عن بُعدِ

متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ

مرنقة بـــالجوعِ والـــصبرِ والكـــدِّ

ينقبُ كلـــبٌ في الحطـــام وربمـــا

رعى الليلَ هرٌّ ساهرٌ وغفا الجندي

أيا مصر ما فيك العـــشيةَ ســـامرٌ

ولا فيك من مصغٍ لشاعرِكِ الفرد

أهاجرتي، طالَ النوى فارحمي الذي

تركتِ بديدَ الشمل منتثرِ العقـــد

فقدتُكِ فقـــدانَ الربيـــع وطيبـــه

وعدتُ إلى الإعياءِ والسقمِ والوجدِ

وليس الذي ضيعتُ فيـــك بهـــيِّنٍ

ولا أنتِ في الغُيَّابِ هينـــةُ الفقـــدِ

* * *

بعينيك أستهدي فكيف تــركتِني

بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي

بوِردك أستسقي فكيــف تــركتِني

لهذي الفيافي الصمِّ والكُثُبِ الجُردِ

بحبك أَستشفى فكيــف تــوكتِني

ولم يبقَ غيرُ العظمِ والروح والجلد

وهذي المنايا الحمرُ ترقص فى دمي

وهذي المنايا البيضُ تختالُ في فَوْدي

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملي

فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ

وكنتُ إذا انهــارَ البنــاءُ رفعتــه

فلم تكن الأيامُ تقوَى على هَــدى

وكنت إذا ناديتُ لبيتِ صــرختي

فوا أسفاً كَمْ بيننا اليومَ من ســدِّ

سلاٌم على عينيــك مــاذا أجَّنتــا

من اللطف والتحنان والعطف والود

إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرع

فمنك الذي يُحيى ومنكِ الذي يُردي

إذا جُرِّدَا لم يفتكــا عــن تعمــدٍ

وإن أُغمدا فالفتك أروعُ في الغمدِ

هنيئاً بقلبي ما صـــنعتِ ومرحبـــا
وأهلا به إن كان فتكك عن عمــدِ
فإني إذا جـــنَّ الظـــلامُ وعـــادني
هواكِ فأبديتُ الذي لم أكـــن أبـــدي
وملتُ برأسي كابيـــا أو مواســـيا
وعندي من الأشجانِ والشوقِ ما عندي
أُقبِّـــلُ في قلـــبي مكانـــاً حللتـــه
وجرحاً أناجيه على القرب والبعــدِ
ويادارَ من أهـــوَى عليـــكِ تحيـــة
على أكرم الذكرى على أشرفِ العهدِ
على الأمسياتِ الساحراتِ ومجلس
كريم الهوى عف المــآرب والقـــصدِ
تنادمنـــا فيـــه تبـــاريح معـــشر
على الدمِ والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخرُ منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الـــصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تعـــذبوا
فإن دموع البؤسِ من ثمـــن المجـــدِ ..

٢

أنـــــــــــوار

طابتْ بـــكِ الأيـــام وافرحتـــاه

أنتِ الأمـــاني والغـــنى والحيـــاه

فليـــذهب الليـــلُ غفرنـــا لـــه

مادام هذا الصبحُ عقـــبى دجـــاه

يا من غَفَتْ والفجر من دارهـــا

شعشعَ في الآفـــاق أبهـــى ســـناه

قد طرقَ البابَ فـــتى متعـــبٌ

طال به الـــسير وكلّـــت خطـــاه

نقّـــل في الأيـــام أقدامَـــه

يبغـــي خيـــالاً مـــاثلا في منـــاه

عندك قد حـــطّ رحـــال المـــنى

وفي حِمَى حسنك ألقَـــى عـــصاه

كم هدأ الليـــل وران الكـــرى

إلا أخـــا ســـهدٍ يغنّـــى شـــجاه

ناداك من أقصى الربى فــاسمعي

لمن علــى طــول الليــالي نــداه

نادى أليفاً نــامَ عــن شــجوه

عـــذبٌ تجنيـــه عزيـــزٌ أنـــاه

أحبَّــكِ الحـــبَّ وغنَّـــى بـــه

عفَّ الأمـــاني والهـــوى والـــشفاه

وإنما الحـــبُّ حـــديثُ العلـــى

أنشودةُ الخلدِ ونحـــن الـــرواه ..

٣

أحـــلام ســـوداء

ربَّ ليل قد صفا الأُفْقُ به
وبما قد أبدع اللهُ ازدهرْ
وسرى فيه نسيمٌ عَبِقٌ
فكأن الليلَ بستَانٌ عطرْ
قلتُ: يارب جمَّلتَه
ولمن هذي الثريـاتُ الغُررْ..؟
فعرَا الأُفْقَ قتامٌ وبَدَتْ
سحب تحبو إلى وجه القمرْ
كلما تقربُ تمتدُّ له
كأكفٍّ شرهات تنتظرْ
صحتُ بالبدر: تنبهْ للنُّذُرْ
أدركِ الهالةَ حفّتْ بالخطرْ
لاتُبِحْ مائدةَ النور لهم
لا تبحها لسوادٍ معتكرْ
قهقه الرعد ودوَّي ساخراً
فكأن الرعدَ عربيدٌ سكرْ

قمت مذعوراً وهمّتْ قبضتي ...
ثم مُــدَّتْ، ثم رُدَّتْ مــن خَــوَرْ

لهف القلب علــى الحُــسن إذا
قهقه الغربــانُ والــذئبُ ســخِرْ

تحتمي الــوردةُ بالــشوكِ فــإن
كثــرَ القطّــاف لم تُغْــنِ الإبــرْ

آهِ من غــصن غــنيٍّ بــالجنَى
ومِــن الطامــــع في ذاك الثمْــر

آهِ من شكٍّ ومن حــب ومــن
هاجــساتٍ وظنــونٍ وحــذرْ

كست الأُفْقَ ســوادا لم يكــن
غير غــيم جــاثم فــوق الفِكَــرِ

طالمــا قلــتُ لقلــبي كلمــا
أنَّ في جــنبي أنــينَ المحتَــضَرْ

إن تكن خانتْ وعَقّــتْ حبنــا
فأضِــفْها للجراحــاتِ الأخــرْ

٤

الميعـــــاد الضـــائـــــع

«في ليلة من ليالى القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره، ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها، فتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يا من طواها الليـــلُ في بَيْدائـــه
روحاً مفزعـــةً علـــى ظلمائـــه
تتلفـــــــتينَ إلى في أنحائـــــــه
لهف الفؤاد على الشريد التائـــه
إن تظمئى لىَ كم ظمئتُ إليـــكِ
جمـــع الوفَـــاءُ شـــقيةً وشـــقيًا
يا منيتي قست الحيـــاة عليـــكِ
وجرتْ مقادرها الجِـــسام عليًّـــا
أسفاً عليك وأنتِ روحٌ حـــائرٌ
والكون أسرارٌ يضيق بها الحجى
تجتاز عـــابرةٌ ويـــسرعُ عـــابرُ
وتمر أشباحٌ يواريهـــا الـــدجى

في وجنتيـــكِ تـــوهجٌ وضـــرامُ
وبمقلتيـــكِ مـــدامعٌ وذهـــولُ
وكـــذا تمـــرُّ بمثلـــك الأيـــامُ
مجهولـــةً وعـــذابها مجهـــولُ
ولّيْتِ قبل لقائنـــا يـــا جـــنتي
لم تظفرى منى بقـــولٍ مـــسعدِ
وكعادة الحظ الشقيِّ وعـــادتى
أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ
تتعاقب الأقدار وهـــى مـــسيئةٌ
كم عقَّنَـــا ليـــلٌ وخـــانَ نهـــارُ
وكأنما هـــذا الفـــضاءُ خطيئـــةٌ
وكأن همسَ نـــسيمِه اســـتغفارُ
وكأنه أحـــزانُ قـــومٍ ســـاروا
هذى مـــآتمهم وثَـــمَّ ظلالُهَـــا
عفتِ القصور وظلت الأســـوارُ
كمناحـــة جمـــدت وذا تمثالُهـــا
ران السواد على وجوه الـــدور
وســـرى إلىّ نحيبـــها والأدمـــعُ
وكـــأننى في شـــاطئ مهجـــورِ
قد فارقتْـــه ســـفينةٌ لا ترجـــعُ

حملتْ لنا أملاً فلمـــا وَدَّعَـــتْ
لم يبق بعـــد رحيلـــها للنـــاظرِ
إلا خيالُ سعادةٍ قـــد أقلعـــتْ
ووداعُ أحبابٍ ودمـــعُ مـــسافرِ

٥

اثنـــان فـــي ســـيارة

العمرُ أكثـــره ســـدى وأقلُّـــه
صـــفو يتـــاح كأنـــه عمـــرانِ
كم لحظةٍ قصرتْ ومدت ظلَّهـــا
بعد الذهاب كدوحةِ البـــستان
ويمر في الذكرى خيالُ شـــبابها
فكـــأن يقظتَهـــا شـــبابٌ ثـــانِ
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجـــانبي
كفـــاه في كفـــيَّ هاجعتـــان
لكأننا والأرضُ تُطـــوى تحتنـــا
نجمـــانِ في الظلمـــاء منفـــردانِ
لكأننا والـــريحُ دون مـــسارنا
خطّـــانِ في الأقـــدار منطلقـــانِ
إني التفتُّ إلى مكانـــك بعـــدما
خليته فبكيـــتُ ســـوءَ مكـــاني

هل كان ذاك القربُ إلا لوعــةً
ونـــداءَ مـــسغبةٍ إلى حرمـــانِ
حُمَّى مقـــدرة علـــى الإنـــسانِ
تبقى بقاءَ الأرض في الـــدورانِ
وكأنما هـــذى الحيـــاةُ بناســـها
وضجيجِها ضربٌ من الهـــذيانِ

٦

لقـــاء فـــي الليـــــل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالــت تعـــال فقلــت لبيــكِ ... هيهات أعــصي أمــرَ عينيــكِ
أنـــا ياحبيبــة طــائر الأيــك ... لم لا أغــــنى فى ذراعيــــك..
أفديكِ مقبلــةً علــى جــزع ... بــسطت إليّ يمــينَ مرتجــفِ
وبهـــا ارتعاشـــةُ طــائرٍ فــزع ... من قلبها تــسرى إلى كتفــي..

شحبت كلون المغرب البـــاكى
وتألقـــت كـــالنجم عيناهـــا
فتلفتـــتْ كحبــيس أشـــراكِ
وحكى اضطرابَ الموج مُـــداها
قلتُ اهدئى لِـــمَ ثـــورةُ النـــدمِ
كفّـــاكِ ترَتجفـــان يـــا أملـــي
وأخذتُ أُدْفِئ بردهـــا بفمـــى
لـــو تـــنفعنّ حـــرارةُ القُبـــلِ

وجذبتـــها بـــذراعها نمـــشي

نمشي وما نـــدرى لنـــا غرضَـــا

إلفان قـــد فـــرَّا مـــن العـــشِّ

يتبـــادلان ســـعادةً ورضَـــا

يـــا لحظـــةً ماكـــان أســـعدها وهنـــاءةً ماكـــان أعظمهـــا

مر الغريـــبُ فباعـــدت يـــدَها وخلا الطريـــقُ فقربـــتْ فمَهـــا

مرت بنـــا ســـيارة ومـــضتْ فـــضاحة خطافـــة النـــور

كشفت لعينيْنا وقـــد ومـــضتْ

ظلـــين مقتـــبعين في الـــسورِ

ضحكتْ لظلينا وقـــد عجبـــتْ

ممـــا يخـــالُ فـــؤادُ مـــذعورِ

وكأن ضحكتَها وقد طربـــتْ

قطـــراتُ مـــاءٍ فـــوق بلـــورِ

عوذتُهـــا مـــن شـــر أمـــسيةٍ

تعيـــا بهـــا وتـــضلُّ أبـــصارُ

وكواكـــبٌ ليـــست بمجديـــةٍ

ظلـــمٌ مكدســـة وأحجـــارُ

عثـــرتْ بهـــا فرفعتُهـــا بيـــدى

جسماً يكاد يـــشفُّ في الظُلَـــمِ

ويرفُّ مثل الزهر وهو نَـــدِى

ويخفُّ مثـــل عـــرائس الحلـــمِ

وكـــأننى مـــا يـــسوء خَلِـــى

وحيـــاتىَ انجابـــتْ حوالكهَـــا

أرمى الطريقَ بنـــاظرىْ رجـــلٍ

وأنـــا لهـــا طفـــلٌ أضـــاحكُهَا

مَلّكْتُها الـــدنيا بمـــا وســـعتْ

وأنـــا أهامـــسُهَا بأســـرارى

وأُســـرُّها بحكايـــة وقعـــتْ

ورواية مـــن نـــسجِ أفكـــارى

وإذا الطريـــقُ يـــسير منعطفَـــاً

وإذا ريـــاحٌ تـــضرب الـــسدفَا

وكـــأن منـــها منـــذراً هتفَـــا

بلـــغ المســـيـــرُ نـــهايـــةً، فقفا

يا توأما مــن صــدرىَ انتُزِعَــا

يامن دعــا قلــبى لــه فــسعَى

لم أيها الــداعى هــواكَ دعَــا

والــدهر يــأبى أن نظــل معــا

انظــرْ ذراعــىَّ اللــذيْنِ همــا

قــد طوقــاكَ مخافــةَ الــبينِ

أقــسمْ بأنــك عائــدٌ لهمــا

إنى لممـــــدودُ الـــــذراعين

٧

ختـــــام الليالى

الليالى! يا مـــا أمـــرَّ الليـــالى
غيبتْ وجهكَ الجميـــلَ الحبيبَـــا
أنت قاسٍ معـــذبٌ ليـــت أنى
أســـتطيع الهجـــرانَ والتعـــذيبَا
إن حبى إليك بالصفح ســـباقٌ
وقلـــبي إليـــك مهمـــا أصـــيبَا
يا حبيبى كان اللقـــاءُ غريبـــاً
وافترقنـــا فبـــات كـــلٌّ غريبَـــا
غير أنى أســـتنجدُ الـــدمع لا
ألقى مكان الـــدموع إلا لهيبَـــا
آه لو ترجع الـــدموعُ لعـــينى
جفَّ دمعى فلستُ أبكى حبيبَـــا

الأطـــــــــــــــــلال

«هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت»

يا فــؤادي رحـــمَ اللهُ الهـــوى
كان صرحاً من خيـــالٍ فهـــوَى
اسقني واشربْ علـــى أطلالـــه
وارو عنيٍّ طالمـــا الـــدمعُ روَى
كيف ذاك الحبُّ أمسَى خـــبرا
وحديثاً من أحاديـــث الجـــوَى
وبـــساطاً مـــن نـــدامي حُلُـــمٍ
هم تواروا أبداً وَهْوَ انطـــوَى ..

*　　*　　*

يا رياحاً ليس يهـــدَا عـــصفُها
نضبَ الزيتُ ومصباحي انطَفـــا
وأنا أقتـــات مـــن وهـــمٍ عَفَـــا
وأفِي العمرَ لنـــاسٍ مـــا وفَـــى

كم تقلبتُ على جمره

لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا

وإذا القلبُ على غفرانه

كلما غارَ بِه النصلُ عفَا

* * *

ياغراماً كان منى فى دمى	قدراً كالموت أو فى طعمِه
ماقضينا ساعةً فى عرسه	وقضينا العمر فى مأتمِه
ماانتزاعى دمعة من عينة	واغتصابى بسمة من فمِه
ليت شعرى أين منه مهربى	أين يمضى هاربٌ من دمِه

لست أنساك وقد أغريتني

بفمٍ عذب المناداة رقيقْ

ويدٍ تمتد نحوى كيدٍ

من خلال الموج مُدَّتْ لغريقْ

آه يا قِبلةَ أقدامي إذا

شكت الأقدام أشواك الطريقْ

وبريقاً يظمأ الساري له

أين في عينيك ذياك البريقْ

* * *

لست أنســاك وقــد أغــريتني

بالذرى الشم فأدمنتُ الطمــوحْ

أنــت روحٌ في سمــائي وأنــا

لك أعلو فكــأني محــضُ روحْ

يالهــا مــن قمــمٍ كنّــا بهــا

نتلاقــى وبــسرّيْنا نبــوْح

نستشف الغيبَ مــن أبراجهــا

ونرى الناس ظلالاً في الــسفوح

*　　*　　*

أنتِ حُسن في ضــحاه لم يــزل

وأنا عنــديَ أحــزانُ الطَفَــلْ

وبقايا الظل من ركــب رحــلْ

وخيوط النور من نجــمٍ أَفَــلْ ..

ألمــح الــدنيا بعــينيْ سـئمٍ

وأرى حــوليَ أشــباحَ الملــلْ

راقصاتٍ فوق أشــلاء الهــوى

معولاتٍ فوق أجــداث الأمــلْ

*　　*　　*

ذهب العمـــر هبـــاءً فـــاذهبي

لم يكـــن وعـــدُكِ إلا شـــبحَا

صفحة قد ذهـــب الـــدهر بهـــا

أثبـــتَ الحـــبُّ عليهـــا ومحَـــا

انظري ضحْكي ورقصي فَرحَا

وأنـــا أحمـــلُ قلبـــا ذُبحَـــا

ويراني النـــاس روحـــاً طـــائرا

والجوى يطحنني طحنَ الرحَـــى!

* * *

كنـــت تمثـــالَ خيـــالي فهـــوى

المقـــــادير أرادت لا يـــــدى

ويحها لم تـــدرِ مـــاذا حطمـــتْ

حطمتْ تاجي وهدتْ معبـــدِي

يـــا حيـــاةَ اليـــائِس المنفـــردِ

يـــا يبابـــاً مابـــه مـــن أحـــدِ

يـــا قفـــاراً لا فحـــات مابهـــا

من نجيٍّ .. يا سكونَ الأبـــدِ ..

* * *

أين من عــيني حبيــب ســاحر

فيــه نبــل وجــلال وحيــاءْ

واثقُ الخطــوة يمــشي مَلَكــاً

ظالُم الحــسنِ شــهيُّ الكبريــاءْ

عَبِقُ السحرِ كأنفــاس الــربى

ساهمُ الطرف كــأحلامِ المــساءْ

مــشرقُ الطلعــة في منطقــه

لغــةُ النــور وتعــبيرُ الــسماء

* * *

أين مــني مجلــس أنــتِ بــه

فتنَــةٌ تــــمَّتْ ســناءً وســنى

وأنــا حــــب وقلــــب ودمٌ

وفَــراش حــائر منــك دنــا

ومن الــشوق رســول بيننــا

ونديمٌ قــدَّمَ الكــأسَ لنــا ...

وســـــقانا. فانتفـــضنا لحظـــةً

لغبــــارٍ آدمــــي مَــــسَّنا!

*   *   *

قد عرفنا صولة الجـــسم الـــتي

تحكم الحيَّ وتطغَـــى في دمـــاه

وسمعنـــا صـــرخةً في رعـــدها

سوطُ جـــلادٍ وتعـــذيبُ إلَـــه

أمرتنـــا فعـــصينا أمرهـــا

وأبيْنا الذلَّ أن يغـــشَى الجبـــاه

حكم الطاغي فكنَّا في العـــصاه

وطُردنا خلفَ أســـوارِ الحيـــاه

*   *   *

يا لمنفـــيين ضـــلاًّ في الوعـــودِ

دميا بالشوكِ فيها والصخورِ ..

كلمـــا تقـــسو الليـــالي عرفَـــا

روعةَ الآلام في المنفى الطَهورِ ..

طرِدا من ذلك الحلْـــمِ الكـــبيرِ

للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرِ

يقبسانِ النورَ مـــن روحيهمـــا

كلما قد ضـــنَّت الـــدنيا بنـــورِ

* * *

أنت قد صيرت أمـــري عجَبـــا

كثرتْ حـــوليَ أطيـــارُ الـــرُّبَى

فـــإذا قلـــتُ لقلـــبي ســـاعة

قم نغردْ لـــسوى ليلـــى أبَـــي

حجـــبٌ تـــأبى لعـــيني مأربـــا

غـــير عينيـــك ولا مطلبَـــا

أنتِ مـــن أســـدلها لا تـــدَّعِي

أنني أســـدلتُ هـــذي الحُجُبَـــا

* * *

ولكم صاح بي اليأسُ انتزعهـــا

فيرد القـــدُر الـــساخر: دعهـــا

ياها مــــن خطــة عميــاء لــو

أنـــني أبـــصر شـــيئاً لم أطعهـــا

ولــــــيَ الويـــل إذا لبيتـــها

ولــــــيَ الويـــل إذا لم أتبعهـــا

قد حَنَتْ رأسي ولو كلٌّ القوى

تشتري عـــزةَ نفـــسي لم أبعهـــا

*　*　*

يـــا حبيبـــاً زرت يومـــاً أيكـــه

طـــائر الـــشوق أغـــني ألمـــي

لـــك إبطـــاء الـــدلالِ المـــنعمِ

وتجـــني القـــادرِ المحـــتكمِ

وحنيني لك يكـــوى أعظمـــي

والشـــواني جمـــرات في دمـــي

وأنـــا مرتقـــب في موضـــعي

مُرْهِفُ الـــسمعِ لوقـــعِ القـــدمِ

*　*　*

قـــدمٌ تخطـــو وقلـــبي مـــشبهٌ
موجـــة تخطـــو إلى شـــاطئها
أيهـــا الظـــالمُ بـــالله إلى كَـــمْ
أسفحِ الـــدمعَ علـــى موطئهـــا
رحمةٌ أنـــتَ فهـــل مـــن رحمـــةٍ
لغريـــبِ الـــروحِ أوظامئهـــا
يا شفاءَ الروح روحي تـــشتكي
ظلـــمَ آســـيها إلى بارئهـــا ..

* * *

أعطني حـــريتي أطلـــق يـــديّ
إنني أعطيتُ ما استبقيتُ شـــيّ
آهِ من قيدك أدمَـــى معـــصمي
لمَ أبقيـــه ومـــا أبقـــى علـــيّ
ما احتفاظي بعهـــودٍ لم تـــصنها
وإلامَ الأســـرُ والـــدنيا لـــديّ
ها أنا جَفّتْ دموعي فاعفُ عنها
إنهـــا قبلـــك لم تُبـــذَلْ لحـــيّ

* * *

وَهَب الطائرَ عن عشك طـــارا

جَفّتِ الغدرانُ والــثلجُ أغـــارا

هذه الـــدنيا قلـــوب جَمَـــدت

خبت الشعلةُ والجمـــر تـــوارى

وإذا مـــاقبسُ القلـــبِ غـــدًا

من رمادٍ لا تسله كيف صـــارا

لا تسلْ واذكرْ عذابَ المصطلى

وهو يذكيه فـــلا يقـــبسُ نـــارا

* * *

لارعـــى اللّـــه مـــساءًا قاســـيا

قد أراني كل أحلامـــي سُـــدَى

وأرانى قلـــب مـــن أعبـــده ساخراً من مدمعى سُخْرَ العِـــدَا

ليت شعرى أيُ أحداث جرتْ أنزلت روحَكَ ســـجناً موصـــدًا

صدئتْ روحُـــك فى غيهبـــها وكذا الأرواحُ يعلوهـــا الـــصدَا

* * *

قد رأيتُ الكونَ قـبرا ضـيقا
خيم اليأسُ عليـه والـسكوتْ
ورأتْ عيني أكاذيـبَ الهـوى
واهياتٍ كخيـوط العنكبـوتْ
كنت ترثـى لي وتـدري ألمـي
لو رثي للدمع تمثـالٌ صـموتْ
عنـد أقـدامِكَ دنيـا تنتـهي
وعلـى بابـك آمـالٌ تمـوتْ
* * *
كنت تـدعوَنيَ طفـلا كلمـا
ثـار حـبي وتنـدَّتْ مُقلـي
ولك الحق لقد عـاش الهـوى
فيَّ طفـلاً ونمـا لم يعقـلِ
وأرى الطعنـةَ إذ صـوبتَها
فمـشتْ مجنونـة للمقتـلِ
رمَتِ الطفـلَ فأدمـتْ قلبَـه
وأصـابت كبريـاءَ الرجـلِ
* * *

قلت للنفس وقد جُزْنا الوصيدا
عَجِّلِى لا ينفع الحـــزمُ وئيـــدا
ودعى الهيكـــلَ شــبَّتْ نــاره
تأكل الركّعَ فيـــه والـــسجودا
يتمنّـــــى لي وفـــائي عــــودةً
والهوى المجروح يأبَى أن نعـــودا
لِيَ نحو اللـــهبِ الـــذاكي بـــه
لفتةُ العـــود إذا صـــارَ وقـــودا

* * *

لـــــست أنـــــسى أبـــــدا ســـــــاعة فى العُمُـــــــرِ
تحـــــت ريـــــح صـــــفّقَتْ لارتقـــــاص المطـــــر
نوّحـــــــت للـــــــذكرِ وشـــــــكت للقمـــــر
وإذا مـــــا طربـــــتْ عربـــــدت فى الـــــشجرِ
هاك ما قد صبت الـــريح بـــأُذن الـــشاعرِ
وَهْـــيَ تغري القلبَ إغراءَ النصيحِ الفاجـــرِ

أيهـــا الـــشاعر تغفـــو

تـــذكر العهـــد وتـــصحو

واذا مـــا التـــامَ جـــرحٌ

جَـــدَّ بالتـــذكار جـــرحُ

فـــتعلمْ كيـــف تنـــسى وتعلـــمْ كيـــف تمحـــو

أو كـــــلُّ الحـــــب في رأيـــك غفـــرانٌ وصـــفحُ

هـــاك فـــانظرْ عـــددَ الرمـــل قلوبـــاً ونـــساءْ

فـــتخير مـــا تـــشاء ذهـــبَ العمـــر هبـــاءْ

ضـــلَّ في الأرض الـــذى ينـــشدُ أبنـــاءَ الـــسماء

أى روحانيـــة تُعـــصرُ مـــن طـــينٍ ومـــاءْ

أيهـــا الـــريح أجـــلْ لكنمـــا

هـــي حـــبى وتعـــلاتي ويأســـي

هي في الغيب لقلـــبي خُلِقَـــتْ

أشرقت لي قبل أن تشرق شمسى

وعلى موعدها أطبقـــتُ عـــيني

وعلى تذكارها وسدْتُ رأســـي

جنَّت الريحُ ونادته شـياطينُ الظـلام ..
أختاماً كيف يحلو لـك في البـدء الختـام
يا جريحـاً أسـلمَ الجـرحَ حبيبـاً نكـأه
هـو لا يبكـي إذا النـاعي بهـذا نبـأه
أيها الجبار هل تُصرعُ من أجل امـرأه ..
يالها مـن صـيحةٍ مـا بعثـتْ
عنـده غـير أَلـيمِ الـذكرِ
أرقـت في جنبـه فاسـتيقظتْ
كبقايـا خنجـرٍ منكـسرِ
لمـع النـهر ونـاداه لـه
فمـضى منحـدراً للنـهرِ
ناضب الزاد ومـا مـن سـفرٍ
دون زادٍ غـير هـذا الـسفرِ
* * *
يا حبيبي كـلُّ شـيء بقـضاء
مـا بأيـدينا خُلقنـا تعـساء

ربمـــا تجمعنـــا أقـــدارُنَا

ذات يوم بعــد مــاعزَّ اللقــاء

فــإذا أنكـــرَ خِــلٌّ خلــه

وتلاقينـــا لقـــاء الغربـــاء

ومـــضى كـــلٌّ إلى غايتـــه

لا تقل شئنَا وقل لي الحظّ شـــاء

* * *

يا مغنِّي الخلدِ ضـيعت العُمُـرْ

في أناشـيدَ تُغـنى للبـشرْ

ليس في الأحياء مَـن يـسمعنا

مالنـا لـسنا نغنِّـي للحجـرْ

للجمادات التي ليـستْ تعـي

والرميماتِ البـوالي في الحُفـرْ

غنّها .. سوفَ تراها انتفـضتْ

ترحم الشادي وتبكـي للـوترْ

* * *

يـــا نـــداءً كلمـــا أرســـلته
رُدَّ مقهـــوراً وبـــالحظّ ارتطـــمُ
وهتافـــاً مـــن أغاريـــدِ المـــنى
عـــاد لي وَهْـــوَ نـــواحٌ ونـــدمْ
رُبَّ تمثـــالِ جمـــالٍ وســـنا
لاح لي والعيشُ شـــجوٌ وظُلَـــمْ
ارتمـــى اللحـــن عليـــه جاثيـــا
ليس يدري أنه حُـــسْنٌ أصـــمّ

* * *

هـــدأ الليـــل ولا قلـــب لَـــه
أيها الـــساهرُ يـــدرى حيرتَـــكْ
أيها الـــشاعر خُـــذْ قيثارتـــك
غن أشجانك واسكبْ دمعتَـــكْ
رُبَّ لحن رقـــصَ الـــنجمُ لـــه
وغزا السُّحْبَ وبـــالنجم فَتَـــكْ
غنه حتى نـــرى سِـــتْر الـــدجى
طلع الفجـــرُ عليـــه فانتَهَـــكْ

* * *

وإذا مــــــازهرات ذُعـــــرتْ

ورأيتَ الرعبَ يغـــشى قلبَهَـــا

فترفـــقْ واتئـــدْ واعـــزف لهـــا

من رقيق اللحن وامسح رعبَهَـــا

ربما نامتْ على مهـــد الأســـى

وبكـــتْ مستـــصرخاتٍ ربَّهَـــا

أيها الشاعرُ كـــم مـــن زهـــرةٍ

عوقبتْ لم تـــدرِ يومـــاً ذنبَهَـــا

ذات مســـــاء

وانتحينـــا معـــا مكانًـــا قـــصيًّا

نتهادى الحـــديث أخـــذاً وردّا

سألتنى مللتَنَا أم تبدلتَ سوانا هـــوًى عنيفـــا ووَجْـــدَا

قلت هيهاتَ! كم لعينيكِ عنـــدى

من جميل كم بات يهدى ويُسدَى

أنا ما عشت أدفع الديْنَ شـــوقًا

وحنينًـــــا إلى حمـــاك وســـــهدًا

وقصيدا مجلجـــلا كـــلُّ بيـــتٍ

خلفه ألفِ عاصفٍ ليس يهـــدَا

ذاك عهدى لكنَّ قلبَكِ لم يقضِ ديون الهوى ولم يرعَ عهدَا

والوعودُ التى وعـــدتِ فـــؤادى

لا أرانى أعـــيش حـــتى تُـــؤدَّى

روايـــــــــــــة

نـــزل الـــستار ففـــيمَ تنتظـــرُ
خلَت الحيـــاةُ وأقفـــر العمـــرُ
لم يبـــــقَ إلا مقفـــــر تعـــسٌ
تعـــوى الـــذئاب بـــه وتـــأتمر
هو مـــسرح وانفـــض ملعبُـــه
لم يبـــــقَ لاعـــــينٌ ولا أثـــــرُ
وروايـــة رُوِيَـــتْ وموجزهـــا
صحبٌ مضوا وأحبـــةٌ هجـــروا
عبروا بها صوراً فمـــذ عـــبروا
ضحك الزمانُ وقهقـــه القـــدرُ

يأس على كأس

(١)

أصبحتُ من يأسى لو أن الردى
يهتف بى، صحت به هيَّا
هيا فما فى الأرض لى مطمح
ولا أرى لى بعدها شيَّا
ماذا بقائى هاهنا بعدما
نفضتُ منه اليومَ كفيَّا
أهرب من يأسى لكأسى التى
أدفن فيها أملى الحيَّا
يا أيها الهارب من جنتى
تعالَ أو هاتِ جناحيَّا
نبكى شبابينا ونبكى المنى
وترتمى بين ذراعيَّا

(٢)

إنى على يأسى وكأســـىَ كـــابى

وعلى سرابى عـــاكفٌ وشـــرابى

ولقد فرغتُ من التعلـــل بـــالمنى

إلا وميـــضاً فى الرمـــاد الخـــابى

رمقـــاً يعللـــنى بأنـــك عائـــد

يوما لقلبى قبـــل يـــوم ذهـــابى

حتى إذا الأقدار شئنَ وعدتَ لى

راجعتُ نفسى واتهمتُ صـــوابى

أأرى شروقَك فى أفول مغـــاربى

وأشمُّ عطرَكَ فى ذبول شـــبابى!

(٣)

هات اسقنى واشربْ على سر الأسى

وعلى بقايـــا مهجـــةٍ وشـــجاها

مهلا نديمى! كيف ينسى حبَّهَـــا

مَنْ ينشدُ السلوى على ذكراها

مازالت تسقيني لتنسيني الهـوى
حتى نسيتُ، فما ذكرتُ سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قـصة
هذا الحباب أعادهـا ورواهـا
الآن غَشَّاها الضبابُ وهـا أنـا
خلف المآسي والـدموع أراهـا
غالَ الزمـانُ ضـبابها وحبابهـا
وتبخـرتْ أحلامُهـا ورؤاهـا
أحببتها وطويت صفحتها وكـم
قرأ اللبيبُ صـحيفةً وطواهـا
تلك الوليدةُ لم تَطُـلْ بـشراها
لَمَّا تكدْ تطـأ الثـرى قـدماها
زفَّ الصباح إلى الرمال نـداءها
وسرى النسيمُ عـشيةً فنعاهـا

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاءْ   يا عُباب الهمومْ
لليلتي أنواءْ   ونهاري غيومْ

* * *

أعولي يا جراحْ   اسمعي الديّانْ
لا يهم الرياحْ   زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والثقوبْ   في صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ   وخيالُ الوَداعْ

* * *

اسخري يا حياهْ   قهقهي يا رعودْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يعودْ

* * *

الأماني غرورْ   في فم البركانْ
والدجى مخمورْ   والردى سكرانْ

* * *

راحـــــــتِ الأيـــــــامْ بابتـــــــسام الثغــــــــورْ
وتـــــــولى الظـــــــلامْ في عنـــــاق الــــــصخورْ

* * *

كـــــان رؤيـــا منـــــامْ طيفـــــك المـــــسحورْ
يـــــا ضــــفاف الـــــسلامْ تحـــــت عـــــرش النـــــورْ

* * *

اطحـــــني يـــــا ســـــنين مزقـــــي يـــــا حـــــرابْ
كـــــل بـــــرق يـــــبينْ ومـــــضه كـــــذابْ

* * *

اســـــخري يـــــا حيـــــاهْ قهقهـــــي يـــــا غيـــــوبْ
الــــــصبا لــــــن أراهْ والهـــــوى لـــــن يـــــؤوبْ

كـــــبريـــــــــاء

١

نداؤك يا فـؤاد كَفَـى نـداءَ
أما تنفـك تـسقيني الـشقاءَ

أنا ظمـآن لم يلمـع سـراب
على الصحراء إلا خلـتُ مـاء

وأنت فراش ليـل كـلّ نـور
تبعتَ وكلّ بـرق قـد أضـاءَ

فؤادى قـل لهـا لّمـا افترقنـا
على شجن وما نرجـو اللقـاء

حببتكِ ما شدوت إليك شـعرا
ولكنى اعتصرتُ لـكِ الـدماء

إذا أنا فى هواك أضعت روحـى
فلست أضيع فيك دمـى هبـاء

غرامك كان محـراب المـصلى
كأنى قد بلغتُ بـك الـسماء

خلعــتُ الآدميــة فيــه عــنى

ولكن ما خلعــتُ بــه الإبــاء

فلــم أركــع بــساحته ريــاءً

ولا كالعبـــــد ذلا وانحنـــــاء

ولكــنى حببتُــكِ حــبَّ حُــرٍّ

يموت متى أراد وكيــف شــاءَ

٢

وحبيــب كــان دنيــا أملــى — حبُّه المحــراب والكعبــة بيتُــه

من مشى يوما على الورد لــه — فطريقى كان شــوكا ومــشيتُهْ

مــن ســقى بمــاءٍ ظامئــا — فأنا من قــدح العمــر ســقيتُهْ

خفــق القلــب لــه مختلجــا — خفقةَ المصباح إذ ينضب زيتــهُ

قــد ســلانى فتنكــرتُ لــه — وطوى صفحةَ حــبى فطويتُــهْ

٣

أقبلتُ للنيــل المبــارك شــاكيا

زمنى وقد كثرتْ علىّ همــومى

ومسحتُ كفي والجـبين بمائـه

علّـي أهـدئ ثـورةَ المحمـومِ

وجلست أنثر جعبـة معمـورة

بالـذكرياتِ جديـدِها وقـديمِ

لهفي لحب مات غـير مـدنَّسٍ

وشباب عمر مـرّ غـير ذمـيمِ

خان الأحبة والرفاق ولم أخـنْ

عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ

أيخيفني العشبُ الضعيف أنا الذي

أسلمتُ للشوك الممضِّ أديمـي

وإذا ونى قلـبي يـدق مكانـه

شممي وتخفق كبريـاء همـومي

إني لأحمـل جعـبتي متحـديا

زمني بها وحواسدي وخـصومي

أحني لعرش الله رأسا ما انحـنى

بالذلِّ يوماً في رحـابِ عظـيم

اذكـــــــــرى

اذكـــــري ذاك المـــــساءَ　　كيــــف كنـــا ســـعداءَ
لم يـــدعْ عنـــديَ همًّـــا　　ومحـــا عنـــك الـــشقاءَ
مـــلأ الـــدنيا صـــفاءَ　　عنـــدما شـــئتِ وشـــاءَ
أحـــسن الـــدهرُ إليْنـــا　　بعـــدما كـــان أســـاءَ
كلمـــا أقبلـــت الـــسحب　　فظلّلـــــن الـــــسماءَ
قاتمـــــات غائمـــــات　　يتـــــهادينَ بطـــــاءَ
لاح نجـــمٌ مـــن بعيـــد　　فتجلـــــى وأضـــــاءَ
وتـــصدّى قمـــرٌ راح　　علـــى الأرضِ وجـــاءَ

رسـائل محترقـة

ذوت الصبابة وانطوتْ
وفرغتُ من آلامها
لكنني ألقى المنايا   من بقايا جامها
عادت إليّ الذكرياتُ   بحشدها وزحامها
في ليلة ليلاء أرّ   قني عصيب ظلامها

هدأت رسائل حبها
كالطفل، في أحلامها
فحلفت لا رقدت ولا   ذاقت شهيَّ منامِها
أشعلت فيها النار ترعى   في عزيز حطامها
تغتال قصة حبنا   من بدئها لختامها
أحرقتُها ورميت قلبي   في صميم ضرامها
وبكى الرماد الآدمي   على رماد غرامها

الغريـــــب

يا قاسَي البعــد كيــف تبتعــدُ

إنِ غريــب الــديار منفــردُ

إن خاننى اليوم فيك قلت غــداً

وأين مــنى ومــن لقــاكَ غــدُ

إنّ غـــداً هـــوةٌ لناظرهـــا تكــاد فيهــا الظنــون ترتعــدُ

أطـــل في عمقِهـــا أســـائلها أفيـــك أخفـــى خيالَـــهْ الأبـــدُ

يالامسَ الجرح ما الذى صنعتْ

بـــه شـــفاهٌ رحيمـــةٌ ويـــدُ

ملء ضلوعى لظــىً وأعجبــه

أنِ بهـــذا اللـــهيب أبتـــردُ

يا تاركى حيث كــان مجلــسنا وحيــث غنــاك قلــبى الغــرِدُ

أرنـــو إلى النـــاس في جمـــوعهم

أشقتهمُ الحادثـــاتُ أم ســـعدوا

تفرقوا أم هـــم بهـــا احتـــشدوا

وغوَّروها هـــابطينَ أم صـــعدُوا

إنى غريْب تعــالَ يــا ســكنى

فلــــيس لى في زحــــامهم أحَـــدُ

بعـــد الفـــــــراق

١

أجل! أهواكِ أنتِ مُنَى حيــاتى
وأنتِ أحبُّ من بصرى وسمعــى
وهل أنساكِ كلاَّ لستُ أنــسى
هوى قد كانَ إلهــامى ونبعــى
لبستُ من التصبر عنكِ درعــاً
فها أنا تنــزعُ الأيــامُ درعــى
وها أنا لا أداري عنــكِ ســرًّا
عرفتِ محــبتى ورأيــتِ دمعــى
تلاشت قوتى وغـــدَا فــؤادى
كأن خفوقَــه خلجــاتُ نَــزْعِ
أُبـــشِّره فيرقــص في ضـــلوعى
وأنظـــر ســـودَ أيــامى فــأنعى
وقد نضب الخيالُ وغاض طبعى
ومات على حياض اليأس زرعى

أجرجرُ وحدتي في كل حـــشدٍ

وأحمل غربتي في كـــلِّ جَمْـــعِ

٢

مزّقته فصار واللهِ لا يقدر حتَّى أن يـــسأل الله رفقَـــا

لجة بعد لجة كلما صارعَ رُدَّتْ لـــه أمانيـــه غرقَـــى

فليق بعد فيلق حَجَبَ الشمسَ ولم يُبقِ للنواظرِ أفقَـــا

وسنان الغروب تغـــزوه حمـــرًا

وسنان العـــذابُ تطعـــنُ زُرْقَـــا

وجيوش الظلام تزحفُ زحفًـــا

وثقال الأقدام تسحقُ ســـحقًا ..

المـــــــــــــــــآب

«خرج الشاعر من مصر مريضا،ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين،فلما أشرفت السفينة على بورسعيد أستقبل الشاعر مصر بهذه الأبيات».

هتفتُ وقد بدتْ مـــصرٌ لعـــينى
رفاقى! تلكَ مصرُ يـــا رفـــاقى
أتدفعنى وقد هاضـــتْ جنـــاحى
وتجذبنى وقـــد شـــدَّتْ وثـــاقى
خرجتُ من الديار أجـــرُّ هَمِّـــى
وعدتُ إلى الديارِ أجرُّ ســـاقى

في الأوتوجراف

من ن إلى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتى
وماذا تريدين أن أكتبَا
وما في الجوانح خافٍ عليكِ
وقلبك يعلم ما غُيِّبَا
سأكتب أنكِ أنتِ الربيع
وأنك أنضرُ ما فى الرُّبَى
وأنك أنتِ الجمال الفريد
وفجر الشباب وحلم الصِّبَا
أهلِّلُ باسمكِ عند الصباح
وأطوى على ذَكركِ المغربَا ..

شـــكوى الــزمـــــن

ياويلتا مـــن عمـــرىَ البـــاقى   هـــذا ســـواد تحـــت أحـــداقى
هذا بياضُ الـــشيب واعجـــبى   مـــن مغـــرب فى زى إشـــراق
ويلى علـــى كـــأس معربـــدةٍ
وعلى دم في الكـــأس مهـــراقِ
وعلى سرابٍ خـــادع وعلـــى   متـــألق اللمحـــات بـــــراق
طاف الزمان بـــه علـــى نفـــرٍ   مـــالوا بهامـــاتِ وأعنـــاق
صُرعوا وأنت تظنهم ســـكروا
ماتَ النـــدامى أيهـــا الـــساقى
يا دهرُ لم أشـــكُ الكـــلالَ ولا
ملكتْ خطوبُ الدهر إرهـــاقى
عـــــذبتُ أيـــــامى بعفتـــــها
وقتلتُهَـــــا بـــــصفاءِ أخلاقـــي
يا كم غرستُ وكم سقيتُ وكم
نـــضَّرْتُ مـــن زهـــرٍ وأوراقِ

مـــا حـــيلتى والأرض مجدبـــة

ســـيانِ إقـــلالى وإغـــداقى

أين الـــذين رفعـــتُ فانحـــدروا

وبنيتـــهُمْ بنيـــانَ خـــلاّقِ

إن الوفـــاءَ بـــضاعة كـــسدتْ

ومـــآلُ صـــاحبها لإمـــلاقِ

إن كنت لم أغنمْ فقـــد ظفـــرُوا

مـــنىِّ بمغفرتـــى وإشـــفاقى

لكـــننى والجـــرح يُلـــهب لى

حسِّي ويكـــوى كَـــىَّ إحـــراقِ

هيهاتَ أنـــسى أنهـــم عبثـــوا

ووَفَيْـــتُ لم أعبـــثْ بميثـــاقى

كـــل الـــورى

كل الـــورى يـــدَّعونَ حبَّـــكْ
أنـــا الوحيـــد الـــذى أَحبَّـــكْ
صدرك فيه اضـــطرابُ شـــوقٍ
يقرع قـــرعَ العبـــابِ جنَبـــكْ
فكيـــف تخلـــى بـــه مكـــانى
وتُـــسكنُ الغـــادرينَ قلبَـــكْ
لـــمَّا اعتنقنـــا علـــى اشـــتياقٍ
لمـــستُ بالـــساعديْنِ خطبَـــكْ
تعـــالَ لا تعتـــذرْ لـــذنبٍ
بقـــدرِ حـــبىٍّ غفـــرتُ ذنبَـــكْ

* * *

طالَ علـــى المتعـــب الطريـــقْ
بـــلا حبيـــب ولا صـــديقْ
قـــد بَعُـــدَ الـــشاطئ المرجَّـــى
والمـــوج لايـــرحم الغريـــقْ

في واضحِ النــور جــنحُ ليــلٍ
وفي الرحابِ الفــساح ضــيقْ
يا أرجــوانَ الغــروب مهــلاً
ولتتئــــدْ أيهـــا العقيـــقْ
صبغتَ عمرى فصرتُ أمــشى
على دمــائى الــتى أريــقْ ...

* * *

يا مــسرحاً والفــصولُ تتــرَى
عليـــه مـــالى بــك اغتـــرارْ
فـــلا بخـــيرٍ ولا بـــشرٍّ
ولا طـــوال ولا قـــصارْ
ماخنتُ عهـدى لمـن تـولَّى
كـــلاَّ ولاخـــاننى اصـــطبارْ
أيـــن الليـــالى الـــتى تُـــسرُّ
بـــلا لقـــاء ولا مـــزارْ
كــم قلــتُ ذا مــشهدٌ يمــرُّ
ولم أقـــلْ إنـــه سِـــتَارْ

إن كـــان للمـــشجياتِ رســـم

إنَّ تمثالهـــــــا المقـــــــامْ

بـــــلا دمــــوع ولا شــــكاةٍ

قـــد جمـــدَ الـــدمعُ والكـــلامْ

يا طالـــبَ الحـــزن في المـــآقى

لا تنـــشد الـــدمعَ في الرخـــامْ

وخـــذه مـــن أخـــرسٍ مريـــرٍ

مـــن شـــفة دمعهـــا ســـجامْ

فهل فـــمٌ قـــد بكـــى بكـــائى

مـــن ذا رأى دمعـــة ابتـــسامْ

راقصـــــــــــــة

عجبـــاً لعاريـــة كـــساها ... الفـــــنُّ حـــسناً رائعـــا
سمـــــراء وشـــتها بنانُثـــه ... بياضـــــــــاً ناصـــــــعا
شـــبه الفرائـــد قـــد كـــسين ... في الغمـــــــام براقعـــــا
مـــن أي وديـــانِ الظبـــاء ... ملاعبـــــا ومراتعـــــا؟

مـــن عبقـــرٍ، ومـــن الألمـــبِ، ومـــن فنوهمـــا معَـــا
تبـــدينَ ريَّـــان الثـــديّ لنـــا وخـــصرًا جائعـــا
وتُـــرينَ كونـــاً يـــشبه الكـــون الرحيـــبَ الواســـعَا
متغـــاير الإبـــداع مختلـــف المحاســـن جامعَـــا
لـــك خفـــة البطـــل المجلّـــى مقـــبلاً أو راجعـــا
مـــتمهلا للخـــصم متئـــدا، وحينـــا للّقـــاء مُـــسارعا

الصنــــم الجميــــل

يا قلبيَ الـــشاكى المعـــذّب هـــذه الـــشكـــوى لِمَـــــا
حـــــان الفـــــرار وآن للمـــــسجون أن يتنـــــسما
حـــــان الحـــــساب وآن للموتـــــور أن يتكلمَـــــا
يـــــا طفلـــــيَ النـــــواح آن اليـــــوم أن تتعلمَـــــا
أســـــفى لغـــــالي الـــــدمع تبذلـــــه لمـــــرتخص الـــــدُّمَى
أفنيتـــــه ورجعـــــتَ حـــــتى مـــــن دموعـــــك معـــــدمًا
فإذا افتقـــدتَ الدمـــــع عـــــزَّ فتبكيـــــنّ تبـــسمَـــــا
تبكـــــي علـــــى العـــــرش المـــصوغ مـــن المـــدامع والـــدِّمَا
تبكـــــي علـــــى الـــــصنم الجميـــــل يكـــــادُ أن يتـــــهكمَا
تبكـــــي تـــــراب الأرض مـــصبوغاً بـــألوان الـــسمـــــا

الليل في فينسيا

يا ربِّ ما أعجبَ هذي البلادْ
لا ليلَ فيها! كل ليلٍ صباحْ
وكل وجه في حماها ضمادْ
ومصرُ لا تنبتُ إلا الجراحْ

شــــــــــكوك

يا رامَى السهم يدرى أين موضعه
منىِّ ويعلم ما داريــتُ مــن ألمِ
رميتَ في ساحة موسومة بــدمٍ
منقوشة بندوب الحبِّ والنــدمِ
لا يخدعنَّك منها وَهْــيَ صــامتة
صمتُ القبورِ فراغُ الموتِ والعدمِ
فكم شفاهُ جراحاتٍ إذا انطبقتْ
جرح الإباء عليها غــير ملتــئمِ
فيم انتقامك من قلب عصفتَ بــه
لم يبقَ من موضعٍ فيــه لمنــتقمِ
وفيم لذعة سخطٍ من جوى برمٍ
ترمي بجمرته في جوفِ مضطرمِ!

النســــــــيان

حــان الــشفاءُ فــودِّع الألَمَــا
واســـتقبل الأيـــامَ مبتـــسمًا
ضيفٌ من السلوان حــلَّ بنــا
حدب اليــدين مبــاركٌ قَــدَمًا
أو ما ترى الضيف الذى قــدما
يطوى الغيوبَ ويذرعُ الظُّلَمَــا
في كفِّـــه كـــأس يقـــدمها
تمحو العذابَ وتغــسلُ النــدمًا
فاشــربْ ولا تــرحمْ ثمالتـــها
لهفى عليك شــربتَ أى ظمــا
فيضٌ مــن النــسيان يغمــرنى
إنى لأحمـــد ســـيلَه العرِمَـــا
مستـــسلمًا للمـــوج يغمـــرنى
فرحانَ حــين أعــانق العــدما

المســـــــاء

يـــا غلـــةَ المتلـــهف الـــصادى
يا آيـــتى وقـــصيدتى الكـــبرى
ماذا تركـــت لـــدىّ مـــن زادِ
إلا اســـتعادة هـــذه الـــذكرى
يـــا للمـــساءِ العبقـــرىِّ ومـــا
أبقَى علـــى الأيـــام في خلـــدِى
شـــفتاك شـــفًّا لوعـــةً وظمـــا
وجمالك الجبـــار طـــوعُ يـــدِى
نمشى وقد طـــال الطريـــق بنـــا
ونـــود لـــو نمـــشى إلى الأبـــدِ
ونود لـــو خَلَـــتِ الحيـــاةُ لنـــا
كطريقِنا وغـــدتْ بـــلا أحـــدِ
نـــبنى علـــى أنقـــاض ماضـــينا
قصراً مـــن الأوهـــامِ عملاقَـــا

ونظـــلُّ ننـــسجُ مـــن أمانينـــا

وشـــياً مـــن الأحـــلامِ برَّاقَـــا

وأظـــل أســـقيها وتمـــلأُ لى

من مورد خلفَ الظنون خَفِـــى

حتى إذا سكرتْ مـــن الأمـــلِ

وترنحتْ مالـــتْ علـــى كتفِـــى

حلفـــتْ بـــأنِّ مغتـــدٍ معَهـــا

حيث اغتدتْ وهواى في دمِهَـــا

فمسحتُ بـــالقبلات أدمعَهـــا

وطبعتُ ميثـــاقى علـــى فمِهَـــا

عـــــــذاب

ألمى محا ذنـــبى إليـــك وكفّـــرَا
هبنى أسأتُ ألم يحـــنْ أن تغفـــرَا
روحى ممزقـــةٌ وأنـــتَ تركتَهـــا
لمخالبِ الدنيا وأنيـــابِ الـــورَى
روحى ممزقـــةٌ ولـــو أدركتَهـــا
جَمَّعْتَ من أشلائها مـــا بُعثـــرَا
أوليس لى في ظل حبك موضـــع
أحبو إليه وأرتمـــى مستنـــصرًا؟
ما كنت أصبرُ عن لقائكَ ساعةً
كيف اصطبارى عن لقائك أشهُرَا
من بَدَّلَ الثغر الجميل عبوســـة
ومضى إلى وجه السماء فكـــدَّرَا
يا هاته الأقدار! عينك لا تـــرى
تحت الدجى سأمانَ ممتنعَ الكرَى

ظمآن، لو باع الأحبة قطــرة
بالعمر والدنيا جميعــاً لاشــترى
أَخفَى جراحَك واستعز بفتكهـــا
غريدُك الشادى المحلِّقُ في الذُّرَى
يرنو إليك على البعاد ويعتلــى
ويجرُّه الجرحُ المميتُ إلى الثــرَى
قد عاش وَهْوَ معــذَّبٌ بإبائــه
ولقد يلاقــى يومــه مــستكبرًا
حتَّامَ كتمانى وطــولُ تجلــدى
يا أيها الجانى علــىَّ ومــا درَى
ومتى المآب إلى رحابــك مــرةً
لأريك جرحى والدِّمَا والخنجرا

ملحمـــــة الســـــراب

١

السراب في الصحراء

السراب الخــؤون والــصحراءُ
والحيــارى المــشردون الظمــاءُ
وليـــالٍ في إثـــرهن ليـــالٍ
سنة أقفــرت وأخــرى خــلاءُ
قـــلَّ زادى بهـــا وشـــحَّ المـــاءُ
وتـــولّى الرفـــاقُ والخلـــصاءُ
كيف للنازح الحبيـــب ارتحـــالى
وجناحـــاى الـــسقم والبرحَـــاءُ
وجراحى المُسْتنزفات الـــدوامى
وخطـــاى المقيَّـــداتُ البطـــاءُ
أدركى زورقى فقد عبث اليمُّ به والعواصـــفُ الهوجـــاءُ
والعبابُ العريض والأفقُ المـــوحش واللانهايـــةُ الخرســـاءُ
أفقٌ لا يُحدُّ للعين قد ضاقَ فأمسى والسجن هذا الفـــضاءُ

سهرتْ ترقب الصباحَ وعينُ النجم كلّتْ وما بهـا إغفـاءُ
عجبى من ترقبي ما الذي أرجو ولّما يَعُـدْ لقلـبى رجـاءُ
وأنـا مُرْهِـفُ المسامع فيـه
لى إلى كلِّ طارقٍ إصـغاءُ ....

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوافٍ على القفر في السرى أنـضاءُ
قطعوا شوطَهم على الدم والشوك وراحوا على اللهيب وجاءوا
في ذراعـيَّ أو ذراعيـك أمـنٌ وسـلامٌ ورحمـةٌ ونجـاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صدرىَ حصنٌ وعـصمة واحتمـاءُ
كم أناديك في التنـائى فترتـدُّ بـلا مغـنم لىَ الأصـداءُ
وأناديك في دمائي فتنساب علـى حـسرةٍ لـدىَّ الـدماءُ
وأناديك في التدانى ومـا أطمـع إلا أن يـستجابَ النـداءُ
باسمك العذب إنه أجمـل الأسمـاء مهمـا تعـددتْ أسمـاءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقدارُ عـن قوسـها ويرمـى القـضاءُ

* * *

وهْى بين الـشفاه نـايٌ وتغريـد وطـير وروضـة غنـاءُ
وهى فى الطرس قصة تُذكر الأحباب فيها وتُحـشد الأنبـاءُ
صـدفةٌ ثم وقفـة فاتفـاق فاشـتياق فموعـد فلقـاءُ

فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناءُ
فحنين فلوعة فاحتراق فجحيم وقوده الشهداءُ

* * *

ما بقائي وأجمل العمر ولَّى
وانتظارى حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجر مرهقاً شاحبَ النور
عليه الكلال والإعياءُ
وبنفسى دب المساء وحلَّ الليل من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكبِ الزهر له روعةٌ وفيه رواءُ
ولك الوجه أومضَ الحسنُ فيه
والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوب كظل خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعاً أودع الصانع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدَّ من مرمر وشعشعه الفجر بورد وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذى تصطبى نفسى السماواتُ والذري الشماءُ
راشنى صائد رمانى فأدمانى وولّى الجانى وعاش الداءُ

مرحبا بالهوى الكبير، فإن يبقَ وإن تسلمى يطِبْ لى البقاءُ
فهو القمة التى تهزم الموتَ ولا يرتقى إليها الفناءُ
مر يومى كأمسه مسرحاً تُعرض فيه الحياة والأحياءُ
آدم كالقديم قلباً وتفكيراً ولكن تُبدَّل الأزياءُ
لم يحل طبعه ولا ذاتَ يوم
لبستْ غير نفسها حواءُ
والنضار المعبود قدسٌ وقربانٌ وربٌ والشهرة الجوفاءُ
والحطام الفانى عليه اقتتالٌ
والأمانى بريقها إغراءُ
وسفين تمر أثر سفين
والرياحُ اللذات والأهواءُ
والغيوب المحجبات رحاب
تعبت في رموزها الحكماءُ
عندها المرفأ المؤمل والشط
المرجَّى والصخرة الصماءُ ...
مر يومى كأمسه وأتى ليل بهيج تُزف فيه السماءُ

قد جلت فيه عرسها، كل نجـــم

قـــدحٌ يـــستحم فيـــه الـــضياءُ

لم تزلْ تسكب السلاف وللأقـــداح فيهـــا تجـــدد وامـــتلاءُ

لم تزلْ .. حتى هوّم الحان نعسان وأغفى البـــساط والنـــدماءُ

غير نجم في جانب الليل يقظان، لـــه روعـــة بهـــا وجـــلاءُ

ذاك نجم الحبيب منيِّ له الشوق ومنـــه الـــوميض والإيمـــاءُ

كم أغنيه بالحنين كما غَنَّتْ على فـــرع غـــصنها الورقـــاءُ

وذراعيَ في انتظـــار، وصـــدرى

فيه بالضيف فرحـــة واحتفـــاءُ

موقداً للغريب نـــارَ ضـــلوعى

فعسى للغريب فيها اهتـــداءُ ...

* * *

لَم خليـــتنى وباعـــدت مـــسراك ومـــالى إلى ذراك ارتقـــاءُ

بالذى فيك من سنا لا تـــدعنى

فـــيم هـــذا المطـــالُ والبطـــاءُ

ما ترانى وقـــد ذهبـــتَ بحظـــى

أخطأتنى مـــن بعـــدك النعمـــاءُ

وانتهى بعدك الجميل فــلا فــضل لمــسدٍ ولا يــدٌ بيــضاءُ
ومشى الحسنُ في ركابك والإحسان طراً والغرة الــسمحاءُ
حسناتٍ كانت يدُ الدهر عندى
فـــانطوت بانطوائـــك الالآءُ

٢

السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا
ولا لقلبك عــن لــيلاك أنبــاءُ
جفا الربيـــع ليالينـــا وغادرهـــا
وأقفر الروض لا ظل ولا مـــاءُ
يا شافيَ الداء قد أودى بيَ الداء
أمَا لِــذا الظمــأ القتــال إرواءُ
ولا لطائر قلـــب أن يقـــرَّ ولا
لمركب فزع في الشط إرســـاءُ!
عندي سماءُ شتاءٍ غـــير ممطـــرة
سوداء في جنبات النفس جرداءُ
خرساء آونـــة هوجـــاء آونـــة
وليس تخدع ظني وَهْيَ خرســـاءُ
وكيف تخدعني البيـــداء غافيـــة
وللسوافي على البيـــداء إغفـــاءُ

أأنت ناديتِ أم صوت يُخيل لي
فلي إليكِ بأذنِ الـوهم إصـغاءُ
لبيك لو عندي روحي ما تطير بـه
وكيف ينهض بـالمجروح إعيـاءُ

* * *

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم به صخب عالٍ وضوضـاء
وآخرون كـسالى في أماكنـهم
كأنهم في رمال الـشط أنـضاءُ
هم الورى قبل إفساد الزمانِ لهم
وقبل أن تتحدى الحبَّ بغـضاءُ
ضاقت نفوسٌ بأحقاد ولو سلمتْ
فإنها كسماء البحـر روحـاءُ..
تألقت شمس ذاك اليوم واضطرمتْ
كأنها شـعلٌ في الأفْـقِ حمـراءُ
طابت من الظلِّ ، ظل القلب ناحيـةٌ
لنا، وقد صَلِيَتْ بـالحرِّ أنحـاءُ

مالي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعهـــا

وماوعتِ ولقلبي منـــك إغنـــاءُ

لو أنه أبدٌ مـــازاد عـــن سِـــنة

ومدةُ الحلـــم بـــالجفنين إغفـــاءُ

أرنو إليك وبي خوف يـــساورني

وأنثني ولطرفي عنـــك إغـــضاءُ

إذا نطقتُ فما بـــالقول منتفـــع

وإنِ سكتٌّ فإن الصمتَ إفـــشاءُ

وأيمـــا لفظـــة فـــالريح ناقلـــة

والشط حاكٍ لها والأفق أصـــداءُ

ياليل! من علم الأطيار قـــصتنا

وكيف تدري الصَّبَا أنا أحِبـــاءُ

لما أفقنا رأينا الـــشمس مائلـــة

إلى المغيب وما للـــبينِ إرجـــاءُ

شابت ذوائب، وانحلت غدائرها

شهباء في ساعة التوديع صـــفراءُ

مشى لها شـــفق دامٍ فخـــضبها

كأنه في ذيـــول الـــشَّعْرِ حنـــاءُ

*　　*　　*

يامن تنفس حر الوجد في عنقي

كما تَنفسُ في الأقداح صـــهباءُ

ومن تنفستُ حر الوجد في فمه

فما ارتويتُ وهذا الري إظمـــاءُ

ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد

ولن تواريكَ عن عينيّ ظلماءُ ..

٣

السراب في السجن

يا سجينَ الحيـــاة أيـــن الفـــرارُ
أوصـــد الليـــل بابـــه والنـــهارُ
فلمـــنْ لفتـــةٌ وفـــيم ارتقـــابٌ
ليس بعد الذي انتظرتَ انتظـــارُ
والتعلاتُ من هـــوى وشـــباب
قصةٌ مـــسدل عليهـــا الـــستارُ
ما الذي يبتغي العليل المـــسجَّى
قد تـــولّى العُـــواد والـــسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمْضُ وفي المضجع الغضا والنارُ

* * *

وهَب السجن بابه صـــار حـــرًّا
لـــكَ لاحائـــلٌ ولا أســـوارُ
وعفا القيد عنك كفـــا وســـاقا
فـــإذا الأرض كلـــها لـــك دارُ

أين أيـــن الرحيـــل والتـــسيارُ

بعـــدتْ شـــقة وشـــطَّ مـــزارُ

والخطى المثقلات باليأس أغلالٌ لساقيكَ والمشيب عثـــارُ

ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنة واجتاحَ دوحَها الإعصـــارُ

عشتُ حتى أرى خمائـــلَ حـــبي

تتـــهاوى كـــشامخٍ ينـــهارُ

تحت عيني ويذبل الحُسْنُ فيهـــا

ويمـــوت الربيـــعُ والأنـــوارُ

ما انتفاع الفتى بموحشِ عـــيشٍ

بقيتْ كأســـه وطـــاحَ العقـــارُ

وبقاء البـــساط بعـــد النـــدامى

كأس سمٍّ بهـــا يـــدور البـــوارُ

ما انتفاعي وتلك قافلةُ العيش وفي ركبِهَا اللظى والدمـــارُ

الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل واللفحُ والـــضنى والأوارُ

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلمـــاً

ملتقـــى دون موعـــد ياديـــارُ؟

يا عزيز الجنَى عليـــك ســـلامٌ
كيف جادتْ بقربـــك الأقـــدارُ
بورك الكرمُ والقطوفُ وأوقاتٌ
كأن العنـــاقَ فيهـــا اعتـــصارُ
كلما أطلقتْكَ كفى اســـتردتْكَ
كمـــا يحفـــزُ الغـــريمَ الثـــارُ

آمـــــال كاذبـــــة

لا البرءُ زار ولا خيالــك عــادا
ما أكــذبَ الآمــال والميعــادا
عجباً لحبك يا بخيلةُ كيف يخلــقُ
مــن جــوانِح عابــدٍ حُــسادا
إني لأهتف حين أفترش المــدى
وأرى الجحــيم لجــانبيَّ مهــادا
آها على الرأس الجميل سَلاً وأغفى
مطمئنـــا لا يحـــسُّ ســـهادا
فُرشَتْ له الأحلام واحتفل الهدوء
به ومدَّ لــه الجمــال وســادا
يا حبها ما أنت ما هــذا الــذي
جمعَ الغريب وألَّــفَ الأضــدادا
كم أشرئب إلى سماك بنــاظري
مستلهما بــك قــوةً وعمــادا

ولكم أبيت على السآمة طاويــاً

في خاطري شبحاً لهــا عــوادا

فأراك تعبث بي كطفل في السماء

يُصرِّفُ الأقــدار كَيــف أرادا

ولقد أقول هوى كما بدأ انتهى

فإذا الهوى وافَى النهايــةَ عــادا

مات الرجاء مع السماء وإنمــا

كــان الممــاتُ لحبنــا مــيلادا

ماذا صــنعت بنــاظرٍ لا ينــثني

متطلعـــا متلفتــــا مرتــــادا

وأنا غريبٌ في الزحــام كــأنني

آمالُ أجفــان حُــرمنَ رقــادا

ولقد ترى عيني الجموع فما ترى

دنيا تمــوجُ ولا تحــسُّ عبــادا

فإذا رأيتك كنت أنت الناس والأعمار والآباد والآمــادا

وأراك كل الزهر كل الروض أنت لدىَّ كلُّ خميلةٍ تتهادى

البعـــــــث

يـــا جمـــالا وجـــلالا يتـــدفقْ رجع البلبـــلُ أم عـــاد الربيـــعْ
بهـــر النـــورُ عيـــوني فترفـــقْ حين تـــدنو إنـــني لا أســـتطيعْ

* * *

أيها الورد الـــذي طـــاف بنـــا أيها الطل الـــذي بـــلَّ انعمـــا
لا أراك الله حـــــالي وأنـــــا أطأ الـــشوك ويغـــزوني الظمـــا

* * *

يـــا أمـــانيَّ وحـــبي وخيـــالي لا تضيع لحظة فـــالعمر ضـــاعْ
لا أراك الله حـــالي والليـــالي كاسفات ليس فـــيهن شـــعاعْ

* * *

قد بلوت الويلَ فيها لا بلوتـــا وأنـــا أبـــدأ يـــومي بالمـــساء
وعرفتُ الضيق ضيق القلب حـــتى
لم أجد في الكون ثقباً من رجـــاء

* * *

لا وربِّي ليس في الــــدنيا ختـــامْ

حين يغدو البعثُ نجوى من حبيبْ

حين يستيقظ قلبٌ مـــن منـــامْ

والمنادِى أنتَ والحـــبُّ المجيـــبْ

المنصـــــــــورة

بأيِّ معجــزة في الحــب نتفــقُ
يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ
يا قلب إنَّا لقينا اليــومَ معجــزةً
تكاد في ظلمات الليــل تــأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها
بقية من بقايــا العمــر تحتــرقُ
وافيتها وفلــولُ النــور داميــة
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلــقُ
لم أدرِ حين تبدَّتْ لي إذا شــفقي
أبصرتُه أم على المنصورة الشفقُ؟
يامن منحتِ الأماني البيض معذرة
إني بهذي الأماني البيض أختنــقُ
أين الهدوء المرجَّى في جوانبــها
إني رجعتُ وليلــي كلُّــه أرقُ

أقبلتُ أنشد أمناً في هواك بهـــا
فلم أنل وتـــولى قلـــبيَ الفـــرَقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي
إنَّا بشيء وراء الـــروح نعتنـــقُ
ويحى على كفكِ البيضاء إذ بُسطتْ
عند السلام وويحى حين تنطبـــقُ
هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبـــه
والموج مجتمـــع فيـــه ومفتـــرقُ
صوتاً تماوَجَ في روحي فجاوبَـــه
من جانب القلب موجٌ راحَ يصطفقُ
تظل تنـــهب أُذْني مـــن أطايبـــه
كأنها من خفايا الغيب تـــسترقُ
يا جنةً من جنان اللّـــه أعبـــدها
لن تبعدي ولديَّ السحر والعبقُ

وقفـــة عــــــــلى دار

قفْ يا فـؤاد علـى المنـازل سـاعا
فهنـا الـشبابُ علـى الأحبـة ضـاعا
وهنـــا أذلَّ إبـــاءه متكـــبرٌ
أمـــرتْ عيـــونٌ قلبَـــه فأطاعـــا
أحسستُ بالـداء القـديم وعـادني
جـــرحٌ أَبَيْـــتُ لعهـــده إرجاعـــا
ومضى مع الأمـل الـذهولُ كأنمـا
طـارت بلـبي الحادثـاتُ شـعاعا
كثـرتْ علـيَّ متـاعبي فمحـونني
ومحـونَ حـتى الـسقم والأوجاعـا
يامن هجرتِ لقد هجـرتِ إلى مـدى
فـإلى اللقـاء ولـن أقـولَ وداعـا

الراهبة الباكية

يا ربة الحسن الذى تصبو له
مهجُ العباد وترتجيه جميعا
الحُسْنُ من حق الورى وحملته
متأبيا مستخفيا ممنوعا!
في الدير مثواه وفي جنح الدجى
يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا
تتحرق الدنيا عليك وربما
أوقدتِ نفسك في الظلام شموعا

من ن إلى ع

١

يا شِطر نفـــسى وغرامـــى الوحيـــد
مـــا شـــئتِ يـــا لـــيلاى لا مـــا أريـــد
يا من رأت حـــزنى العميـــقَ البعيـــد
داويـــتِ لى جرحـــى بجـــرح جديـــدْ
هتكتِ عن روحـــى خفـــىَّ النقـــاب
فلـــم يـــزل ياليـــل هـــذا الحجـــاب
حتى مشت كفـــاك فـــوق العـــذاب
ياليـــــل إنى لـــــشقىٌّ ســــعيدْ
عمـــرى ســـرابٌ في بقايـــا ســـراب
وكـــل أيـــامى المواضـــى اغتـــراب
فـــاليوم يـــاليلاى طـــاب المـــآب
في ظلـــك الرحـــب الجميـــل المديـــد
فليذهب الماضـــى البعيـــد الـــسحيق
فيـــه صـــريعٌ للبلَـــى لا يفيـــق
في جَـــدَثٍ يـــزداد ضـــيقا وضـــيق
في كفـــن قرّبـــه الـــشباب الـــشهيد!

٢

ويـــوم لقيـــاك علـــى ســـلمِ
في جانـــبٍ مكتئـــبٍ مظلـــمِ
يـــا عذبـــةَ العيـــنين والمبـــسمِ
وغـــضةَ الحـــسن الـــشهى الفريـــد!
في لحظـــةٍ يقفـــزُ فيهـــا دمـــى
وتعقـــد الدهـــشةُ فيهـــا فمـــى
مـــن أى كـــونٍ جئـــتِ لم أعلـــمِ
يـــا نفحـــة مـــن نفحـــاتِ الخلـــود

* * *

هيـــا! أجَـــلْ هيـــا إلى أينـــا؟
لحيـــث نحكـــى حلـــمَ روحينـــا
لحيـــث نـــروى ســـرَّ قلبينـــا
فـــإن فرغنـــا مـــن حـــديث نعيـــد!
أى مكـــان بهوانـــا يـــضيق؟
فـــامضِ بنـــا، إن زحـــامَ الطريـــق

في ظـــل حبينـــا رحيـــب طليـــق
وكـــل طيـــب ركـــنٍ في الوجـــود
من أنـــتِ؟ لا أدري، ولا مـــن أنـــا
فيـــا إلـــهَ الحـــب مـــاذا اسمنـــا
إنـــا حبيبـــان وذا حبنـــا
إنـــا وليـــدان، وهـــذا وليـــد

*   *   *

ومجلس قـــد ضـــمنا فيـــه الزحـــام
رفَّ علـــى قلـــبين فيـــه الـــسلام
ترمقنـــا فيـــه ظنـــون الأنـــام
ولا تخلينـــا عيـــون الحـــسود!
وحـــين ودعـــتِ خـــلال الجمـــوع
مـــشى علـــى إثـــرِك قلـــبي الوجيـــع
مشى به الحب، وكيـــف الرجـــوع!
وفي ضـــميري هـــاتفٌ: هـــل تعـــود!!

شعـــــر الرثـــــــــاء

رثاء الـــهمشرى

الشاعر النابغ الذى انطفأ
نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعـــوا للـــشاعر الملـــهَمِ
ما مات لكنْ صَـــار في الأنجـــمِ
مـــا كـــان إلا زائـــراً عـــابرا
لأى ســـر جـــاء لم نعلـــم
والآن قـــــد رُدَّ إلى ســـربه
في قدس ذاك الفلـــك الأعظـــمِ
الآن قـــــد رُدَّ إلى ربـــــه
فتى إلى الخلـــد مـــشوق ظمـــى
الآن قـــد أصـــبح في قربـــه
فـــتى لآفـــاق الـــسما ينتمـــى
كان فراشاً حـــائراً في الـــدنَى
في نورهـــا أو نارهـــا يرتمـــى

فــإن نجـا مــن نارهــا مــرةً

فمن هيــب الــنفس لم يَــسْلَمِ

* * *

لا تجزعــوا للــشاعر الملــهمِ

بنُــضرة الأيــام لم يــنعمِ

مــرَّ بهــذا الكــون في لحظــة

طالت كعمــر الأبــدِ الأعظــمِ

أى جــلالٍ فاتــه وصــفه

وأى حــسن فيــه لم يرســمِ

فــإن يكــن ردَّ إلى حــضنه

فعــودة المغــرم للمغــرمِ

ورجعــة القلــب إلى صــدره

بــالعطف في أحنائــه يرتمــى

لا تجزعــوا للــشاعر الملــهمِ

ولله مــا نــامَ مــع النُــوَّمِ

ولم ينــلْ منــه أكــولُ البلــى

وإنمــا غــابَ إلى موســمِ

المرحوم الدكتور عبدالواحد بك الوكيل

وزير الصحة

هي صفحة طُويتْ وحان ختــامُ
آسى الأساة على ثــراكَ ســلامُ
لهفي عليك تسلمتك يدُ البلــى
وانفض عنك إلى النشورِ زحــامُ
الحفل منــتظم تكامــلَ عقــده
أين العــشيَّ خيالُــكَ البــسامُ
يتلفتــون بــه كأنــك عائــد
هيهات في ريب المنــون كــلامُ
لا صحوَ من سِنة المنــون وإنمــا
سهر الخلود عليك حيث تنــامُ
يا أيها الآسى العزيــز بمــضجع
نــاءٍ لــه الإكبــار والإعظــامُ

أنتَ الطبيب وقد بلوت حياتــه

ومجاهــا الأوجــاع والأســقامُ

جلت الحياةُ له حقيقتَهَــا فمــا

في ظلــها لَــبْسٌ ولا أوهــامُ

وله مع القدر الرهيــب وقــائعٌ

وله مع المــوت الملــم صــدامُ

ووراء ذلـــك قـــوة أزليـــةٌ

خرساءُ عنها مــا أُمــيط لثــامُ

أى الأساة هــو المــدل بفنــه

سبحانَ من تُحنَى لديــه الهــامُ!

بلد على بلد كأنــك ضــارب

في الأرض ما يدرى لديه مقــامُ

فرجعتَ من حُمَّى الحيــاة لمثلــها

حمىّ قمد الــصرح وهــو مقــامُ

سفر على سفر فهــذى رقــدة

شُفِيَ الغليل بهــا وطــابَ أوامُ

يلقِى الغريب على جوانبها العصا

وتقــر فيهــا أعــينٌ وعظــامُ

رقد الصغيرُ إلى الكبير مجــاورا

وتعانق الأحبــابُ والأخــصامُ

هجعوا إلى يوم النشور وهكــذا

هجعتْ هنالك ألفــةٌ وخــصامُ

رثاء المرحوم الشاعر محمد الهراوى

ألقيت في حفلة تأبينه

ها هنا حفلٌ وذكــرى ووفــاءْ
لبنّــا أنـــت ملـــبى الأصـــدقاءْ
يالهـــا مـــن غربـــة مـــضنيةٍ
لـــيس تنجـــاب وأيـــام بطـــاء
ذهب الموت بـــأغلى صـــحاب
وثوى في الترب أوفَى الأوفيـــاء
لست أنساك وقـــد أقبلـــت لى
تشتكى غدر صديق قـــد أســـاء
آه من جرح ومن قلـــب علـــى
ألم الجرح انطـــوى مـــر الإبـــاء
كلما آلمك الجرح فأحسست بـــه لطفْتَـــه بالكبريـــاء
أيها الشاكى من الدهر اســـترحْ
كلنا يا أيهـــا الـــشاكى ســـواء

الجراحـــات الـــتى عانيتَهـــا
لم تـــدعْ أرواحنـــا إلا ذمـــاء
بـــرم العـــيش بهـــا لم يـــشفها
وتولى الـــدهر ســـأمانَ وجـــاء
أذنَ المـــوتُ لهـــا فالتأمـــتْ
وشفاهَا بعدما استعصى الـــشفاء
لست أرثيـــك أَيُرثَـــى خالـــدٌ
في رحاب الخلد موفور الجـــزاء
كيف أرثيـــك أيُرثـــى فاضـــل
عاش بالخيرات موصول الـــدعاء
إنما الـــدنيا هـــى الخـــير علـــى
قلة الخـــير وقحـــط العظمـــاء
إنما الـــدنيا فـــتى عـــاش لكـــم
باذلا من قوتـــه حـــتى الفنـــاء
فإذا مات فقـــد عـــاش بكـــم
فهو بالذكرى جـــدير بالبقـــاء

ذلك الــشاعر قــد واســاكم

وبكى آلامكــم كــلَّ البكــاء

ذلك الشاعر قد غنَّاكم صادحاً في أيككم بشرى الهناء

وأولو الشعر المــصابيح الــتى

حطمتــهنَ ريــاحُ الــصحراء

خلدت أنوارُهم رغــم البلــى

وبها المدلج في الليــل استــضاء

سوف يفنَى القــول إلا قــولهم

ويمــوت النــاس إلا الــشعراء

عــدْ إلينــا نــسمة حــائرة

ذات نجــوى وحــنين وولاء

ثم حلــــقْ بجنــــاحين إلى

عــالمٍ نحــن لــه جِــدُّ ظمــاء

طرْ مطار النسْمِ واتــركْ قَــدَما

ثقلتْ بالشوك في أرض الــشقاء

تكريم

حضرة صاحب المعالى إبراهيم باشا عبدالهادى

(وزير الصحة)

خذ من طبيب الحى رأى النادى
واسمع إلى غريد هــذا الــوادى
إنى عن الفئــتين قمــت وإنــه
شرف بلغتُ بــه أجــل مــرادِ
أنا لا أوافى اليومَ حقك وحــده
لكن أؤدي فيك حــقَّ بــلادى
يا عائداً تحدو الــسلامةُ ركبــه
بوركتَ في الغُيــاب والعُــوادِ
مصر التى بك في اشتداد كروبها
عرفتْ فتى الفتيان يــومَ جهــادِ
رفتْ عليك قلوبهــا وتطلعــتْ
وهفتْ إليك منــابرُ الأعــوادِ

أى المحامد فيــك لم ترفــعْ بــه
رأساً ولم تتحــدَّ كــلَّ معــادى
وطنيــة مــلء الفــؤاد وهمــة
علوية مــن حكمــةٍ وســدادِ
فلو أن أعواد المنابر قد مــشتْ
لمــشت لإبــراهيم عبــدالهادى
أنا ما التفت إليــك إلاعــادنى
طيف يراوح خاطرى ويغــادى
طيف من الماضى الكريم وصفحة
(أخذتْ لها عهداً على الآبــاد)
إنى به مترنم وبكل ما ازدانت به تلك الصحيفة شــــادى

أيامَ يجمعنــا الــشباب وكلنــا
بالروح والدم والجوارح فــادى
السجن مثل الأسر مثل النفــى
مثل القتل، تلك قضيةُ استشهاد

المرحـــوم الدكتـــور عـــلى باشـــا إبراهيم

في يوبيلـــــــه الفضـــــى

إليك أزف في اليوم الـــجليلِ
تحيـــات الزميـــل إلى الزميـــل
تحيـــات يـــرف عليـــك منـــها
ندى الأسحار في ظـــل الخميـــل
ســـلاماً للإمـــام علـــى جنننـــا
إليـــه بالعـــشير وبالقبيـــل
نبـــايع منـــه فنـــا عبقريـــا
وعقلا في العقـــول بـــلا مثيـــل
تلفتْ يـــا علـــى تجـــدْ وفـــاء
وما احتـــاج الوفـــاء إلى دليـــل
أقول لحاســـب الـــستين مهـــلا
وقعت على الحساب المـــستحيل
إذا أحصيت للأجـــسام عمـــرا
فكيف تعـــد أعمـــار العقـــول

ولو أن الألى أنقـــذتَ جـــاءوا

يؤدون القـــديم مـــن الجميـــل

ولو أن الألى علمـــتَ جـــاءوا

يؤدون القليـــل مـــن القليـــل

ولو منحـــوك عمـــرهم جميعـــاً

وما هـــو بـــالكثير ولا الجزيـــل

إذنْ لرأيت عمرك عمـــر نجـــمٍ

لـــه في اللانهايـــة ألـــف جيـــل

بربك كم وصلت حيـــاةَ قـــوم

وكم حاربتَ مـــن داء وبيـــل

وكم أنقذت من أســـر المنايـــا

وكم نضو شفيت وكم عليـــل

إذا ما المـــوتُ أبـــدَى ناجذيـــه

إذا انطفأتْ عيـــونٌ في الـــذبول

إذا غامـــت محاجرهـــا ظمـــاءً

كما غامت نجـــومٌ في الأفـــول

فما هو غير أن أقبلـــتَ حـــتى
تبـــدل كـــل أمـــر مـــستحيل
كأنك لمـــعُ بـــرقٍ في الأعـــالى
يحيى مقـــدم الغيـــث الهطـــول
كأنك واحةٌ في القفـــر لاحـــتْ
رأها أعـــين الركـــب الكليـــل
كأنك جنـــة في البيـــد تنـــدَى
بعذبِ المـــاء والظـــل الظليـــل
ولو أيامُك العـــصماءُ جـــاءت
بكـــل أغـــرَّ مـــزدانٍ حفيـــل
إذن لطلعنَ في الظلمات بيـــضا
من الغرر اللوامـــع والحجـــول
ولـــو أن المـــآثرَ ذات قـــول
لقلتُ تكلمى وصِـــفى وقـــولى
أضفها فهى أعمـــار أضـــيفتْ
وما تـــدرى لماضـــيك النبيـــل

تعال أذعْ لنـــا ســـر الفحـــول

ودع صمت الحييِّ أو الخجـــول

ســـلالة عبقـــرَ وعـــشير جـــن

بعدتم في الحياة عـــن الـــشكول

فما للشيب من بـــاب إلـــيكم

ولا للضعف يوماً مـــن ســـبيل

لقد جهل الألى حسبوك شـــيخا

فلا تقبل حسابا مـــن جهـــول

أعيذ صباك كيف يكون شـــيخاً

شعاعُ ســـلافة وســـنا شـــمول

وما ظفروا بأثبت منـــك عـــودا

ولا أقوى وأصلب في الحمـــول

ولا ظفروا بأصفى منك روحـــا

كأن مزاجهـــا مـــن سلـــسبيل

أرى سحر الشباب عليك غضا

وقـــاكَ الله أنفـــاس الأصـــيل

تعالى الله كم من معجزات

معلقة بإصبعك النحيل

محيل القسوة الكبرى حنانا

ورافعها إلى فن جميل

معارك من دمٍ أم ساح حرب

أسنتُها منغمة الصليل

يسير المبضع الجبار فيها

بكفك سيرَ مطواعٍ ذليل

معارك كم كسبت بها حياة

وما لك في المواقع من قتيل

تقسمك الورى قوما فقوما

ومالك بالورى ضجر الملول

تقضى في مسائك ألفَ أمر

وتقطع في نهارك ألف ميل

وإما سرت عن حفل قصير

فعن وعد بمؤتمر طويل

وأنـــت أب لـــذا وأخ لهـــذا
ومنك لمن رجاك يَـــدًا خليـــل

*　　*　　*

نـــبيَّ الطـــب أدركنـــا إذا مـــا
تطلعـــت العيـــون إلى رســـول
فكم في مصر أجـــسام مـــراض
بـــأرواح كأشـــباح الطلـــول
فيا أســـفا إذا تُركـــتْ فظلـــتْ
فـــرائس للـــدعيِّ وللـــدخيل
عليُ لقد ملكتَ عصاة موســـى
فقم واضرب بها أفعى الخمـــول
أقول لأعين الطـــب الحيـــارى
وقعت من الفخار على ســـليل
أبا حسنٍ سلمتَ على الليـــالى
وعش مُتعتَ بـــالعمر الطويـــل

المرحوم أنطون باشا الجميل

في حفلة تكريمه بمنزل صاحب المعالى

إبراهيم دسوقى أباظه باشا

كيف أنسى زمناً كنت به
من أخ أغلى وأسمى من أبِ
ضقت ذرعاً بزمانى وكذا
ضاقت الأيام والآلام بى
رائحاً في لجةٍ طاغية
غاديا في عاصف مضطربِ
قد تغشانى ظلام لا أرى
فيه مغداى ولا منقلبي
صامداً للظلمِ والظلمُ له
معولٌ يهدمنى عن كثبِ
وأنا أدفعه عن منكبى
بيدى حتى تهاوى منكبى

وتماسكتْ فلــم يبــقَ ســوى

كبريـــاءٍ هـــى درع لـــلأبى

هتفت بى الـنفس فلـنمضِ إلى

ذلك الـورد الكـريم الطيـبِ

إن أنطـــون ومـــا أعظمـــه

طاهرُ القلـبِ نبيـلُ المـشربِ

كـــأس ود لم ترنـــقْ أبـــداً

وَصَفَتْ كالـذهب المنـسكبِ

ونداماه علـى طـول المـدى

رفقـــة حفُّـــوا بـــه كالحبـــبِ

* * *

مكتب لا بـل بـساط عـامر

بالمعـــالى يالـــه مـــن مكتـــب

مكتب قد صـيغ مـن عـالى

المـــساعى ونبيـــل الـــدأب

مكتـــب يزهـــى بحُـــرٍّ ماجـــدٍ

ثابـت الـرأى سـنى المـأرب

صائد الـــدر تـــراه غارقـــا في

صـــحف أو غائـــصا في كتـــبِ

مـــصغيا في حكمـــة أو مطرقـــا

في وقـــــار ســـــامعا في أدبِ

فـــإذا أدلى بـــــرأى تَلَقّـــــه

راح يدلى بالعجيـــب المطـــربِ

مستفيـــــضا ببيـــــان جـــامع

سحرُ جـــو وجـــلال العـــربِ

ذاك أنطــــون ومــــا أروعـــه

صفحة لا تنتهى مـــن عجـــب

قطراتْ حُـــسبتْ مـــن عـــرق

وهى لو حققتـــها مـــن ذهـــب

أســـعد الأيـــام يـــوم ضـــمّنى

بـــك في دار كـــأفق الـــشهب

كرمتْ من شـــرف وارتفعـــتْ

بـــالعلا، وازّينـــت بالحـــسب

لدسوقي وما أنسى له

إنه مثلك في الفضل أبي

كيف أنسى فضله وهو الذي

ذاد عني عاديات الحقب

أنتما للمجد ذخرٌ فابقيا

للمعالي، واسلما للأدب

عبدالحميد بك عبدالحق

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

١

أنت فوق التكريم فــوق الثنـــاء
جلّ ما قد أديت عـــن إطـــراءِ
يا عظيم الشؤون جلت شـــؤون
أنت منها في الـــذروة الـــشماءِ
يا عظيم الأوقاف جلت أمـــور
عَرَّفتنـــا مواقـــفَ العظمـــاءِ
لم نكرمك للوزارة والمنصب والمجـــد والـــسنا والـــرواءِ
نحن قوم نهيم بالرجل الكامل يمضى للأمر دون التـــواءِ
الرحيب الصدر القوى على الخَطْبِ
السريع الهدم السريع البناءِ

قد رأينـــاك كالمنـــار المعلـــى ـــ مـــثلا للقـــوىِّ فى الأقويـــاء
ورأينـــاك فى الرجـــال فريـــداً ـــ فاقتفينـــا خطـــاك أىَّ اقتفـــاءِ
وحببناك ما بنـــا مـــن نفـــاق ـــ لاولا فى قلوبنـــا مـــن ريـــاء

* * *

أَىْ وربى لأنتَ من صور الماضى ومجد الجـــدود والآبـــاءِ

وجلال الصعيد والمُلْك في الوادى عزيز البنود ضافى اللواءِ

قد ينام التراث جيلا فجيلا غافيـــا في مجاهـــلٍ خرســـاءِ

وتنام الروح العريقة في المجـــد لتبـــدو في طلعـــة سمـــراءِ

فتراها مصرية السمْتِ والقوة والعزم والحِجَى والمـــضاءِ

قسماً قد غفا الجلال ليـــصحو

من جديد في وجهـــك الوضَّـــاءِ

أيها الكوكب الدءوب على الدهرِ

بـــــلا فتْـــرة ولا إبطـــــاءِ

تصنع الخير واضحاً شـــبه نجـــمٍ

ساكب نوره بعـــرض الفـــضاءِ

وتؤديـــه خافيـــا مثـــل نجـــم

مستر خافٍ خلال الـــسماءِ

غير أن النفوسَ تعلم مسراه وإن كان ممعناً في الخفـــاءِ

وعظيم الفعال يجمل بالإفصاح عنه كالسيف غِبَّ الجلاءِ

ما جمال الربيع في الـــروض إن لم

يشد طير في الروضـــة الغنــاء

ما جمال الـــسماء والبـــدر إن لم

يشدُ سارٍ في الليلـــة القمـــراءِ؟

واضياع النبوغ في مـــصر إن لم

تتحـــــدث منـــــابرُ الخطبـــــاءِ

واضياع النبوغ في مـــصر إن لم

يَك تخليـــده علـــى الـــشعراءِ

طاقة الشعر طاقة الـــورد معـــنى

جلَّ قصدا وقـــلَّ في الإهـــداءِ

لست تجزى بــــه أقـــل الجـــزاء

فتقبلـــــه آيـــــةً مـــــن وفــــاء

* * *

كيف ننساك والعفاة على بابَك حشدٌ يموج بالبأساء

الشريد الطريد والعامل المرهق يشقَى من صبحه للمساءِ

وبيوت هى العريقة في الأمجاد صارت عريقةً في الشقاءِ

لم تطقْ أن ترى دموع اليتامى تترامى على أكف السخاءِ

والأيامى كالكأس بعد النـــدامى

ذكرتْ حظهـــا مـــن الـــصهباءِ

وقف الدهر دونهم: كل بـــاب

طرقوا صُمَّ عن ذليـــل النـــداءِ

غير باب من المـــروءات سمـــحٍ

لك، ماردّ مـــرةً ذليـــل نـــداءِ

انظر الحفـــل، داويـــا بالـــدعاءِ

وانظر البحر زاخـــراً بالنـــداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنيا لقومٍ إلى المعالى ظمـــاءِ

كلما أطلعتْ لهم عبقريا جعلوا منـــه معقـــداً للرجـــاءِ

حمدوا فيك يـــومهم واطمـــأنوا

مـــستشرئبين للغـــد المترائـــى

كيف ننساك في المحامـــاةِ حـــرا

طاهراً ذيلـــه عفيـــف الـــرداءِ

وقـــف المجلـــس المحيَّـــر يومـــا

مرهـــف المـــسمعين بالإصـــغاءِ

إذ يرى فيــك نائبــاً وخطيبــاً

دامغـــاً بالحقيقـــةِ البيـــضاءِ

مفعما مفحمـا قويـا جريئـــاً

ماحقــا للخـــصوم والأعـــداء

عبدالحميد بك عبدالحق

٢

فـــي وزارة الأوقـــــاف

قل لوزير الحـــق وهـــو الـــذى
قد استقامت في حجاه الأمـــورْ
خذ مـــن مقـــالى ذمـــةً إنـــنى
عنهم إلى ساحِ المعـــالى ســـفيرْ
يا جاعلَ الأوقـــاف في عهـــده
مدينةً والقفـــرَ فيهـــا قـــصورْ
ونابـــشاً فيهـــا الكنـــوز الـــتى
مرت عليها بالعفـــاء العـــصورْ
نبـــــشت فيهـــا عبقرياتهـــــا
منقباً عن كـــل قـــدر خطـــيرْ
فكل مـــا قيـــل ومـــالم يُقَـــلْ
عن فضلك الجم الغفير الـــوفيرْ

ممـــا جـــرى في شـــفةٍ عـــاجزاً
وما توارى في حنايا الـــصدورْ
من حـــق عبـــداالحق في عدلـــه
له – وإن يأبى – إليـــه المـــسيرْ
تحيـــــةً للأصـــــل مـــــردودةً
وباقـــةً قـــد قُـــدمت للـــوزيرْ
سبحان ربي قد رأينـــا الـــدجى
يجلوه في عهـــدِكَ صـــبحٌ مـــنيرْ
ماشيتَ هذا العـــصرُ في ســـيره
والعصر يعلو بجنـــاح النـــسورْ
مازلتَ بالأوقـــاف حـــتى رأت
محطّمَ القيـــدِ وفـــادى الأســـيرْ
كـــــم عيروهـــــا بـــــسلحفاتها
فلينظروهـــا بجنـــاحٍ تطـــيرْ
يا نابشاً فيهـــا كنـــوز الحجـــي
من كل وهاج قليل الـــنظيرْ ..

مـــن ذهـــب الـــدار وآياتهـــا

فتى كبيرُ القلبِ صافي الـــضميرْ

لـــه معـــانى البحـــر في هـــدأةٍ

وفيه روح كانـــسياب الغـــديرْ

خذ من سجاياه ومـــن علمـــه

ما يهب الورد وتطوى البحورْ ..

عبـــد الحميـــد عبـــد الحـــــــق

في وزارة الأوقاف

٣

عِـــشْ مديـــداً وجـــددِ　　واعـــلُ والمـــعْ كفرقـــدِ

لـــــو رأى الحــــق عبــــده　　وهــــو بــــالحق يهتــــدي

وعلــــى الحـــق رائحــــا　　وعلــــى الحــــق يغتــــدي

بــــسطَ التـــاج باليـــد　　قـــائلا قـــم تقلـــد

قـــــم تقلـــــد　　يــــا أمـــيري وســـيدي

وبإيمــــــان رُكــــع　　وتـــــسابيح ســـــجد

بـــايع الحـــق عبـــده　　والبرايـــــا بمـــــشهد

*　　*　　*

انظـــر الـــساح داويــا　　بالنـــــداء المـــــردد

انظـــر البحـــر زاخـــرا　　بالـــــشباب المجنـــــد

حمـــدوا فيـــك يـــومهم　　مـــــشرئبين للغـــــد

عـــش مديـــدا لتبـــتني　　كـــل صـــرح ممـــرد

فلـــك الـــرأي قاطعـــا　　مـــا بـــه مـــن تـــردد

يهـــدأ الـــسيف في القـــراب ويثـــــــوي بمرقـــــــــد

ولـــك الـــسيف ســـاهرا يقظـــــا غــــير مغمـــــد

* * *

خـــذ بيانـــا نظمتـــه شـــــبه عقـــــد منـــــضد

مـــا بـــه مـــن تزلـــف جـــل شـــعري ومقـــصدي

خالـــد أنـــت بـــالعلى والفعـــــــال المــــــــسدد

فتقبـــل علـــى المـــدى كـــــل شـــعر مخلـــــد

عـــزيـــز أباظـــة بـــاشـــا
في حفلة تكريمه بـــمنـــزل صاحب
المعالي دسوقي أباظة باشا

غيث على القفر حيّانا وأحيانـــا
يا شاعرَ الجيل كان الجيل ظمآنا
كنا نعيش من الدنيا على عـــدة
نبني من الأمل الموعـــود دنيانـــا
فالآنَ قد حققتَ ما كان منتظَرا
منها وإن لمعتْ بالوعـــد أحيانـــا
جاءت بأروع من هز البيانَ ومن
أعاد مجد القوافي مثـــل ماكانـــا
ريحانة النيل هزت نفسها طربًـــا
وقدمتْ لأمير الـــشعر ريحانـــا
ماذا نقول ونبدي بعدما سبقتْ
لك الشهادة من تكريمِ مولانـــا

أقمتَ من عبقري الشعر برهانا
وقبلها كنتَ للأخـــلاق عنوانـــا
بآيتيْن: وفـــاء للـــتى ذهبـــتْ
وأنت مَن حفظ الذكرى ومَن صانا
إنَّ التى نضرت عيشا نعمتَ بـــة
وصيرتْ بيتَك المعمورَ بـــستانا
لو لحظة نحو ذياك الضريح رنتْ
عيناك، تلقَ الهوى لم يختلف شانا
وآية من وفاء لـــلألي ســـحبتْ
عليهم حادثات الـــدهر نـــسيانا
عهد الرشيد وعهد المجد في زمنٍ
به توطد ملك العرب ســـلطانا
وعهد بغداد حيث العيشُ مؤتلقٌ
يهفو خمائـــلَ أو يهتـــز أفنانـــا
جلوتـــه وهـــو فتـــاك بجعفـــره
والسيفَ يقطر بغضاءً وعـــدوانا

ياللطلاء الذي يكسو النفوسِ لَكَمْ

كسي النفوسَ من التزييف ألوانا

تلك الطبيعة لاشـــيء يغيرهـــا

ينام فيها خيالُ الفتـــكِ وســـنانا

الحرص يوقظه والمجـــد يوقظـــه

والويل إن وثبَ الوسنانُ يقظانا

*　　*　　*

جوزيتَ عن لغة الفصحى وأمتها

عمرًا مديدًا وتكريمًا وإحـــسانا

أغنية.. أنتِ

أنتِ إن تـؤمني بحـبي كفـاني

لا غرامـي ولا جمالـك فـانِي

أجدب الهجرُ خاطري وخيـالي

وأجفَّ النوى دمـي ولـساني

فتعاليْ روى الظمـا في عيـوني

واجنوني لقطـرةٍ مـن حنـانِ

طـال والله في تنائيـك ذلي

ووقوفي علـى ديـارِ الهـوانِ

أي روح أحـسُّه أي سـرٍّ

في جناحيـك كلّمـا ظلـلاني

أي روح أحـسه أي سـحر

سـكبتْ فيّ هاتـه العينـانِ

لكـأن الـرميمَ مـا تبعثـانِ

وكأن النـشورَ مـا تـسكبانِ

وكــــأني محلـــقٌ في سمـــاءٍ

ومطلٌّ منــها علــى الأكــوانِ

مــستعزٌّ بمــا مُنحـــتُ قــوىٌّ

أجمعُ الكـــونَ كلّـــه في عنـــاني

الإبراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباظة باشا فضل على الأدب والأدباء، فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة مافي ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

١

في حفلة تكريم معالي الباشا في دار الأوبرا ..

بمناسبة الإنعام بالباشوية على معاليه

منى نلتَها كانت لأنفسنا منى
تلفت تجدْ مصراً بأجمعها هنا
وما بعجيبٍ موطن البدر في العلى
وما بجديدٍ أن يرى الأفق مسكنا
ولكنَّ قلبَ الحر تعروه نشوة
فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدر المنير مكانه
وملك آفاق السمَا وتمكنا

إذا الملك المحبوب قــدر ســيداً

وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا

فعن ثقةٍ ممــن يحــب ويحــتبي

وإيمان قلب باتَ بـــالحق مؤمنـــا

سلاماً مليكَ النيل أنت ربيعــه

وإنك مُغْنيه وفي ذاتــك الغــنى

فذلك تكريم الربيــع لروضـــةٍ

جلاها الأباظيون وارفــة الجــنى

أجل! روضةٌ صارتْ لكلِ عظيمة

وللفضل والآداب والعلم موطنا

وميدان سبَّاقَين للمجد والعُلــى

إذا اشتجرتْ أخرى الميادين بالقَنا

من الأدب العالي إذا راحَ ســيدٌ

غدَا آخَرٌ نحو اللــواء فمــا ونى

* * *

عصى القوافي سار نحوكَ مسرعا

ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنـــا

وأنت الذي فكَّ القيودَ جميعهــا
عن الشعر تأبى أن يُهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرة
بذلنا له من أجْوَد الشعر معــدنا

* * *

دسوقي إذا أقللتُ فاقبلْ تحـــيتي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنــا
ولكنني صوتُ المحــبين كلِّهـــم
ومن روضك الغالي وبستانهم جَنى
فراشٌ على مصباح مجدِكَ حــائمٌ
وأي فراش من جلالــك مادنَــا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقمْ عما يكنُّــون معلنــا

٢

فــي جامعــة أدبــاء العــروبــة

يــا ربيعــا جَمَّــلَ الله بــه
روضةَ الدنيا ووقّاهــا الخريــفْ

وشــعاعا مــدَّه الله علــى
هذه الأمةِ مــن مُــدْنٍ وريــفْ

أيهــا النعمــةُ لا حــدَّ لهــا
نحن من نعماك في ظــلٍّ وريــفْ

يا شريفَ النفس والقلــب لنــا
فيك صافي القول والشعر الشريفْ

يــا أبــا الرقــة لا تعــدلها
رقة الوالدِ ذي االقلب العطوفْ

رقــة تــنزل مــن عليائهــا
كشعاع البدرِ بالضوء اللطيــفْ

يــتمنى الــشعر فيــه غايــةً
وَهْوَ عنها عاجز الباع ضــعيفْ

كلمـــــا حاولهـــــا أعجـــــزه

قِصَرُ الطرفِ عن الصرح المنيفْ

أيها المـــصباح صـــرنا حولـــه

كفراش حـــامَ بـــالنور يطـــوفْ

زيهـــا الأيـــك غـــدونا حولـــه

نسماً في الأيك موصولَ الحفيفَ

أنا من غَنَّاك عنـــهم فاســـتمع

من أغاريدِ الربى نجوى الأليـــفْ

٣

فـــي نــــــدوة البـــاشـــــا

وزيري الطيبَ الحـــرَّ الجلـــيلا

تقبلـــــه هـــوى حـــرا نبـــيلا

يقيم على الحــوادث لا يبـــالي

ويـــأبَى في العـــوادي أن يمـــيلا

ولا يدري الزمان لـــه اختلافـــا

ولا يدري الريـــاءُ لـــه ســـبيلا

على الأدب الرفيـــع وواردیـــه

بسطتْ الخير والظـــل الظلـــيلا

وما للقـــائلين عليـــك فـــضلٌ

فقد جئنا نـــردُّ لـــك الجمـــيلا

قطفتُ لك القوافي طوق شعري

فعذرا إن قطفتُ لـــك القلـــيلا

وددت بأن أطيل لـــك القـــوافي

فيمـــنعني حيـــاؤك أن أطـــيلا

وزيري الطيب الحر الجليلا

وقفتُ عن الرفاق هنا رسولا

أعيد لك الذي يطوي فؤادي

وفخراً أن أعيد وأن أقولا

أقول لجهلِ معنى المعالي

إلام يظل جاهلُكم جهولا

دسوقي لا الوزارة قربتنا

ولا قامت على صلةٍ دليلا

عشقنا فيك أخلاقاً وفضلاً

تقبلْه هوى حُرًّا نبيلا

٤

تعزية لمعالي الباشا في بعض السراة الأباظيين

إن السراة الأباظيين قد عظموا
عن طوق ند وعن تحليق أضداد
تخطف القدرُ الجاري أحاسنَهم
بصيرفي المنايا أو بنقادِ
كم صحت والعينُ تُذري الدمعَ في أسف
على الجواهر في كف الردى العادي
ألاَ رقيٌّ للأباظيين تحفظهم
على الحوادث من أنظارِ حسَّادِ!

٥

فى منــــزل الشاعر

وكان الباشا قد تنازل بتشريفه

بـــأى لفـــظ يفيـــك شـــعرى
شـــرفت قـــدرى وزنـــت دارى
أمــــا كفـــى بـــرُّك المواســـى
فـــزدتنى روعـــة المـــزار
أقـــسمت بالـــشمس فى ضـــحاها
أقـــسمت بالبـــدر بالـــدرارى
بفـــضلك المـــاحق الـــدياجى
كأنـــه واضـــح النـــهار
فيـــك مـــن البحـــر كـــل معـــنى
فمـــن سمـــوٍّ إلى وقـــارِ
وأنـــت صـــدر العبـــاب رحبـــا
وبـــسمة الـــشط والمنـــار

كــــأن هـــــذا الجميــــــل يتــــرى

من طيب غــــاد ولطيــــف ســــارى

مــــــوج مـــــن الــــبر ذو اتـــــصال

بـــــــلا هـــــــدوء ولا قـــــرار

غمـــــــــرتنى بالجميــــــــــل حـــــتى

لجـــــــت قـــــــوافى فى العشــــــار

أنقــــــــذنى البحــــــــر غـــــــير أنى

غريـــــق فـــــضل بــــــلا قــــرار

كنـــــت نـــــدى فى ريــــاض عيـــــشى

وكنـــــت غيثــــا علـــــى القفـــــار

لقيـــــت ضـــــنكاً مــــــن الليـــــالى

فمـــــــن غمـــــــار إلى غمـــــــار

قـــــد طـــــال عـــــتبى علـــى الليـــالى

وطـــــال للـــــــراحم انتظـــــــارى

صـــــفحت عـــــن كـــــل مـــا أســـاءت

حـــــق لهـــــا الليلـــــة اعتـــــذارى

٦

فــي حفلـــــة الربيــــع

التي أقامتهـــا جامعة أدباء العروبــــة

أمير الفضل فضلك بيت شـــعر
عُلاك نـسجنَ معنـاه الرفيعـا
إذا كان الـضياءُ نـسيجَ فـنٍّ
سناه يمـلأ الكـونَ الوسـيعا
فحولك حيثما تمـشي وتـسعى
قصيدٌ عـامرٌ غمـرَ الربوعـا
تكلـم حيثمـا تمـضي مبينـاً
وما عرفَ البيـانَ ولا البـديعا
حببتُ سـناك أتبعـه بـشعري
وفخـراً أن أكـونَ لـه تبيعـا
مدحتُكَ جهدَ مقـدرةِ القـوافي
فـضِقتُ بهـا مقـصرةً جميعـا
أتعـصاني مغـردةً بنفـسي
معـوَّدةً هنالـك أن تطيعـا!

أقول لها وقد كلَّتْ قصورا

رويدكِ، واهدئى لن نستطيعا

يراك الناس حيث ترى عظيماً

كريما في تسامحِه وديعا

وأنت النهر دفَّاقا قويا

إذا ماهمَّ لم يملكْ رجوعا

يفيض على الربوع جلالَ نعمى

ويغشَى من حوائلها المنيعا

٧

مظلمـــــــــــــــة

أنا لا أظلّ، وكل شـــيء مـــستمد مـــن جلالِـــكْ
في قاتمٍ محلـــو لـــك سُـــدّت علـــيَّ بـــه المـــسالِكْ
إن لم تضعني في سناك حمـــدتُ حظـــي في ظلالِـــكْ
إن لم تـــضعنى في يمينـــك فالتفـــتْ لي في شمالِـــكْ
الرأي رأيك ليس في الأوقاف شـــيء غـــير ذلِـــكْ
يا أحكم الحكماء لا يُفْتَـــى وفي الأوقـــاف مالِـــكْ

٨

شكر واعتذار

أبي! أخـــي! كعبـــةَ آمالنــــا
أكرمتنَــــــي أكرمــــك الله
أعجبُ ما في الشكر أني امــرؤ
بيانـــــه عنـــــدك يعـــصاه
يا من يرى القلـــب وشـــكواه
ويعلـــم الـــشعر ونجـــواه
كـــم شـــاعر منطقـــه خانـــه
فاغرورقـــت بالـــشعر عينـــاه
مـــا أكـــرمَ الخلـــق وأسمـــاه
وأعـــذبَ الطبـــع وأصـــفاه
إنـــك فـــردٌ دون ثـــانٍ ولـــن
يُـــرى لهـــذا النبـــل أشـــباه
عفوك عن حال فـــتى متعَـــبٍ
باتَ علـــى الأشـــواك جنبـــاه

طال بــه الليــل علــى حــيرةٍ
وامتـــد كالموجـــة يغـــشاه
يـــسأل الليـــلَ علـــى طولـــه
عـــن ذلـــك الليـــل وعقبـــاه
والنورُ أين النوُر؟ هـــل غالـــه
ماح مَحَـــى الفجـــر وأخفـــاه؟
قد كدتُ لـــولا ثقـــةً لاهْـــى
وخـــــشية الله وتقـــــواه
أقـــول جَـــفَّ الـــبرُّ لا ديمـــةُ
همـــى ولا المزنـــةُ ترعـــاه
حتى رأيـــتُ الخـــير في طلعـــةٍ
تحمـــل لى الخـــير وبـــشراه
في لمعـــةٍ تـــومض في فرقـــدٍ
في فلـــكٍ أنـــت محيـــاه
حمدتُ ربى وعرفـــت الرضـــى
يـــا رحمـــةَ الله ونعمـــاه

جلالة الملك

عيد الميلاد الملكى السعيد

يوم أغرُّ على الزمـــان مكـــرَّمٌ
أنواره وحـــى وأنـــت الملـــهِمُ
إنى ليغـــرينى ســـناك فأُقْـــدِمُ
وأراه يخطف نـــاظرىَّ فـــأُحجمُ
واخجلتَـــا ممـــا يقـــدم نـــاظم
ماذا يغـــرِّد في عـــلاك ويـــنظمُ
مهما يطاولـــك البيـــان فإنـــه
متضائل أبـــدًا وقـــدرك يعظـــمُ
ويخال وَصَّـــافُ العظـــائم أنـــه
نـــد لهـــا فـــإذا بـــه يـــتعلمُ
وإذا المجلِّى في الحمـــى متعثـــرٌ
وإذا العثار عن الضميرِ يتـــرجمُ
وإذا رنا لـــك نـــاظر متطلـــع
ألفيتَ حـــيرةَ لحظِـــه تـــتكلمُ

ولقد يريد لك الهتـــافَ فينـــثني
عي الفصاحة لم يـــساعفْه الفـــمُ
تلك الحناجر قصرتْ أو عـــبرتْ
لحن قـــصاراه تعـــيشُ وتـــسلمُ
ملك الملوك تحيةً مـــن صُـــدَّحٍ
منح الربيـــع عـــبيره فتنـــسموا
الأيك مـــدَّ ظلالـــه فتوسمـــوا
وغـــدوا إلى أفنانـــه فترنمـــوا
إن طاب لى زمن فهذى ســـاعتى
أو موسم يرجَى فهـــذا الموســـمُ
قل للأسارير العوابس أشـــرقى
ما من عشيرتنا الـــذي يـــتجهمُ
اليوم بالملـــك المعظـــم نقـــسمُ
أن الخطـــوبَ تخيـــلٌ وتـــوهمُ
الكون مختال الجـــوانح منـــتشٍ
والدهر أيـــامٌ نواضـــرُ تبـــسمُ
ولك البيان من الـــصميم نزفُّـــه
النور معنى والكلام الأنجـــمُ ..

في عيد التتويج

عيد الخلاص ووجهك الضاحي معاً
بوركت إشراقاً وبـــورِكَ مطلعَـــا
يا مالكا تـــاجين تـــاج الـــشمس
ضاحيـــة وتاجًا بالقلوبِ مرصـــعًا
انظرْ إلى الشعب العظيم تجمعـــا
كالسيل عجَّ عجاجـــه وتـــدفّعَا
ما أعظم الحب الصحيح وأروعا
لا كاذبـــاً فيـــه ولا متـــصنعًا
قد كان حبًّا ثم صـــار شـــريعةً
غـــراء تنـــتظم المـــدائنَ أجمَعَـــا
انظرْ إلى ابن الشعب في عيد المنى
في شاهقاتِ الدور يبغى موضـــعًا
عجبا لـــذيَّاك المطـــلِّ بموقـــفٍ
كم يحبس الأنفاس فيـــه توقعَـــا
متطلعا لك مشرئبا لـــوْ هـــوَى
من ذلك الصرح المنيف لَمَا وعَى

ولكانَ في النفس الأخير دعاؤه

مصر، وأنت مع الشهادة إذْ دَعَا

* * *

وانظرْ إلى النيل الوقــور كأنــه

شيخ على عرش الجلال تربعَــا

لو يستطيع وقد بعثــتَ شــبابه

وسقيتَه كأس الأمــانى مترعَــا

لجلا عرائسه إليك وزغرد الصوتُ الحبيسُ على السنين ولعلعَا

لترى طروب الموج وَهْوَ مصفقٌ

وترى الأكفَّ تكاد أن تتقطعَــا

يا أيها الملــك الــسعيد تحيــةً

من شاعر غنَّى النجــوم فأسمعَــا

تركتْ قوافيــه رفيــعَ سمائهــا

تبغى سمــاءك والمقــامَ الأرفعَــا

قد بايعتْكَ على الوفاء وأقبلــتْ

تسعى لساحتك الكريمة خُــضَّعا

بطـــــل الأبطـــــال

الشهيد عبدالحكم الجراحى

بطل الأبطال مــن أرض الهــرمْ
لــبسَ الغـــارَ وجَلَّـــى وغـــنمْ
كيف تـــذرون عليـــه دمعكـــم
وَهْـــوَ وضَّـــاح المحيـــا يبتـــسمْ
كيف يبكى منكم الباكى علـــى
علـــمٍ شـــــهيداً في علـــمْ
يا شباب النيل فتيـــان الحمـــى
وحماة الـــدار أشـــبال الأجَـــمْ
زعمـــــوكم أمـــــةً هازلـــــةً
كذب الزاعم فيما قـــد زعـــمْ
تتحداهم علـــى طـــول المـــدى
ثـــورةٌ نكـــراء شَـــبَّتْ تلتـــهمْ
ومقـــال الـــدهر عنـــا في غـــدٍ
وحديث المجد عـــن عبـــدالحكمْ

كم أغـــرٍّ في بـــواكير الـــصبا
ناضر يـــسحب أذيـــال الـــنعمْ
طبعه الجـــود فلمـــا هتفـــتْ
مصرُ تدعوه تنـــاهَى في الكـــرمْ
قـــدَّمَ الـــروحَ إليهـــا ومـــشى
ثابت الخطـــوة جبـــار القـــدمْ
كلفته اليقظـــة الكـــبرى بهـــا
همـــةً ترعـــى وعينـــاً لم تـــنمْ
جـــــشمته خطـــــةً داميــــــةً
وعرة المـــسلك حُفَّـــتْ بـــالألمْ
يجـــد المـــوت بهـــا لذتـــه
ويرى العـــار إذا المـــرء سـلم

* * *

يا لهذى الجنـــة الفيحـــاء كـــم
فتحت قبرًا لبـــاغٍ قـــد ظلـــمْ
يصبح الصبح على هذى الـــربى
فإذا الورد ضـــحوكٌ في الأكـــمْ

فإذا أمــسى المــساء انقلبــتْ

فوهةً شــعواء ترمــى بــالحمم

لست تدرى إذ تراهــا ظمئــتْ

فروى الأحرارُ واديها بــدمْ ...

ذاك لون الورد أم لون الردى الجا

ثــم أم لــون الحميــم المضطــرمْ!

يا شبابَ النيل فتيــانَ الحمــى

وحماةَ الــدار أشــبالَ الأجــمْ

حطموا القيد الــذى حطمكــم

واجعلوا أمتكم فــوق الأمــمْ

وإذا استــشهد مــنكم بطــلٌ

جاده الغيــث وحيتــه الــديم

ولقــــد أدى لمـــصرٍ دينَـــه

ذلك الفادى، ووفّي بالقسمْ ...

مصـــــــــــــــــر

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدى مصرًا
فمصر هى المحرابُ والجنةُ الكبرَى
حلفنا نولِّى وجهنَا شطرَ حبــها
وننفذ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرًا
نبث بهــا روحَ الحيـــاة قويـــةً
ونقتل فيها الضنك والذل والفقرًا
نحطم أغلالاً ونمحـــو حـــوائلا
ونخلق فيها الفكر والعمَلَ الحُـــرًّا
أجل إن ماء النيل قد مر طعمـــه
تنَاوشه الفتاك لم يَـــدَعوا شـــبرًا
فدالت به الدنيا وريعَتْ حمـــائم
مغردة تستقبل الخيرَ والبُـــشْرَى
وحامت على الأفْق الحزين كواسرٌ
إذا ظفرتْ لا ترحم الُحسنَ والزهرَا

تحط كما حط العُقاب من الذرى
وتلتهم الأفنانَ والزغب والـــوكرَا
فهلا وقفـــتم دونهـــا تمنحونَهَـــا
أكفا كماء المـــزن تمطرهـــا خـــيرَا
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ
على الدهر يجنيى المجدَ أو يجلبُ الفخرَا
تعالوا نُشَيِّدْ مصنعاً رُبَّ مـــصنعٍ
يدِر على صُنَّاعنا المغـــنمَ الـــوفرَا
تعالوا نُشيدْ ملجأ، رُبَّ ملجـــأ
يضم حطامَ البؤس والأوجة الـــصفرَا
تعالوا لنمحو الجهلَ والعلل التى
أحاطتْ بنا كالسيل تغمرنا غمـــرَا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمـــةٌ
فلا كان منا غافلٌ يـــصم العـــصرَا
تعالوا نَقُلْ للصعب أهلاً فإننـــا
شبابٌ ألِفْنَا الصـــعبَ والمطلبَ الوعرَا

شباب إذا نامت عيـــونٌ فإننــــا

بكرْنا بكور الطير نستقبل الفَجرَا

شباب نزلنا حومةَ المجـــد كلنــــا

ومن يغتدى للنصرِ ينتزع النصرَا

صـــــــور شعـــــريـــة

حب على الصحراء

أحبك ما حييتُ وأنــتَ حــسبي
فجرِّبْ أنت قلبــاً بعــد قلــبي

ويا أسفا على صــحراءِ عمــرٍ
جفاهــا بعــدك المطــرُ الملــبي

نهـــارى في لوافحهـــا ســـرابٌ
وليلى مـــن أباطيـــلٍ وكــذْبِ

وفي أذنيَّ من شــفتيك عتــب
إذا أنا ساعةً أضــجعتُ جــنبي

وتلــك قوافــل الأيــام تتــرى
تمر علــيَّ ســرباً بعــد ســربِ

عوابسُ لا يطــلُّ ســناك منــها
ولم ألمــحْ مطالعـــه بركـــبِ

فإن غفلتْ عيــونُ الحــظ عنــا

وصرتَ–ولم أكنْ أدرى–بقــربى

تَبيَّنِّــى فتلــك خيــامُ حــبى

وإنى موقــدٌ لــكَ نــار قلــبى

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن واحة أو ظل أو ماء.

تعالَ سَــلِ القبيلــةَ والجمــالا
لأيــة غايــة شــدوا الرحــالا
وكيف تبدلوا أرضــاً بــأرضٍ
وكيف تغيروا حــالاً وحــالا ..
تطلعــت العيــونُ لعــل مــاءً
يتاح على الهــواجر أو ظــلالا
ومد الشيخ في الصحراء لَحْظــاً
كلحظِ الصقرِ في الآفاق جــالا
كــأن بنيــه ســقماً أو هــزالا
خيــال جَــرَّ هيكلَــه خيــالا
أقافلـــة الحيـــاة أريتنيهـــا
فلم تَــرَ مثلــها عــينى مثــالا

أجل هى نحن في الدنيا حيـــارى

ومـــا نـــدرى لقافلـــةٍ مـــآلا

رأيت حياتنا. كم مـــن غريـــب

علـــى جنبيـــه بالإعيـــاء مـــالا

وكم مـــن ســـائل لم يلـــقَ ردا

وقد سألَ الهـــواجرَ والرمـــالا

فإن تُجِبِ القفار عليـــه يومـــا

تـــرد لـــه ســـوافيها الـــسؤالا

* * *

أقافلـــــة الحيـــــاة أريتنيهـــــا

خيـــالاً أو ضـــلالاً أو محـــالا

عاصفـــــــــــــــة

صورةٌ للبحر أم صـــورة نفـــسٍ
عندما النفس من اليـــأس تثـــورْ
قد علاَ الموج وقد عـــز التأسِّـــى
لم يعـــدْ إلا عبـــابٌ وصـــخورْ
زُلـــزلَ البحـــرُ علـــى راكبِـــه
مثلمـــا زُلـــزل قلـــبٌ ضـــجرُ
ســـفرٌ صـــار علـــى طالبِـــه
ركبَ ضنكٍ، والمنايـــا ســـفرُ ..
غربَ الحظ كما مال الـــشراعْ
هكذا الأعمار في الـــدنيا تميـــلْ
وسرت في الجو أشباحُ الـــوداعْ
وتنادى كـــلُّ شـــيء بالرحيـــلْ
أإذا اشتد على القلـــب الـــبلاءْ
أَإذا جـــارَ عبـــابٌ وتنـــاهَى
تعصف الأمواجُ عصفا بالرجـــاءْ
كيف ننسى أنَّ للكون إلهَـــا ..

عينــــــــــان

طوى السنينَ وشقَّ الغيبَ والظُّلَمَــا
برقٌ تــألقَ في عينيــك وابتــسمَا
يا سارىَ البرق من نجمين يــومض لى
ماذا تخبــئ لى الأقــدار خلفهمَــا
أجئتَ بى عتباتِ الخلــد أم شــركاً
نصبتَ لى من خداع الوهم أم حُلُمَا؟
كــأنى نــاظرٌ بحــرًا وعاصــفة
وزورقا بالغــد المجهــول مرتطمَــا
حملتَنى لــسماءٍ قــد ســريتُ لهــا
بالروح والفكر لم أنقلْ لهــا قــدمَا
شفّت ســديماً ورقــت في غلائلــها
فكدتُ أبصر فيها اللوحَ والقلمَــا
رأيت قلبين خــطَّ الغيــبُ حبــهما
وكاتباً ببنــان النــور قــد رسَمَــا

وسحر عينيــك إني مقــسم بهمــا
لا تسألي القلب عن إخلاصِه قَسَمَا
واهاً لعينيك كالنبع الجميــل صــفا
وسالَ مؤتلقَ الأمــواجِ منــسجمَا
ما أنتما؟ أنتما كــأسٌ وإن عــذبتْ
فيها الحمام ولا عذرٌ لمــن ســلمَا
لمّا رمــى الحــب قلبينــا إلى قــدرٍ
له المــشيئة لم نــسألْ لمــن ولِمَــا
في لحظة تجمــع الآبــادُ حاضــرها
وما يجيء وما قــد مــر منــصرمَا
قد أودعت في فؤاد اثنينِ كلَّ هوى
في الأرض سارت به أخبارها قــدمَا
كلاهمــا نــاظرٌ في عــين صــاحبه
موجا من الحب والأشواق ملتطمَــا
وساحة بــتعلات الهــوى احتربــتْ
فيها صراعٌ وفيها للعنــاق ظمَــا

يـــا للغـــديرين في عينيـــك إذ لمَعَـــا

فالراويان همـــا والظامئـــان همَـــا

بأىِّ قوس وســـهم وصـــائب ويـــدٍ

هواك يا أيها الطاغى الجميل رمـــى

يرمـــــى ويـــــبرئ في آنٍ وأعجبـــــه

أن الذى في يديه البرء مـــا علمَـــا

وكيف يُبْرئنى مـــن لـــستُ أســـأله

برءا وأوثر فيه الـــسهدَ والـــسقما

لـــو أن للمـــوت أســـباباً تقـــربنى

إلى رضاك لهان المـــوت مقتَحَمَـــا

إن الليالى التى في العمر منك خلـــتْ

مرت يبابًا وكانت كلـــها عقمَـــا

تلفتَ القلبُ مكروبـــا لهـــا حـــسرا

وعضَّ من أســـفٍ إبهامَـــه نـــدمَا

إيمـــــــــــــــــان

قـــــــدرٌ أراد شـــــــقاءنا

لا أنـــتِ شـــئتِ ولا أنـــا

عــــزَّ التلاقـــــى والحظـــــو

ظ الـــسود حالـــتْ بيننـــا

قـــد كـــدتُ أكفـــر بـــالهوى

لـــو لم أكـــنْ بـــك مؤمنـــا!!

إليهـــــــــــــــــــــا

أيهـــا الماضـــى الـــذى أودعتُـــه
حفرةً قـــد خَـــيَّمَ المـــوتُ بهـــا
أيهـــا الـــشعر الـــذى كفنتُـــه
مُقسماً لا قلتُ شـــعراً بعـــدها
أيهـــا القلـــب الـــذى مزقتُـــه
صارخا عهدُكَ يا قلـــب انتـــهى
قسماً مـــا مـــات مـــنكم أحـــدٌ
إنهـــا رقـــدةُ يـــأسٍ إنهـــا
آه لـــو قـــامَ رســـولٌ ضـــارع
أو شـــفيعٌ مـــنكم يمـــضى لهـــا
آه مـــن يخبرهـــا عـــن طـــائرٍ
نـــسىَ الأوكـــارَ إلا وكرهـــا!

بعـــــــد الحـــــــب

أرى سمـــائى انحــدرتْ وانطــوتْ

لا تحسبى النجم هــوى وحــده

فيـــا نجـــومَ الليـــل لا نجـــم لى

ولا أرى لى أفقـــــاً بعـــــده

أنـــــــــــوار المدينــــــــــــة

ضحكتْ لعــينىَّ المــصابيح الــتى
تعلو رؤوس الليــل كالتيجــانِ
ورأيتُ أنــوارَ المدينــة بعــد مــا
طال المسير وكلَّــت القــدمانِ
وحسبت أنْ طاب القرار لمتعــبٍ
فى ظــل تحنــانٍ وركــنِ أمــانِ
فإذا المدينة كالــضباب تبخــرتْ
وتكشفت لى عن كذوبِ أمــانى
قدرٌ جــرى لم يجــر فى الحــسبانِ
لا أنتِ ظالمــةٌ ولا أنــا جــانى

خمـــــر الرضـــــــــــا

يا حبيبى اسقنى الأمانىَّ واشربْ
بوركتْ خمرة الرضا وَهْىَ تُسكبْ
بورك الكــأس والحبــاب الذى ير
قص فى الكأس والــشعاع المــذهَّبْ
نضبــتْ رحمــةُ الوجــود جميعــا
وبك الرحمةُ الــتى لــيس تنــضبْ
وإذا ضاقــت السمــاء بشــجوى
فالسماء التي بعينــك أرحـــــب
كـــم تمنيـــتُ والصـــدور تجافيـــنى
وتَــزور والوجـــوهُ تقطـــبْ
كـــم تمنيـــتُ صـــدرك البر يرتاح
علـــى خفقـــه الطريـــدُ المعـــذَّبْ
هاتِ وســدنى الحنــانَ عليــه
جسدى متعَبٌ وروحىَ متعــبْ

في حفلة تكريم الدكتور ناجي صاحب الديوان
(سان جيمس ١٩٣٤)

يا صفوة الأحبـــابِ والخـــلانِ
عفواً اذا استعصى علـــىَّ بيـــانى
الشعر ليس بمسعفٍ فى ســـاعة
هى فوق آى الحمدِ والـــشكرانِ
وأنا الذى قضى الحيـــاة معـــبرا
ومُرجِّعـــاً لخـــواجِ الوجـــدانِ
أَقف العشيةَ بالرفـــاق مُقـــصرا
حيرانَ قد عقد الجميلُ لـــسانى
يا أيها الشعر الذى نطقتْ بـــه
روحى وفاضَ كما يشاءُ جنـــانى
يا سلوتى فى الـــدهر ياقيثـــارتى
مالى أراكِ حبيـــسةَ الألحـــانِ ..
أين البيان وأيـــن مـــا علمـــتنى
أيـــام تـــنطلقينَ دون عنـــانِ

نجواك في الزمن العصيب مخـــدرٌ

نامتْ عليه يــواقظ الأشـــجانِ

والناس تسألُ والهـــواجس جمـــةٌ

طب وشـــعر كيـــف يتفقـــانِ؟

الشعر مرحمةُ النفـــوس وسِـــرُّه

هبةُ الـــسماء ومنحـــةُ الـــديَّانِ

والطب مرحمةُ الجـــسوم ونبعُـــه

من ذلك الفيض العليِّ الـــشانِ

ومن الغمامِ ومن معـــينٍ خلفـــه

يجـــدان إلهامـــاً ويـــستقيانِ

يا أيها الحبُّ المطهر للقلوبِ وغاسلُ الأرجاس والأدرانِ

ما أعظم النجوى الرفيعة كلمـــا

يشدو بهـــا روحـــانِ يحترقـــانِ

أنَفاً من الـــدنيا وفى جـــسديهما

ذل السجين وقـــسوة الـــسجانِ

فتطلعَا نحـــو الـــسماء وحلّقَـــا

صـــعدا إلى الآفـــاقِ يرتقيـــانِ

وتعانقا خلفَ الغمـــام وأترعـــا
كأسيهما مـــن نـــشوةٍ وحنـــانِ
أكتب لوجه الفن لا تعدلْ بـــه
عرضَ الحياة ولا الحطام الفـــانى
واستلهم الأمَّ الطبيعة وحـــدها
كم فى الطبيعة من سرى معـــانى
الشعر مملكـــة وأنـــت أميرهـــا
ما حاجـــةُ الـــشعراءِ للتيجـــانِ
هُومِيرُ أمَّـــرَه الزمـــانُ بنفـــسه
وقضت له الأجيال بالـــسلطانِ
اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها
واسكبْ نداك لظامئ صـــديانِ
فى كل أيك نفحة وبكل روضٍ طاقة من عاطر الريحـــانِ
مهما أقلْ بقيتْ لـــدىَّ قـــصيدةٌ
في القلبِ لم تنطق بها الـــشفتانِ

غصـــــن صغـــــير

رأيـــتِ غـــصناً صـــغيراً　　منـــــوراً ونـــــضيرا
أرق مـــا تـــشتهي الـــنفسُ　　منظـــــراً وعـــــبيرا
جذبتُـــه جـــذب عنـــفٍ　　قـــد كـــاد يـــذوي الزهـــورا
فلـــم يـــئنَّ لجـــذبي　　وكـــان غـــصناً صـــبورا
لكـــــنني لم أدعْـــــهُ　　حـــتى عـــلا مـــسرورا
وارتـــد يـــضربُ وجهـــي　　ضـــرباً عنيفـــاً مـــثيرا
وعـــاد ينـــشر في الأيـــك　　ذا الحـــديثَ الأخـــيرا
تـــضاحك الأيـــكُ جـــذلانَ　　شـــامتاً مـــسرورا
ضـــحكُ الـــذي بعـــد صـــبر　　قـــد فـــاز فـــوزاً أخـــيرا

دعـــــابــــــات

حفلة عدس

في منزل صاحب المعالي دسوقي أباظة باشا

(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر النابغ الأستاذ محمود غنيم)

دعــــوتَ فلبينـــــا ودارك كعبــــة
بها انعقد الإخلاص والحب طَوفا
خميلتنــــا تهفـــو إليهـــا قلوبنـــا
وأي فؤاد للخميلـــة مـــا هفـــا
بنوك الألى تحنو علـــيهم تعطفـــا
وترعـــاهم بِـــرًّا بهـــم متلطفـــا
إذا خلعوا بعضَ الوقار فـــسعْهُمُ
فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا
هنا اطَّرحَ الأعباءَ مثقلُ كاهـــلٍ
وخفَّفَ من وقريه مَـــن تخففـــا
فمال على الفضل الأباظي طامعاً
وأغرق في الجود الأباظي مسرفا

فيا ندوةَ السمار هل من مسجل
يدون إعجاز القـرائح منـصفا
ليشهدَ أن الشعر شيء مشَى بنا
مع الطبع جلَّ الطبعُ أن يتكلفـا
وفي دمنا يجري بـه متواصـلا
مع النَّفسِ الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقلٌ عني الغـداة وناشـرٌ
مقالة صدق قد أبتْ أن تُحرفـا
حديث غنيمٍ والردنجوت والذي
جرى بيننا ما كنتُ بالحق مُرْجفا

* * *

بصرتُ به والصحن بالصحن يلتقي
فلم أر أبهَى من غنـيمٍ وأظرفـا
تراءى له لحمٌ فلم يـدرِ عنـده
تَديُّك من بعد الطوى أم تخرُّفـا
وأومأ لي باللحظ يـسألني بـه
أتعرفه أومأتُ باللحظ مـسعفا

وقدمته للـــديك وهـــو كأنمـــا

يطـــير إليـــه واثبـــاً متلـــهفا

غنيم! أخونا الديك! قَدمتُ ذا لذا

فهذا لهـــذا بعـــدَ لأيٍ تعرَّفـــا

ومـــاهي إلا لحظـــة وتغـــازلاَ

وقد رفعَا بعد الـــسلام التكلفـــا

فمال على الوركِ الشهيِّ ممزقـــا

ومال على الصدر النظيف منظفا

جزى الله أسناناً هنـــاك عتيقـــة

ظللنَ على الصحن الأباظي عُكَّفا

* * *

تُعيِّرُ ناجي بالردنجوتِ جاءه

معاراً فغامرْ واستعرْ أنتَ معطفا

هجـــــــــــــــــو

في من اسمه عبد الحميد

رجـــــلاً أرى باللّـــــه أم حـــــشرَةْ
سبحان مـــن بعبيـــدهِ حـــشرَةْ
يـــا فخـــرَ داروـيـــن ومذهبــــه
وخلاصـــةَ النظريـــةِ القـــذرهْ
أرأيـــتَ قـــردا في الحديقـــة قـــدْ
فلّتـــه أنثـــاه علـــى شـــجرَةْ؟
عبدالحميد اعلـــمْ فأنـــت كـــذا
ما قال داروـيـــنُ ومـــا ذكـــرَهْ
يـــــا عبقريـــــا في شـــــناعتهِ
ولدتْكَ أمـــك وهـــي معتـــذرَهْ

هجـــــو شـاعـــــر

أيها الحـــي ومـــا ضـــرَّ الـــورى لـــو كنـــتَ متّـــا
أو شـــعرٌ! ذاك لا بـــلْ حجـــر يُنحـــتُ نحتَـــا
تُلقـــم النـــاسَ وتـــرميهم بـــه فوقًـــا وتحتـــا
صحتُ مـــن يأســـى لّمـــا بركيـــكِ الـــشعر صـــحتَا
آه يـــا قاتـــلُ يـــا ســـفَّاك! حـــتى أنـــتَ حـــتىَّ!

الخريف

يا حبيبي غيمة في خاطري ... وجفوني وعلى الأفق سحابهْ
غفر اللهُ لها ما صنعت ... كلما شاكيتها تندى كآبةْ
صرخ القفرُ لها منتحباً ... وبكى مستعطفاً مما أصابهْ
فأصمّ الغيثُ عنهُ أذنَهُ ... ما على الأيام لو كان أجابهْ

* * *

كثر الهجرُ على القلب فهل ... من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجرٌ من جمال وصبا ... كل فجر طالع ذكّرنيه
كيف جانبتك أبغي سلوةً ... ثم ناجيتك في كل شبيه
أيها الساكن عيني ودمي ... أين في الدنيا مكان لست فيه

* * *

عندما أزمعَ ركب العمرِ ... رحلةً نحو المغاني الأخرِ
ظهرت تجلوك كفُّ القدرِ ... صورةً أروع ما في الصورِ
تتراءى في الشباب العطرِ ... نفحةً تحمل طيبَ السحرِ
وقف العمرُ لها معتذراً ... وثنى الركبُ عنانَ السفرِ

* * *

عندما أقفرتِ الدنيا جميعاً ... لحتَ لي تحمل عمراً وربيعا
إن يكن حلماً تولى مسرعاً ... أجمل الأحلام ما ولى سريعا

إن يكنْ ما كان دَيْناً يقتضيْ خلني أدفعه عنك دموعا
قد شريناه عزيزاً غالياً إن تكن بعتَ فإني لن أبيعا

* * *

يا ندامى الحب سُمَّار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
أرقوني أجرع السقْمَ وبي
صفرةُ الكأس وأوهامُ الحباب
كلما تقبلُ أيامُ المنى
تنجلي النعماء عن ذاك السراب
وترى أياميَ الحيرى على
عرسها الضاحك أحزانَ الضباب

* * *

لم أقيدْك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالص قَيْدٌ وحده
رُبَّ حر وَهْوَ في قيد وثيق
مزقتْ كفيك أشواكُ الهوى
وأنا ضقتُ بأحجار الطريق

كـــم ظمـــيٍّ بظمـــيٍّ يرتـــوي
وغريـــق مـــستعين بغريـــق
* * *
يا ليالي العمر ما ســرُّ الليـــالي
البطيئـــاتِ الممـــلاتِ الطـــوالِ
مـــسرعات مبطئـــات ولهـــا
خفة المـوت وأثقـالُ الجبـالِ
كاسفات البال عرجـاء المـنى
عاثرات الحظ شوهاء الظـلالِ
عجباً للعمـــر يمـــضي مـــسرعا
للمنايـــا بـــسلحفاةِ المـــلالِ
* * *
يا كَنار الروضِ في أيلك الهـوى
جفت الروضة من بعـد النـديم
حل بالأيـكِ خريـف منكـر
وظـــلال قاتمـــات وغيـــومْ
ماتـــت الروضـــة إلا طائفـــا
من هوى حي على الذكرى يقومْ

فـــإذا أنكـــر مـــا حـــلّ بهـــا

فرَّ يبغي ســـربَه بـــين النجـــوم

*　　*　　*

شاهت الـــدنيا وجوهـــاً ورؤى

وتولاهـــا ســـهوم ووجـــوم

يا عذارى الحسن في ظل الـــصبا

كل حسن بعد لـــيلايَ دمـــيمْ

يا نعيم العيش في ظـــل الرضـــا

آه لو أعرف ما طعـــم النعـــيمْ

أنكـــر الجنـــةَ قلـــبٌ ضـــجِر

أبديُّ النار موصـــولُ الجحـــيمْ

*　　*　　*

طالما موهـــت بالـــضحكِ فمـــا

غَيَّرَ التمويـــه رأيـــاً لـــك فيَّـــا

كلما تنظـــر في عـــيني تـــرى

سرىَ الغـــافي ومعنـــاىَ الخفيَّـــا

وترى في عمقِ روحـــي زهـــرةً

قد سقاها الحزن دمعـــاً أبـــديًّا

ويـــراه النـــاس طَـــلاًّ وتـــرى

أنت دمعـــا غائمـــا في مقلتيَّـــا

*   *   *

يا فؤادي ما ترى هذا الغـــروب

ما ترى فيـــه انهيـــار العمـــرِ؟

ما ترى فيه غريقاً ذا شـــحوب

يتلاشـــى في خـــضم القـــدر؟

ما تراها اتأدتْ قبـــل المغيـــب

ورمت مـــن عرشـــها المنحـــدِرِ

لفتةَ الحسرة للـــشط القريـــب

قبل أن تسقطَ خلف النـــهرِ ...

*   *   *

يا فؤادي قاتل اللّـــه الـــضجرْ

وعـــذابي بـــين حـــلٍّ وســـفرْ

ما ترى قنطـــرة مـــن بعـــدها

راحة ترجـــى وبـــالٌ يـــستقرّ

ذلـــك الجـــرحُ ومـــا أفدحـــه

ما عليه لو إلى الـــسلوَى عبَـــرْ

قــد طــواه اليــومُ في بردتــه

وأتــى الليــلُ عليــه فــانفجرْ

* * *

مرّ يومي فارغــا منــك ومــن

أملِ اللقيا فمــا أتعــسَ يــومي

أنتَ يومي، وغدي أنتَ، ومــا

من زمانٍ مرّ بي لم تــكُ همــي!

آه كم أغدو صــغيرا، حــاجتي

لــك كالطفــلِ إلى رحمــةِ أمِّ

ولكــم أكــبر بالحــب إلى أن

أغتدى مستشرفاً آفــاقَ نجــمِ

* * *

أيّ سر فيك إني لــست أدرى

كل ما فيك من الأسرار يغــرى

خطرٌ ينساب مــن مفتــر ثغــرِ

فتنةٌ تعصف مــن لفتــةِ نحــرِ

قدر يُنسج من خــصلةِ شــعرِ

زورق يسبح في موجــةِ عطــرِ

في عبابٍ غامض التيـــار يجـــرى

واصلاً ما بين عينيك وعمـــرى

* * *

ذات ليـــلٍ والـــدجى يغمرنـــا

أترى تـــذكر إذ جزنـــا المدينـــة

كلما روعت مـــن نـــار شـــجٍ

حَرَّما يصلى تلمـــست جبينـــه

بيدٍ شفافة مثل الندى الرطـــب

تعيـــد النـــارَ بـــرداً وســـكينه

أيهـــا الآســـى لنـــارى هـــذه

ما الذي تصنع بالنار الدفينـــه؟

* * *

أخيـــالاً كـــان هـــذا كلـــه

ذلك الجسرُ الذى كنـــا عليـــه؟

والمـــصابيحُ الـــتي في جانبيـــه

ذلك النيلُ ومـــا في شـــاطئيه؟

وشـــعاعٌ طوفـــتْ في مائـــه

وظـــلالٌ رســـبتْ في ضـــفتيه

وحبيـــب وادع في ســـاعدي

ووعود نلتـــها مـــن شـــفتيه؟

* * *

رب لحـــن قـــصَّ في خاطرنـــا

قصة الحادي الذي غنىَّ ســـهاده

وكأن الـــصمتَ منـــه واحـــةٌ

هيأتْ من عشبها الرطب وساده

ها أنا عدت إلى حيـــث التقينـــا

في مكان رفرفت فيه الـــسعاده

وبه قد رفرف الـــصمت علينـــا

إن في صـــمت المحـــبين عبـــاده

* * *

رفرف الصمت ولكن أقبلـــتْ

من أقاصي السهل أصداءٌ بعيده

تتـــهادى في عبـــاب ســـاحرٍ

مرسل للشط أمواجـــاً مديـــده

كـــم نـــداء خافـــت مبتعـــد

تشتهي أُذْنٌ الهوى أن تـــستعيده

عـــاد منــــساباً إلى أعماقهـــا

هامساً فيها بأصـــداءٍ جديـــده

* * *

رفرف الصمت ولكـــن هاهنـــا

كل ما فيك من الحُـــسْنِ يغـــنيِّ

آه كم مـــن وتـــرٍ نـــام علـــى

صدرِ عودٍ نومَ غـــافٍ مطمـــئنٍّ

وبه شـــتَّى لحـــون مـــن أســـى

وحـــــنين وأنـــــين وتمنِّـــــي

رقد العاصفُ فيـــه وانطـــوتْ

مهجةُ العود على صمتٍ مُرنِّ ..

* * *

هـــذه الـــدنيا هجـــير كلـــها

أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالِكْ

ربمـــا تزخـــر بالحـــسنِ ومـــا

في الدُّمى مهما غَلَتْ سر جمالِكْ

ربمـــا تزخـــر بـــالنورِ وكـــم

من ضياء وهو من غيرك حالـــك

لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيـــالا مـــن خيالِـــكْ

* * *

أنا إن ضـــاقت بيَ الـــدنيا أفيء
لشـــوانٍ رحبـــةٍ قـــد وســـعتنا
إنمـــا الـــدنيا عبـــاب ضـــمنا
وشطوطٌ من حظـــوظ فرقتنـــا
ولقـــد أطفـــو عليـــه قَلِقًـــا
غارقـــا في لحظـــةٍ قـــد جمعتنـــا
كلما تتـــرى المعـــاني أَجتلـــي
خلف معناها لأســـرارِكِ معـــنى

* * *

ما الذي صبك صبًّا في الفـــؤادْ
ما الذي إن أقصه عـــنيَ عـــاد
طاغيا يعصفُ عـــصفاً بالرشـــاد
ظامئـــا ســـيان قـــربٌ وبعـــاد
ساهر العينين موصول الـــسهاد
ما الذي يجري لهيبـــاً في الرمـــاد

ما الـــذي يخلقنـــا مـــن عـــدمٍ
ما الذي يُجري حياةً في الجمـــاد
* * *
كم حبيـــب بعـــدتْ صـــهباؤه
وتبقـــتْ نفحـــةٌ مـــن حببـــه
في نسيج خالـــد رغـــم البلـــى
عبث الدهرُ ومـــا يعبـــث بـــه
ما الذي في خصلة مـــن شـــعره
ما الـــذي في خطِّـــه أو كتبـــه
مـــا الـــذي في أثـــر خَلَّفَـــه
من أفـــانين الهـــوى أو عجبـــه
* * *
مـــا الـــذي في مجلـــس يألفـــه
عقـــدَ الحـــبُّ عليـــه موعـــده
ربمـــا يبكـــي أســـى كرســـيه
إن نأى عنـــه وتبكـــى المائـــده
ربمـــا نحـــسبها هَـــشَّتْ إذا
عائـــدٌ هـــشَّ لهـــا أو عائـــده

ربمـــا نحـــسبها تـــسألنا

حـــين نمـــضي أفـــراق لعـــده؟

* * *

كم أعدتْ لك ستراً في الخفـــاء

وتوارتْ عـــن عيـــون الرقبـــاء

كم أعدتْ نفـــسها وانتظـــرتْ

واستوتْ موحشةً تحت السماء؟

وَهْيَ لو تملك كفًّـــا صـــافحتْ

كفك الحلـــوةَ في كـــل مـــساء

وَهْيَ لو تملك جـــوداً بـــذلتْ

كل ما تملكُ كف مـــن ســـخاء

* * *

رُب كَـــرْمٍ مـــدَّه الليـــل لنـــا

فتواثبنـــا لـــه نبغـــي اقتطافـــه

وعلـــى خيمتـــه أســـوده

عربيّ الجـــود شـــرقيّ الـــضيافه

وجـــد العـــرس علـــى بهجتـــه

وســـناه دون وردٍ فأضـــافه

ثم وارت يـــــده جنيـــــةٌ

وطوته كأســاطير الخرافــه ...

*　　*　　*

أرج يعبـــــق في أنحائـــــه

حملتْــه نحــو عرشَــيْنا الريــاح

كل عطـــر في ثنايـــاه ســرى

كان سراِ مــضمرا فيــه فبــاح

يالها من حقبــةٍ كانــت علــى

قِــصَرٍ فيهــا كآمــادٍ فــساح

نــتمنى كلمــا طابــتْ لنــا

أن يظل الليلُ مجهولَ الــصباح

*　　*　　*

يا فؤادي العمر سِفْر وانطــوى

وتبقتْ صــفحة قبــل النــوى

ما الذي يغريك بالدنيا ســوى

ذلك الوجه ، وذيَّــاك الهــوى

العائد

أَجِرْ غربتي أيها العائدُ
فقد ملني الداءُ والعائدُ
أجرْ غربتي فبلادي الهموم
وليلٌ بطيء الخطى راكدُ
تقاسمني في نواك الديارُ
وأنتَ ليَ الوطنُ الواحدُ
محياك داري ومنك نهاري
إذا ضمَّكَ الصدر والساعدُ

* * *

أجرْ شفتي من عذاب الظما
أما أذن اللّهُ أن ترحَمَا!
أتمعنُ في الهجر حتى ترانا
بكينا دماً واحترقنا فما؟
ولي رمق صنتُه كي أراك
فأشفقْ على رمقي ريثما

إذا طلـــبَ الحـــبُّ برهانَـــه
من الموت لبيتُ كي تعلمـــا ...

* * *

ليـــاليَّ مـــرت هبـــاء عقيمـــا
فهل تتـــوالى البـــواقي ســـدَى؟
أسائل جرحـــيَ عمـــن جنـــاه
وأرنـــو فأســـتخبر العُـــوَّدَا
فما طلعوا اليـــومَ بالبـــشرياتِ
ولا عللوا بـــالتلاقي غـــدًا ...
فلمـــا تنكَّـــرَ حـــتى المحـــبُّ
تلفـــتُّ أســـأل عنـــك العِـــدَا

* * *

سلام على غائب عـــن عيـــوني
حملـــــتُ حطـــــامي إلى دارِه
وقلـــت لقلـــبي تمهـــلْ بنـــا
وخـــــبيْ شـــــقاءك أو دَارِه
تناسى الأسى ها هنـــا أو يقـــالُ
حملـــتَ الظـــلامَ لأنـــوارِه ...

أتغـــدو إلى عتبـــاتِ النعـــيم

بلفحِ الجحـــيم وإعـــصارِه؟ ..

فهرس الأعمال الشعرية الكاملة

المحقق في سطور

حسن توفيق:

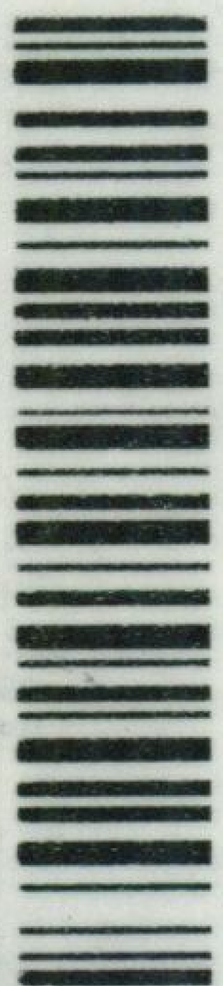
- شهد حي شبرا بالقاهرة ميلاد حسن توفيق يوم ٣١ أغسطس ١٩٤٣.
- حصل على الليسانس من كلية الآداب- جامعة القاهرة- سنة ١٩٦٥.
- عمل- بعد تخرجه- مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور فى الهيئة العامة للكتاب.
- عمل فى جريدة الراية القطرية رئيسًا للقسم الثقافي على امتداد ثلاثين سنة ابتداء من سنة ١٩٧٩.
- عاد إلى مصر ابتداء من يوم ٥ يوليو ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة.
- يكتب عمودًا أسبوعيًا بعنوان "مرايا الروح" في جريدة الشرق القطرية.
- أصدر ديوانه الأول "الدم في الحدائق" سنة ١٩٦٩ ثم توالت دواوينه الشعرية ومنها أحب أن أقول لا "قصائد عاشقة" "حينما يصبح الحلم سيفا" انتظار الآتي "وجهها قصيدة لا تنتهى" "بغداد خانتنى".
- أحدث دواوينه بعنوان "أحبك أيها الإنسان"، وله قيد الطبع ديوان جديد بعنوان "حلم يتفتح في صخر".
- اتجه لإحياء فن المقامة، حيث أصدر كتابه الأول في هذا الفن بعنوان "مجنون العرب بين رعد الغضب وليالى الطرب"، ثم أصدر"ليلة القبض على مجنون العرب".
- أصدر أولى دراساته النقدية بعنوان "اتجاهات الشعر الحر" سنة ١٩٧٠

- قام بتحقيق الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجى، وقد أصـــدرها على نفقته فى طبعة محدودة سنة ٢٠٠١، وها هي تصدر في طبعة شاملة عن المجلس الأعلى للثقافة.
- تمكن من اكتشاف رواية كاملة مجهولة للدكتور إبراهيم ناجى وهى بعنوان "زازا"، وستصدر هذه الرواية مع دراسة مطولة عنها فى القريب.
- له كتاب ضخم فى أدب الرحلات وهو بعنوان "رحلات شـــاعر عاشـــق" "رحلات مع الشعر والحب فى الشرق والغرب".
- أنجز كتابة روايته الأولى سنة ٢٠٠٩ وهي بعنوان "عرفة يـــنهض مـــن قبره"، وقد نشرت مجلة نزوى العمانية نص هذه الرواية في عددها الثالث والستين.
- حصل على جوائز أدبية عديدة كما شارك فى ملتقيات ومهرجانات ثقافيـــة متنوعة.

كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجي ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذي اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها القارئ في هذا الكتاب، وهي قصيدة بعنوان "الخريف" أما ما غناه محمد عبد الوهاب منها فإنه معروف بعنوان "القيثارة" وكان من المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة 1953م ، لكن ناجي رحل عن عالمنا يوم 42 مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة 1954م ومنها:

أي سر فيك إني لست أدري	كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتر ثغر	فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر	زورق يسبح في موجة عطر
في عباب غامض التيار يجري	واصلاً مابين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجي - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على رحيله عن عاملنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من "الأط
وأضافت إليها مقطعين من قصيدة الوداع.



المجلس الأعلى للثقافة